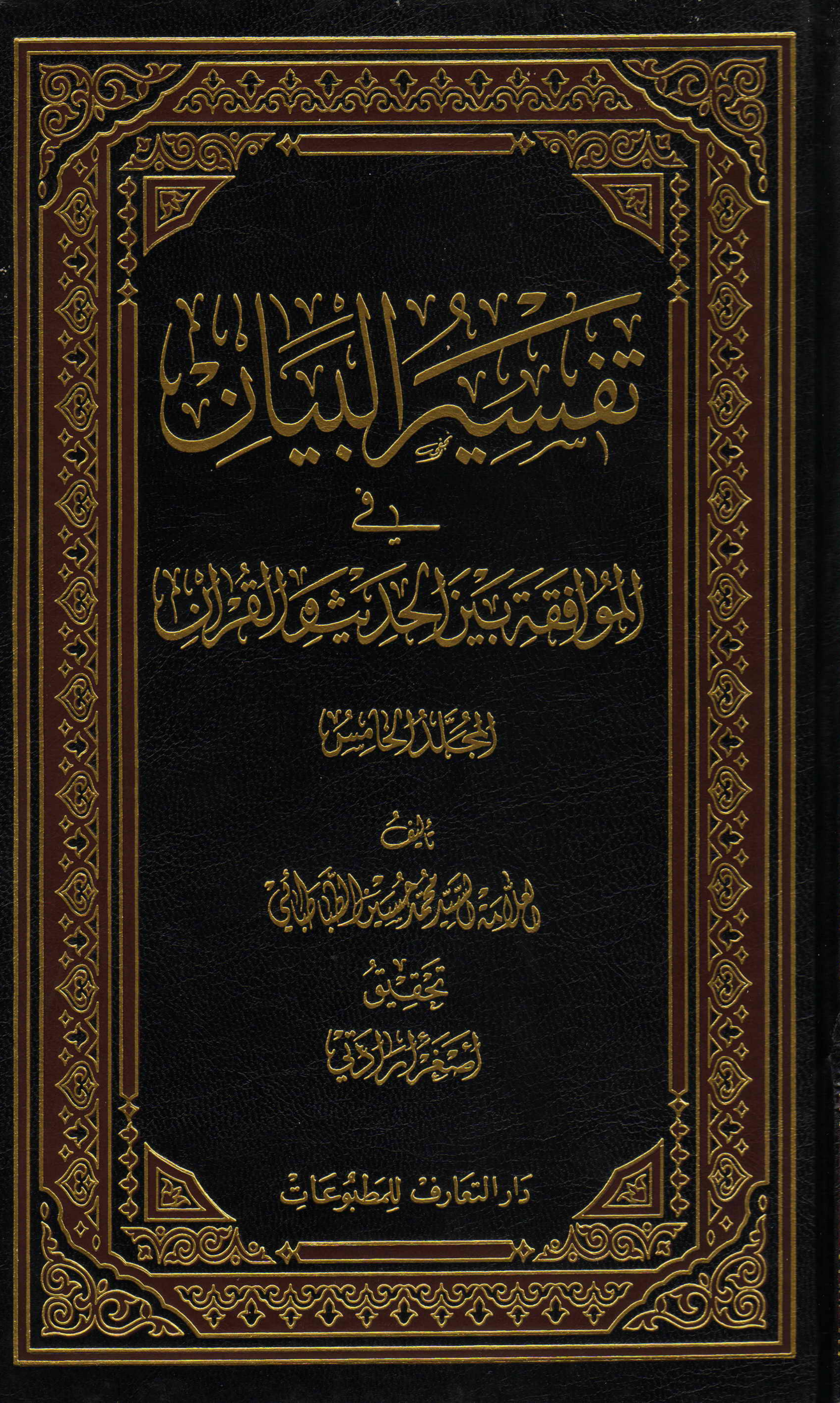
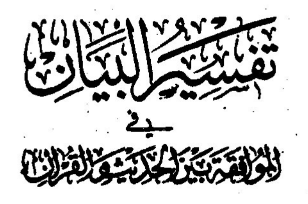


تفسير البيان
في
الموافقة بين الحديث والقرآن
المجلد الخامس
تأليف
العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
تحقيق
أصغر إرادتي
دار التعارف للمطبوعات
العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن
٥
دار التعارف للمطبوعات


تفسير البيان
في
الموافقة بين الحديث والقرآن

مجموعة الآثار ١٥



تفسير البيان
في
الموافقة بين الحديث والقرآن

المجلد الخامس

تأليف

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

تحقيق

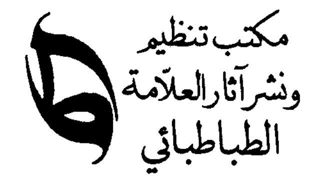
أصغر إرادتي

دار التعارف للمطبوعات



الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



دار التعارف للمطبوعات

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكّاش - بناية الحسنين

ص.ب: ٦٤٣ - ١١ - ٨٦٠١ - ١١

هاتف: ٢٧١٩٠٧ - ٢٧١٩٠٨ ١ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٢٧١٩٠٨ ١ ٠٠٩٦١

موبايل: ٨٢٣٦٢٠ ٣ ٠٠٩٦١









بسم الله الرحمن الرحيم الكلام في سورة الأنفال

قوله سبحانه يسئلونك عن الأنفال الآية في الكافي عن الصادق قال الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب
او قوم صالحوا او قوم اعطوا بايديهم وبطون الاودية وكل ارض خربة وبطون الاودية فهو لرسول الله
وهو للامام من بعده يضعه حيث يشاء اقول والروايات في تفسير الأنفال في هذا المعنى قريبة
هذه الرواية كثيرة جدا وان كان فيها اختلاف من حيث تعداد المصاديق حتى عد منها في بعضها مال
من مات ولا وارث له والقرى الخالية التي باد اهلها وغير ذلك وفي تفسير القمي قال انها نزلت
يوم بدر لما انهزم الناس كان اصحاب رسول الله على ثلث فرق فصنف كانوا عند خيمة النبي وصنف
اغاروا على النهب وفرقة طلبت العدو واسروا وغنموا فلما جمعوا الغنائم والاسارى تكلمت الانصار
في الاسارى فانزل الله تبارك وتعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فلما اباح الله
لهم الاسارى والغنائم تكلم سعد بن معاذ وكان ممن اقام عند خيمة النبي فقال يا رسول الله ما منعنا
ان نطلب العدو زهادة في الجهاد ولا جبنا من العدو ولكنا خفنا ان يعري موضعك فيميل عليك
خيل المشركين وقد اقام عند الخيمة وجوه المهاجرين والانصار ولم يشك احد منهم والناس كثير يا رسول الله
والغنائم قليلة ومتى تعطي هؤلاء لم يبق لاصحابك شيء وخاف ان يقسم رسول الله الغنائم واسلاب
القتلى بين من قاتل ولا يعطي من تخلف رسول الله شيئا فاختلفوا فيما بينهم حتى سألوا رسول الله
فقالوا لمن هذه الغنائم فانزل الله يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فرجع الناس
وليس لهم في الغنيمة شيء ثم انزل الله بعد ذلك واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
فقسمه رسول الله بينهم فقال سعد بن ابي وقاص يا رسول الله اتعطي فارس القوم الذي يحميهم
مثل ما تعطي الضعيف فقال النبي ثكلتك امك وهل تنصرون الا بضعفائكم قال فلم يخمس رسول الله
ببدر وقسم بين اصحابه ثم استقبل ياخذ الخمس بعد بدر اقول وقد رواه بعضهم عن الصادق
~~والروايات لا تخلو عن تشويش في نظم القصة ...~~

الصفحة الأولى من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة الأنفال

وقال: في أول الهجرة أن المواريث كانت على الأخوة دون الولادة، فلما هاجر رسول الله إلى المدينة آخى بين المهاجرين والمهاجرين وبين الأنصار والأنصار وبين المهاجرين والأنصار، وكان إذا مات الرجل يرثه أخوه في الدين ويأخذ المال وكان له ما ترك دون ورثته، فلما كان بعد بدر أنزل الله: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله الآية، فنسخت آية الأخوة بعضهم أولى ببعض.

أقول: مقتضى الروايتين أن الميراث بالمؤاخاة كان ثابتاً بآية الأخوة: إنما المؤمنون إخوة، وقد نسخها آية: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم الآية من سورة الأحزاب، وعليه فالآيات الأربع من قوله: إن الذين آمنوا وهاجروا إلى آخر السورة غير متعرضة لحال ولاية الإرث بل لمطلق الولاية، ويشهد به نفيه سبحانه الولاية بين المشركين الكفار بقوله: والذين كفروا بعضهم أولياء بعض. وفي المورد روايات أخر سيأتي بعضها في سورة الأحزاب إن شاء الله تعالى.

هذا آخر الكلام في سورة الأنفال ولله سبحانه الحمد وعلى رسوله وآله الصلاة

تم يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٦٩

الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة الأنفال

الكلام في البراءة

قوله سبحانه براءة من الله ورسوله الى آخر الآية المجمع عن الصادق ع قال الانفال وبراءة واحدة اولـــــ

ونداء العياشي في تفسيره عن الصادق ع وفي المجمع ايضا عن علي ع لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس

سورة براءة لان بسم الله للامان والرحمة ونزلت براءة لرفع الامان والسيف اوقس ويدل على ما بعدها

من كلام الاول وهذه السورة لو كانت سورة مستقلة لما ... فيها ... رفع الامان وشطر من الكلام

المتعلق بالمشركين والمنافقين وفي تفسير العياشي عن الصادق ع قال كان الفتح في سنة ثمان وبراءة

في سنة تسع وحجة الوداع في سنة عشر وفي تفسير القمي عن الصادق ع قال نزلت هذه الآية

بعد ما رجع رسول الله ص من غزوة تبوك في سنة تسع من الهجرة قال وكان رسول الله ص لما فتح مكة لم يمنع

المشركين الحج في تلك السنة وكان سنة من العرب في الحج انه من دخل مكة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحل

له امساكها وكانوا يتصدقون بها ولا يلبسونها بعد الطواف فكان من وافى مكة يستعير ثوبا ويطوف

فيه ثم يرده ومن لم يجد عارية اكترى ثيابا ومن لم يجد عارية ولا كرى ولم يكن له الا ثوب واحد طاف

بالبيت عريانا فجاءت امرأة من العرب وسيمة جميلة فطلبت ثوبا عارية او كرى فلم تجده فقالوا لها

ان طفت في ثيابك احتجت ان تتصدقي بها فقالت وكيف اتصدق وليس لي ثوب غيرها فطافت بالبيت

عريانة واشرف لها الناس فوضعت احدى يديها على قبلها والاخرى على دبرها وقالت شعرا

اليوم يبدو بعضه او كله فما بدا منه فلا احله فلما فرغت من الطواف خطبها جماعة فقالت ان

لي زوجا وكانت سيرة رسول الله قبل نزول سورة براءة ان لا يقاتل الا من قاتله ولا يحارب الا من حاربه

واراده وقد كان انزل عليه في ذلك فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله

لكم عليهم سبيلا فكان رسول الله ص لا يقاتل احدا قد تنحى عنه واعتزله حتى نزلت عليه سورة براءة

وامره بقتل المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله الا الذين قد عاهدهم رسول الله ص يوم فتح مكة الى مدة

~~منهم صفوان بن امية وسهيل بن عمرو فقال الله عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم~~

الصفحة الأولى من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة البراءة

ادهو كم وانكاركم وفي تفسير العياشي عن الصادق (ع) رسول من انفسكم قال فينا
عزيز عليه ما عنتم قال فينا حريص عليكم قال فينا بالمؤمنين رؤف رحيم قال شركنا
المؤمنون فهذه الرابعة وثلثة لنا اقول ــــــ ورواه غيره ايضا وهو اخذ بالاكمال
قوله سبحانه فان تولوا فقل حسبي الله امره سبحانه رسوله ان يكتفي به لو تولوا اولم يطيعوه
من العطف واللطف والرحمة ولهذا قيل قال بعضهم ان الآية من ارجى آية في كتاب الله

تم والله المعين يوم الخامس عشرين شهر رمضان
١٣٦٩

الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة البراءة

يونس ٢

الجزء الثالث من تفسير البيان في توافق الحديث والقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب الحكيم ١ غرض السورة [illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة يونس

وقوله سبحانه وأن أقم وجهك [illegible] أن أكون من المؤمنين قيل لي أن كن من المؤمنين ثم أن

[illegible] عليه [illegible] أقم وجهك [illegible] وتقدم في الآيتين من التوحيد بحسب الاعتقاد والتوحيد بحسب

الأعمال فقوله أن أكون من المؤمنين راجع إلى التوحيد بحسب الاعتقاد وهو الإيمان بأن الله

واحد لا شريك له وقوله وأن أقم وجهك للدين حنيفا راجع إلى التوحيد في مقام الطاعات والقربات

وقوله سبحانه ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية راجع إلى التوحيد فيما يستقبل الإنسان

من الحوادث بحسب الحياة الدنيا فيطمع في شيء أو يخاف شيئا أو يرغب في شيء أو يلتجئ إلى شيء وبالجملة

[illegible] الآيات التوحيد في الاعتقاد والتوحيد في الأخلاق والتوحيد في الأفعال والأعمال [illegible]

يظهر وجه تغيير السياق في قوله تعالى وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا

وقوله سبحانه وإن يمسسك الله بضر [illegible] في هذه الآية بمنزلة البيان لقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك

[illegible] ما ذكرناه أن قوله ولا تدع من دون [illegible] راجع إلى النهي عن الالتجاء إلى الأسباب

وقوله سبحانه واتبع ما يوحى إليك [illegible] قل يا أيها الناس [illegible] وقد قال يا أيها الناس

قد جاءكم [illegible] وعطف الكلام إلى رسوله [illegible] في الآيات [illegible] سورة

وهذا الخطاب [illegible] واتبع ما يوحى إليك [illegible] الخطابين [illegible] إلى رسوله [illegible]

وهذا نظير قول القائل مثلا [illegible] إلى قوم في تكاليف [illegible] الرسول والرسل إليهم حيث يقول

قل لهم إن أمرني فلان أن أعمل كذا وكذا [illegible] إليكم [illegible] ثم يقول للرسول واعمل بما [illegible] إليهم

[illegible] والصبر [illegible] الاستقامة في جميع أصول التوحيد وفروعه والثبات على [illegible]

سبحانه [illegible] للدين الحنيف وتحمل الأذى في جنب الله تعالى حتى يحكم الله [illegible]

[illegible] عطف قوله واتبع ما يوحى إليك [illegible] بالواو دون الفاء [illegible] الترتب وذلك لما عرفت

[illegible] الكلام [illegible] وهي من قبيل النتيجة المأخوذة [illegible] وفي قوله حتى

يحكم الله [illegible] وهو خير الحاكمين [illegible] الوعيد والوعد [illegible] الكلام [illegible] والله أعلم

الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة يونس

الكلام في سورة هود

قوله سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم الغرض من السورة على ما يعطيه التدبر في آياتها ويلوح من صدرها جامع [معاني] الحق

التوحيد والنبوة والمعاد وتربية الكلام في المبعث [فيها] على التوحيد والنبوة فهي كالجزء الملحق من تمام الكتاب

قوله سبحانه احكمت آياته ثم فصلت الآية التقطيع والتفريق والتفصيل والشرح والبسط والتبيين ونحوها

المعاني متقاربة المعنى يختص كل منها بخصوصية زائدة على المعنى المشترك يعطيه اشتقاقه او عناية زائدة

مأخوذة في استعماله وكلمة التفصيل من بينها [مبناها] ايراد الفصل على الشيء وجعله فصلا فصلا اي جعله

ذا اجزاء منفصلة بعضها عن بعض بعد ما لم يكن كذلك والاحكام خلافه فهو جعل الشيء بحيث لا

يفصل فيه فقوله سبحانه كتاب احكمت آياته ثم فصلت الآية يدل على كون ان الكتاب يحتوي بآياته

قد نقله الله من حال الى حال وحوله من وصف الى وصف فقد كان محكما غير منفصل ثم فصل

الى آيات متفرقة منفصلة لجميع آياته ترجع على كثرتها وتشتتها الى مرجع واحد من غير تناف

وتباين بين [illegible] ومفرده الآية في متقاربة المفهوم من قوله تعالى والكتاب المبين انا [جعلناه]

قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم الآيات حيث تدل على ان الكتاب

قد تطور طورا بعد طور وتحول من منزل الى منزل حتى نزل منزل العربية والقرائية فصار قرآنا عربيا

بعد ما كان عليا حكيما ويقرب منه نحوا قوله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا [من]

خلفه تنزيل من حكيم حميد الآيات وسيأتي ان شاء بعض الكلام المتعلق بالمقام في الكلام على هذه الآيات [المذكورة]

هذا كله اذا كان المراد بالكتاب مجموع القرآن ويمكن ان يكون المراد به نفس السورة [illegible] فالمراد بالا[حكام]

ثم التفصيل ما يشتمل عليه السورة من الايجاز ثم الاطناب فان قوله تعالى الا تعبدوا الا الله الى قوله

انه على كل شيء قدير الآيات يتضمن اجمال ما بينه ما الآيات التالية لهذه الثلاثة وهو ما [illegible]

وفي تفسير القمي عن الباقر عليه السلام في الآية قال هو القرآن اقول ــــ معناه ان المراد بالكتاب في الآية

هو القرآن دون السورة كما هو الظاهر من لفظ الكتاب في الغالب [illegible] في القرآن الكريم

الصفحة الأولى من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة هود

جميعا فيهم وانما ما قيل من قبل الإشارة الى الاختلاف فقط او الى الاختلاف والرحمة معا وتفسير ولذلك خلقهم

ليبلوا فيهم بعضا ... والنظر الى الغايات التكوينية وملاحظة

القضاء والقدر ... امثال قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس الآية وما

يجري مجراها من الآيات الا ان ... الاختلاف لا يصلح ان يعبر به عن هذه الغاية التكوينية

فان القرآن ينسب الاختلاف في الدين في آيات كثيرة الى البغي ويجعل الدين فطريا لا يقع فيه

اختلاف بحسب التكوين قال تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه بغيا بينهم الآية وقال فأقم وجهك

للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله الآية وحاشا ان يجعل

الدين غاية للخلق والإيجاد

[illegible]

والجن ونقص عليك كل هذه القصص وهي بعض انباء الرسل وقوله ما نثبت [illegible]

[illegible]

والله مرجع كل امر فالنصرة لمن ركن اليه فاعبده وتوكل عليه اه

الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة هود

الفهرس

سورة الأنفال

سورة البراءة

سورة يونس

*

سُورَةُ الأَنفَال



[بسم الله الرحمن الرحيم يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧]

قوله سبحانه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾

في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: الأنفال ما لم يوجف عليه بخيلٍ ولا ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم أعطوا بأيديهم، وكلّ أرضٍ خربة، وبطون

الأودية فهو لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وهو للإمام من بعده يضعه حيث يشاء.[١]

أقول: والروايات في تفسير الأنفال في نحو ما فسّرته به هذه الرواية كثيرة جدّاً، وإن كان فيها اختلاف من حيث تعداد المصاديق، حتّى عدّ منها ـ في بعضها ـ مال من مات ولا وارث له، والقرى الخالية التي باد أهلها وغير ذلك.[٢]

وفي *تفسير القمّي* قال ـ عليه السلام ـ: نزلت يوم بدر لمّا انهزم الناس كان أصحاب رسول الله على ثلاث فرق، فصنف كانوا عند خيمة النبيّ، وصنف أغاروا على النهب، وفرقة طلبت العدوّ وأسروا وغنموا، فلمّا جمعوا الغنائم والأسارى تكلّمت الأنصار في الأسارى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ** ﴾،[٣] فلمّا أباح الله لهم الأُسارى والغنائم تكلّم سعد بن معاذ وكان ممّن أقام عند خيمة النبيّ، فقال: يا رسول الله!، ما منعنا أن نطلب العدوّ زهادة في الجهاد ولا جبناً من العدوّ، ولكنّا خفنا أن نعدو موضعك فتميل عليك خيل المشركين، وقد أقام عند الخيمة وجوه المهاجرين والأنصار ولم يَشَكْ أحد منهم ـ والناس كثير ـ يا رسول الله! والغنائم قليلة، ومتى تُعطي هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء، وخاف أن يُقسّم رسول الله الغنائم وأسلاب القتلى بين من قاتل ولا يُعطى من تخلّف عند خيمة رسول الله شيئاً، فاختلفوا فيما بينهم حتّى سألوا رسول الله.

فقالوا: لمن هذه الغنائم؟ فأنزل الله: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ**

---

١. *الكافي* ١: ٥٣٩، الحديث: ٣.

٢. *جوامع الجامع* ٢: ٢؛ *تفسير الصافي* ٣: ٢٩٤؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٢٦٢.

٣. الأنفال (٨): ٦٧.

وَالرَّسُولِ ﴾ فرجع الناس وليس لهم في الغنيمة شيء.

ثمّ أنزل الله بعد ذلك: **﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ ﴾**[١] فقسّمه رسول الله بينهم فقال سعد بن أبي وقّاص: يا رسول الله أتعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تُعطي الضعيف؟! فقال النبيّ: ثكلتك أُمّك وهل تُنصرون إلّا بضعفائكم؟!!

قال: فلم يخمّس رسول الله ببدر وقسّم بين أصحابه، ثمّ استقبل يأخذ الخمس بعد بدر.[٢]

أقول: وقد رواه بعضهم عن الصادق ـ عليه السلام ـ.

والرواية لا تخلو عن تشويش في المتن وقوله: وقد أقام عند الخيمة، الى قوله: والناس كثير كالمعترضة، وهو من كلام الإمام لا من كلام سعد.

وقوله: ولم يشك أحد منهم، من شاك يشاك شوكاً، إذا ظهر سلاحه وحدّته.[٣]

وقوله: وخاف أن يقسّم إلى آخره، أيضاً من كلام الإمام تلخيص للقصّة.

وقوله: ثمّ أنزل الله الى آخره، كالمعترضة غير مرتبطة بما قبله.

وقوله: فقسّمه رسول الله بينهم الى آخره، متفرّع على قوله: فأنزل الله: **﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾**.

والذي ينبغي أن يقال: إنّ الآيات النازلة في الغنيمة في هذه السورة ثلاثة أصناف وهي بترتيب السورة:

قوله تعالى: **﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ**

---

١. الأنفال (٨): ٤١.

٢. تفسير *القمّي* ١: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

٣. *لسان العرب* ٧: ٢٤٠.

وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾؛

وقوله: ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾؛[1]

وقوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَٱللهُ يُرِيدُ ٱلآخِرَةَ وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ ٱللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً وَٱتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.[2]

وسياق الآية الثانية يفيد أنّ نزولها بعد الآية الأُولى والآيات الأخيرة، لمكان قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا ﴾ فهي بعد الوقعة بزمان، ثمّ الآيات الأخيرة تدلّ على أنّهم كلّموا رسول الله في أمر الأسرى أن لا يقتلهم ويأخذ الفدية، ثمّ يعاتبهم على ذلك بأنّهم يريدون به الدنيا، ثمّ يجوّز لهم الأكل ممّا غنموا من الأسرى، فكأنّهم فهموا منه أنّ الغنيمة لهم بمعنى أنّها لهم يملكونها، وقد أخطأوا في فهمهم، وإنّما جوّز الله لهم الأكل منها ولم يملّكهم ذلك، ثمّ صار ذلك الاعتقاد منشأ لاختلافهم فيما بينهم في تشخيص المالكين لها وأنّهم المجاهدون أو القاعدون عند رسول الله، فنزلت أنّ ﴿ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾.

والأنفال: هي الزوائد، فإنّ المراد بالقتال الظفر على العدوّ، فما أُخذ منه وغنم يكون زيادة عليه ونفلاً، فالمراد بالأنفال الغنائم والزوائد مطلقاً.

ومن هذا البيان يظهر أنّ الآيات الأخيرة نزلت أوّلاً فأثبتت لهم جوازاً في أكل الغنائم لا ملكاً، ثمّ نزلت الآية الأُولى فأثبتت الملك لله ولرسوله فقسمه

---

١. الأنفال (٨): ٤١.
٢. الأنفال (٨): ٦٧ ـ ٦٩.

رسول الله فيما بينهم بالسويّة، وقد عزل لثمان نفرات من أصحابه لم يحضروا الواقعة نصيبهم لأنّ الغنيمة له يفعل بها ما يشاء.

ثمّ نزلت آية الخمس بعد المهاجرة من بدر فأخذ ـ صلى الله عليه وآله ـ منهم خمس الغنائم.

وبهذا البيان يظهر معنى الرواية الثانية المذكورة بعد رفع تشويشه بما ذكرنا، وكذلك معنى الرواية الأُولى المستفيضة من حيث المعنى، فإنّ آية الأنفال وإن كانت نازلة في مورد خاصّ لكنّ لفظها عامّ لا يتخصّص بالمورد.

فقوله: ﴿ الأَنْفَالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ ﴾

يشمل كلّ نفل وزيادة حاصلة من غير ملك سابق لأحد من المسلمين كغنائم الجهاد بالقتال، وكلّ نفل حاصل من غير قتال كالأراضي الخربة، والديار الخالية، وبطون الأودية، ورؤوس الجبال والآجام، وقطائع الملوك، ومال من مات ولا وارث له، وقد عمل رسول الله في المأخوذ قتالاً بما عمل وبقي الباقي تحت العموم.

وربما قيل: إنّ المراد بالأنفال في الآية غنائم القتال، والمراد بالأنفال في الروايات الأنفال والفيء بلسان الشرع، وله بعض شواهد في بعض الروايات.

وفي *المجمع* قرأ السجّاد والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ: «يسألونك الأنفال» يعني: أن تعطيهم.[١]

أقول: وروي ذلك عن بعضهم.

---

١. مجمع *البيان* ٤: ٧٩٦.

قوله سبحانه: ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

وصف وُضع موضع الموصوف، أي الحال التي بعدكم، أو المشاجرة التي تصاحب بينكم.

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ﴾

ذكر سبحانه من أوصافهم خمسة:

(١) وجل القلب عند ذكر الله؛

(٢) وزيادة الإيمان عند سماع الآيات؛

(٣) والتوكّل على الله؛

(٤) وإقامة الصلاة؛

(٥) والإنفاق.

والثلاثة الأُول من صفات القلب، لا تنفكّ عن الإيمان وهو خضوع القلب لله تعالى، وهو يلازم التأثّر عند ذكره تعالى، وزيادة الإيمان وعقد القلب عند تلاوة الآيات، والتوكّل على الله بترك التدبير والاستقلال بالرأي فيما يرجع إلى الموطن والصفتان الأخيرتان راجعتان إلى الفعل.

إحداهما: فيما بينهم وبين الله تعالى وهو الصلاة.

والأُخرى: فيما بينهم أنفسهم وهو الإنفاق ممّا رزقهم الله سبحانه.

قوله سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً ﴾

يشعر بأنّ ما ذكره تعالى هي العلامة التامّة غير المتخلّفة، وجميع ما ذكره تعالى للمؤمنين في كتابه من الصفات المختلفة راجعة إلى ما يرجع إليه هذه الصفات

من غير زيادة.

قوله سبحانه: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

في *الكافي* و*تفسير القمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عندالله، وبالنقصان دخل المفرّطون النار،[1] الحديث.

أقول: ويشعر بأنّ المراد ليس أنّ مجموع الدرجات لكلّ واحد منهم، بل المجموع للمجموع وهم مختلفون فيها، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾،[2] وغير ذلك من الآيات.

قوله سبحانه: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ ﴾

في *المجمع* في حديث أبي حمزة: فالله ناصرك كما أخرجك من بيتك.[3]

أقول: وفيه بعض الإشعار:

إنّ الآية نزلت قبل الوقعة، فإنّ السورة نزلت مقطّعات، وقيل: المعنى حالهم في كراهة ما حكم الله في الأنفال مثل حالهم في كراهة خروجك من بيتك.

وفي *المجمع* قال أصحاب السير: وذكر أبو حمزة وعليّ بن إبراهيم في *تفسيريهما* ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ:

---

١. *الكافي* ٢: ٣٦، الحديث: ١؛ لم نجده في *تفسير القمّي*، ولكن روي في *تفسير العيّاشي* ٢: ٣٢٣، الحديث: ١٢.

٢. المجادلة (٥٨): ١١.

٣. مجمع *البيان* ٤: ٨٠١.

أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام وفيها أموالهم وهي اللطيمة[١] وفيها أربعون راكباً من قريش، فندب النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها، وقال: لعلّ الله أن ينفلكموها، فخفّ بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنّوا أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يلقي كيداً ولا حرباً، فخرجوا لا يريدون إلّا أبا سفيان، والركب لا يرونها إلّا غنيمة لهم، فلمّا سمع أبو سفيان بمسير النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكّة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أنّ محمّداً ـ صلى الله عليه وآله ـ قد تعرّض لعيرهم في أصحابه.

فخرج ضمضم سريعاً إلى مكّة، وكانت عاتكة بنت عبد المطّلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليالٍ أنّ رجلاً أقدم على بعيرٍ له ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم، ثمّ وافى بجمله على أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل، فما ترك داراً من دور قريش إلّا أصابته منه فلذة.

فانتبهت فزعة من ذلك وأخبرت العبّاس بذلك، فأخبر العبّاس عتبة بن ربيعة.

فقال عتبة: هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا فيهم، وبلغ ذلك أبا جهل.

فقال: هذه نبيّة ثانية في بني عبدالمطّلب، واللات والعزّى لننظرنّ ثلاثة أيّام فإن كان ما رأت حقّاً وإلّا لنكتبنّ كتاباً بيننا أنّه ما من أهل بيتٍ من العرب أكذب رجالاً ونساءً من بني هاشم.

فلمّا كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم بأعلى الصوت يا آل غالب! يا آل غالب! اللطيمة اللطيمة! العير العير! أدركوا وما أراكم تدركون إنّ

---

١) اللطيمة : المسک ونافجة المسک، وقيل : العير التى تحمل الطيب وبز التجّار.

محمّداً ـ صلى الله عليه وآله ـ والصباة من أهل يثرب خرجوا يتعرّضون لعيركم.

فتهيّأوا للخروج، وما بقي أحدٌ من عظماء قريش إلّا أخرج مالاً لتجهيز الجيش وقالوا: من لم يخرج نهدم داره، وخرج معهم العبّاس بن عبدالمطّلب، ونوفل بن الحرث بن عبدالمطّلب، وعقيل بن أبي‌طالب وأخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف، وخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم.

وفي حديث أبي حمزة: بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أيضاً عيناً له على العير إسمه عديّ، فلمّا قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فأخبره أين فارق العير، نزل جبرئيل على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فأخبره بنفير المشركين من مكّة، فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله، إنّها قريش وخيلائها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلّت منذ عزّت، ولم نخرج على هيئة الحرب.

وفي حديث أبي حمزة قال أبو بكر: أنا عالم بهذا الطريق فارق عديّ العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا، كأنّا فرسا رهان، فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: إجلس فجلس، ثمّ قام عمر فقال مثل ذلك، فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: إجلس فجلس، ثمّ قام المقداد وقال: يا رسول الله، إنّها قريش وخيلائها وقد آمنّا بك وصدّقنا وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضى[1] وشوك الهراس[2] لخضناه معك، والله لا نقول

---

١. الغضى: شجر، والمراد الجمر الحاصل من ناره، والهراس: شجر ذو شوك [منه ـ رحمه الله ـ].

٢. الجمر: النار المتّقدة؛ والغضا: شجر عظيم من الإثل، واحدته غضاة، وخشبه من اصل الخشب ولهذا يكون في فحمه صلابة، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفيء؛ والهراس: شجر شائك.

لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاً إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ ﴾،[1] ولكنّا نقول: إمضِ لأمر ربّك فإنّا معك مقاتلون، فجزاه رسول الله خيراً على قوله ذاك.

ثمّ قال: أشيروا عَلَيَّ أيّها الناس، وإنّما يريد الأنصار لأنّ أكثر الناس منهم، ولأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: إنّا بُراء من ذمّتك حتّى تصل إلى دارنا، ثمّ أنت في ذمّتنا نمنعك ممّا نمنع أبناءنا ونساءنا، فكان ـ صلى الله عليه وآله ـ يتخوّف أن لا يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلّا على من دهمه بالمدينة من عدوّ، وأن ليس لهم أن ينصروه خارج المدينة.

فقام سعد بن معاذ، فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله كأنّك أردتنا فقال: نعم، قال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله إنّا قد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعلّ الله عزّ وجلّ أن يريك منّا ما تقرّ به عينك فسر بنا على بركة الله، ففرح بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وقال: سيروا على بركة الله، فإنّ الله عزّ وجلّ قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده، والله لكأنّي أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وفلان، وفلان، وأمر رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ بالرحيل وخرج إلى بدر وهو بئر.

وفي حديث أبي حمزة الثمالي: بدر، رجل من جهينة، والماء مائه، فإنّما سُمّي الماء باسمه.

---

١. المائدة (٥): ٢٤.

وأقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء، فأخذهم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيد قريش، قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير، فأقبلوا يضربونهم، وكان رسول الله يصلّي، فانفتل من صلاته وقال: إن صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم، فأتوه بهم.

فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: يا محمّد نحن عبيد قريش، قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم، قال: كم ينحرون في كلّ يوم من جزور؟ قالوا: تسعة إلى عشرة، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: القوم تسعمائة إلى ألف رجل، وأمر ـ صلى الله عليه وآله ـ بهم فحبسوا، وبلغ ذلك قريشاً ففزعوا وندموا على مسيرهم، ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام.

فقال: أما ترى هذا البغي؟! والله ما أبصر موضع قدمي، خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت، فجئنا بغياً وعدواناً، والله ما أفلح قوم بغوا قطّ، ولوددت أنّ ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير.

فقال له أبوالبختري: إنّك سيّدٌ من سادات قريش فسر في الناس وتحمّل العير التي أصابها محمّد وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي، فإنّه حليفك.

فقال له: عليّ ذلك، وما على أحدٍ منّا خلاف إلّا ابن الحنظليّة يعني أبا جهل فصر إليه وأعلمه أنّي قد حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلى عقله.

قال: فقصدت خباءه وبلّغته ذلك، فقال: إنّ عتبة يتعصّب لمحمّد ـ صلى الله عليه وآله ـ، فإنّه من بني عبد مناف وابنه معه يريد أن يخذل بين الناس، لا واللّات والعزّى حتّى نقحم عليهم يثرب، أو نأخذهم أُسارى فندخلهم مكّة وتتسامع العرب بذلك؛ وكان أبوحذيفة بن عتبة مع رسول الله ـ صلى الله عليه آله ـ، وكان أبو سفيان لمّا جاز بالعير بعث إلى قريش قد نجّى الله عيركم

فارجعوا ودعوا محمّداً والعرب وادفعوه بـالراح مـا انـدفع، وإن لم تـرجـعوا فردّوا القيان.

فلحقهم الرسول بالجحفة فأراد عتبة أن يرجع فأبى أبـوجهل وبـنومخزوم، وردّوا القيان من الجحفة.

قال: وفزع أصحاب رسول الله لمّا بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرّعوا، فأنزل الله سبحانه: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾[1] وما بعده.[2]

قال: قال ابن عبّاس:[3] ولمّا أمسى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وجنّه الليل، ألقى الله على أصحابه النعاس.

أقـول: وذلك بعد نزولهم ببدر بالعدوة الدنيا، وهـو شـطّ الوادي مـمّا يـلي المدينة، وكانوا قد نزلوا بموضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم، فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً[4] حتّى لبّد الأرض وثبّت أقدامهم، وكان المطر على قريش مثل العزالي، وألقى الله في قلوبهم الرعب كما قال الله: ﴿ سَنُلْقِيْ فِيْ قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾.[5]

قال الطبرسي: ولمّا أصبح رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يـوم بـدر عـبّأ أصحابه فكان في عسكره فَرَسان، فرس للزبير بن العوّام، وفرس للمقداد بـن الأسود، وكان في عسكره سبعون جملاً كانوا يتعاقبون عليها، وكان رسول الله

ـــــــــــ

١. الأنفال (٨): ٩.

٢. مجمع *البيان* ٤: ٨٠٢ ـ ٨٠٤.

٣. هو المروي عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ راجع: مجمع *البيان* ٤: ٨٠٧.

٤. الرذاذ: جمع الرذ، والرذ: المطر الضعيف، والعزالي بـفتح العـين: جـمع عـزلا وهـو فـم الراوية [منه ـ رحمه الله ـ].

٥. آل عمران (٣): ١٥١.

وعليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد بن أبي مرثد.

وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس وقيل مائتا فرس، فلمّا نظرت قريش إلى قلّة أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال أبو جهل: ما هم إلّا أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد.

فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً أو مدداً، فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتّى طاف على عسكر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ثمّ رجع.

فقال: ليس لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خُرساً لا يتكلّمون؟! ويتلمّظون تلمّظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلّا سيوفهم، وما أراهم يولّون حتّى يُقتلوا، ولا يُقتلون حتّى يَقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم.

فقال له أبو جهل: كذبت وجبنت، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾.[1]

فبعث إليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال: يا معشر قريش إنّي أكره أن أبدأ بكم فخلّوني والعرب وارجعوا.

فقال عتبة: ما ردّ هذا قوم قطّ فأفلحوا، ثمّ ركب جملاً له أحمر، فنظر إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال.

فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: إن يك عند أحدٍ خير، فعند صاحب الجمل الأحمر، وإن يطيعوه يرشدوا.

---

١. الأنفال (٨): ٦١.

وخطب عتبة فقال في خطبته: يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدهر، إنّ محمّداً له إلّ[١] وذمّة وهو ابن عمّكم فخلّوه والعرب، فإن يك صادقاً فأنتم أعلى عيناً به وإن يكُ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره، فغاظ أبا جهلٍ قوله وقال له: جبنت وانتفخ سحرك.[٢]

فقال: يا مصفّر أُسته مثلي يجبن؟! وستعلم قريش أيّنا ألمم وأفسد، وأيّنا المُفسد لقومه، ولبس درعه وتقدّم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد وقال: يا محمّد! اخرج إلينا أكفائنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة نفرٍ من الأنصار وانتسبوا إليهم فقالوا: ارجعوا إنّما نريد الأكفاء من قريش، فنظر رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـإلى عبيدة بن الحرث بن عبد المطّلب وكان له يومئذٍ سبعون سنة، فقال: قم يا عبيدة، ونظر إلى حمزة وقال: قم يا عمّ، ثمّ نظر إلى عليّ بن أبي طالب ـعليه السلام ـ فقال: قم يا عليّ، ـوكان أصغر القوم ـ فاطلبوا بحقّكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفئ نور الله ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾.[٣]

ثمّ قال: يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة، وقال لحمزة: عليك بشيبة، وقال لعليّ ـعليه السلام ـ: عليك بالوليد.

فمرّوا حتّى انتهوا إلى القوم فقالوا: أكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلق هامّته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنّها[٤] فسقطا

---

١. الإلّ: «العهد».
٢. السُّحر بضم العين: الريه، منه [ـ رحمه الله ـ].
٣. التوبة (٩): ٣٢.
٤. أطنّ: «قطع».

جميعاً، وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتّى انثلما، وحمل أميرالمؤمنين عليّ ـعليه السلام ـ على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، قال عليّ ـعليه السلام ـ: لقد أخذ الوليد يمينه على يساره فضرب بها على هامّتي فظننت أنّ السماء وقعت على الأرض.

ثمّ اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا عليّ أما ترى أنّ الكلب قد نهز عمّك فحمل عليه عليّ ـعليه السلام ـ، ثمّ قال: يا عمّ طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره، فضربه عليّ فطرح نصفه، ثمّ جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه.[1]

قال الطبرسي: وحمل عبيدة حمزة وعليّ ـعليه السلام ـ حتّى أتيا به إلى رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ فاستعبر، فقال: يا رسول الله ألست شهيداً قال: بلى، أنت أوّل شهيد من أهل بيتي.[2]

وقال أبو جهل لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر أبناء ربيعة، عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتّى ندخلهم مكّة فنعرّفهم ضلالتهم التي هم عليها.

وجاء إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم، فقال لهم: أنا جارٌ لكم إدفعوا إليّ رايتكم، فدفعوا إليه راية المسيرة، وكانت الراية مع بني عبد الدار، فنظر إليه رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـفقال لأصحابه: غضّوا أبصاركم وعضّوا على النواجذ، ورفع يده فقال:

يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد، ثمّ أصابه الغشي فسرى عنه وهو يسلك

---

١. *مجمع البيان* ٤: ٨٠٩ ـ ٨١١.

٢. *تفسير الصافي* ٣: ٣٠٢ ـ ٣١٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٢٧٢ ـ ٢٨٢.

العرق عن وجهه، فقال: هذا جبرئيل قد أتاكم بألف من الملائكة مردفين.[١]

وفي *تفسير القمّي* خرج أبو جهل بين الصفّين فقال: اللهمّ إنّ محمّداً أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرفه فأحنه[٢] الغداة، فأنزل الله على رسوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.[٣]

ثمّ أخذ رسول الله كفّاً من حصى ورمى به في وجوه قريش وقال: شاهت الوجوه، فبعث الله رياحاً تضرب في وجوه قريش فكانت الهزيمة، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: اللهمّ لا يفلتن فرعون هذه الأُمّة أبو جهل بن هشام، فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون، والتقى عمرو بن الجموح مع أبي جهل، فضرب عمرو أبا جهل على فخذه، وضرب أبو جهل عمراً وعلى يده، فأبانها من العضد، فتعلّقت بجلده، فاتّكأ عمرو على يده برجله، ثمّ تراخى في السماء حتّى انقطعت الجلدة ورمى بيده.

وقال عبدالله بن مسعود: انتهيت إلى أبي جهل وهو يتشحّط بدمه، فقلت: الحمد لله الذي أخزاك، فرفع رأسه فقال: إنّما أخزى الله عبداً ابن أُمّ عبد، لمن الدبرة[٤] ويلك؟! قلت: لله ولرسوله،[٥] وإنّي قاتلك، ووضعت رجلي على عنقه فقال: ارتقيت مرتقىً صعباً يا رويعي الغنم، أما إنّه ليس شيء أشدّ من قتلك إيّاي في هذا اليوم، أما تولّى قتلي رجلاً من المطّلبيّين، أو رجلاً من الأحلاف،

---

١. مجمع *البيان* ٤: ٨١١.
٢. «أَحِنْهُ»، اي: «أهلكه» من «الحَيْن» بفتح الحاء، اي: الهلاک، *لسان العرب* ٣: ٤٢٣.
٣. الأنفال (٨): ١٩.
٤. في أغلب المصادر: «الدين»، في *المغازى* وسيرة *ابن هشام*: «الدائرة»، في الأصل المخطوطة و بعض نسخ *المغازى*: «الدبرة».
٥. *المغازى* للواقدي ١: ٩٠.

فاقتلعت بيضة كانت على رأسه، فقتلته وأخذت رأسه وجئت به إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وقلت: يا رسول الله! البشرى هذا رأس أبي جهل بن هشام، فسجد لله شكراً.

وأسر أبو بشر الأنصاري العبّاس بن عبد المطّلب وعقيل بن أبي طالب وجاء بهما إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال له: أعانك بهما أحد؟ قال: نعم، رجلٌ به ثياب بيض، فقال: ذلك من الملائكة.

ثمّ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ للعبّاس: افدِ نفسك، قال: يا رسول الله قد كنت أسلمت ولكنّ القوم استكرهوني، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه آله ـ: الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكره حقّاً فإنّ الله يجزيك عليه، وأمّا ظاهر أمرك فقد كنت علينا.

ثمّ قال: يا عبّاس، إنّكم خاصمتم الله فخاصمكم، ثمّ قال: افدِ نفسك وابن أخيك ـ وقد كان العبّاس معه أربعون أُوقية من ذهب فغنمها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ـ فلمّا قال رسول الله للعبّاس: أفدِ نفسك وابن أخيك، فقال: يا رسول الله احسبها من فدائي؟ فقال رسول الله: ذلك شيء أعطانا الله منك، فافدِ نفسك وابن أخيك.

فقال العبّاس: ليس لي مال غير الذي ذهب منّي، فقال: بلى، المال الذي خلّفته عند أُمّ الفضل بمكّة، فقلت لها: إن حدث عليّ حدث فاقسموه بينكم.

فقال له: تتركني أسأل الناس بكفّي، فأنزل الله على رسوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، ثمّ قال: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ ﴾ في عليّ، ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾.[1]

---

١. الأنفال (٨): ٧١.

ثمّ قال رسول الله لعقيل: قد قتل الله ـ يا أبا يزيد! ـ أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومنبه ونبيه ابني الحجّاج، ونوفل بن خويلد، وأُسر سهيل بن عمرو، والنضر بن حارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، وفلان وفلان.

فقال عقيل: إذاً لا تُنازَعوا في تهامة، فإن كنت أثخنت القوم وإلّا فاركب أكتافهم، فتبسّم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ من قوله.

وكان القتلى ببدر سبعين، والأسرى سبعين، قتل منهم أمير المؤمنين سبعة وعشرين ولم يأسر أحداً، فجمعوا الأُسارى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على أقدامهم وجمعوا الغنائم.

وقتل من أصحاب رسول الله تسعة رجال، فيهم سعيد بن خيثمة، وكان من النقباء، فرحل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ.[1]

أقول: والقصّة ذات تفصيل أوردوه في كتب الحديث والتاريخ، وإنّما أوردنا موضع الحاجة، ويستفاد من التأمّل في أطرافه: أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ كان يريد من أوّل الأمر الحرب مع قريش بأمر من ربّه، يشهد به قوله لسعد في المشاورة: كأنّي أنظر إلى مصارع فلان وفلان.

ومن هنا يظهر أنّ قصد العير كان لغرض استنفار قريش، وأنّ نزول الوحي في قوله: ﴿ **وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ** ﴾، وقوله: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا** ﴾،[2] كان رفقاً بأصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وتسكيناً لقلوبهم وتوطيناً لهم للقتال.

---

١. تفسير *القمّي* ١: ٢٦٧ ـ ٢٦٩؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٢٨٢ ـ ٢٨٦؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣١٢ـ٣١٥.

٢. الأنفال (٨): ٦١.

ويظهر أيضاً أنّ أمره ـ صلى الله عليه وآله ـ للعبّاس بالفداء كان حُكماً خاصّاً.

ويظهر أيضاً أنّه كان للملائكة بعض الإعانة، وأمّا القتال فلم يؤثّر فيه شيء إلّا ما في بعض الروايات ممّا لا ينبغي الركون إليه.

وفي القصّة نكات أُخرى.

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ ﴾

العير أو النفير، والشوكة هي الحِدّة، كنّى بها عن الحرب.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: إنّ ذات الشوكة التي فيها القتال.[١]

وروي أنّ العير لمّا أخذت طريق البحر، نزل جبرئيل على النبيّ، فقال: يا محمّد! إنّ الله وعدكم إحدى الطائفتين: إمّا العير وإمّا قريشاً.[٢]

قوله: ﴿ أَنْ يُحِقَّ ٱلحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾

قيل: يعني بكلماته المنزلة من آياته، وقيل: يعني بأوليائه.

وفي *تفسير القمّي*: الكلمات الأئمّة.[٣]

أقول: وهو تفسير أو تأويل غير مختصّ بالمورد، بل عامّ.

*

---

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ٤٩، الحديث: ٢٣.

٢. تفسير *القمّي* ١: ٢٥٨.

٣. تفسير *القمّي* ١: ٢٦٩.

[لِيُحِقَّ ٱلحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلمُجْرِمُونَ (٨) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ ٱلمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ ٱللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيْكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلمَلَائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ ٱلأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ ٱلعِقَابِ (١٣) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤)]

قوله: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلبَاطِلَ ﴾

تعليل للوعد أو الإخراج وليس من التكرار في شيء، فإنّ الأوّل خاصّ والثاني عامّ، وبذلك يستقيم التعليل ويرتفع التكرير.

قوله سبحانه: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾

في *المجمع* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: إنّ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ لمّا نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلّة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: اللهمّ أنجز لي ما وعدتني، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض، فما زال يهتف ربّه مادّاً يديه حتّى سقط رداءه عن منكبيه، فأنزل الله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ﴾[1]

قوله سبحانه: ﴿ بِأَلْفٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

الردف والمرتدف، هو الذي يركب خلف الراكب، والإرداف أخذه ردفاً، ويكنّى به عن إتباع شيء شيئاً، ففي الآية دلالة على أنّ هؤلاء الملائكة كان يتبعهم آخرون كما قيل، فلا ينافي قوله في سورة آل عمران: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا ٱللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾.[2]

قوله: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ﴾

النعاس: النوم الخفيف، وهو السنة، والأمنة: الأمن.

قوله: ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

لا يبعد أن يكون الضرب فوق الأعناق كناية عن تذليلهم وإحباط حميّتهم، وضرب البنان كناية عن تسليط الرعب عليهم فلا يمسك أيديهم السلاح، ولذا

---

١. *مجمع البيان* ٤: ٨٠٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٢٨٩.

٢. آل عمران (٣): ١٢٣ ـ ١٢٥.

خصّ فوق الأعناق والبنان بالذكر، ويؤيّده قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾.

فالملائكة ما نزلت للقتال وإنّما نزلت بشرى ولتثبيت المؤمنين وخذلان المشركين، وما ورد في بعض الروايات ممّا يُشعر بخلافه ليس ممّا ينبغي الركون إليه والاعتماد عليه، وقد قال سبحانه: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾[١]

فالجند من السماء لو نزلت فإنّما ينزل للتأييد والخذلان دون القتال.

*

١. يس (٣٦): ٢٨.

[يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ ٱلأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ ٱللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلفَتْحُ وَإِنْ تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِنْدَ ٱللهِ ٱلصُّمُّ ٱلبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ

فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا ٱللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾]

قوله سبحانه: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً﴾

الزحف: الدنوّ قليلاً قليلاً، ودنوّ الجيشين بعضهم من بعض، والتحرّف: أخذ حرف أيّ طرف، والتحيّز: أخذ الحيّز.

في *تفسير العيّاشي* عن الكاظم ـعليه السلامـ: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ﴾ قال: متطرّداً يريد الكرّة عليهم، أو متحيّزاً يعني متأخّراً إلى أصحابه من غير هزيمة، فمن انهزم حتّى يجوز صفّ أصحابه فقد باء بغضب من الله.[1]

قوله سبحانه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ﴾

لمّا كانت الأسباب التي توجب الغلبة وتبشّر بالظفر والفتح غير موجودة ولا واحد منها بحسب الظاهر في جانب المؤمنين، فإنّهم كانوا أقلّاء ضعفاء، ولم يكن معهم ما يغنيهم من راحلة وزاد وماء وسائر ما يتوقّف عليه ورودهم في الحرب، فضلاً عن غلبتهم وتقدّمهم على عدوّهم، وقد تمّ لهم العدّة، والعدّة

١. *تفسير العيّاشي* ٢: ٥١، الحديث: ٣١.

والشوكة صحّ أن ينفي عنهم القتل وينسب إلى الله سبحانه وهو ناصرهم، فنفاه الله تعالى عنهم وقال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾.

ولمّا كان هذا إنّما يكفي في نفي الأسباب العاديّة الطبيعيّة دون الأسباب غير العاديّة، كرمي رسول الله الحصاة ونزول الملائكة، وكان المراد نفي الجميع غير الله سبحانه نفى رمي رسول ثانياً حتّى لا يتوهّم أنّ الرسول لاتّصاله بجانب الله له تأثير وفعل، فقال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾، وكان حقّ الكلام التدرّج من الضعف إلى القوّة.

ولذلك قدّم نفي القتل عنهم، ثمّ أردفه بنفي الرمي من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إشعاراً بالتعظيم والحرمة، ومع ذلك لم ينفِ الرمي كلّ النفي، كما نفى القتل كلّ النفي، فقال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ ولم يقل فلم تقتلوهم إذ تقتلونهم، ففيه مع ذلك إشعار بأنّ فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فعله سبحانه دون فعلهم ترفيعاً لفعله عن فعلهم.

وفي قوله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ وجه آخر وهو أنّ فعله ـ صلى الله عليه وآله ـ فعل الله سبحانه لمكان الولاية الكلّية، وقد تقدّم في الكلام على الولاية ما يوضح المقام فارجع إليه.

قوله سبحانه: ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾

في *تفسير أبي حمزة* قال أبو جهل: اللهمّ ربّنا ديننا القديم ودين محمّد الحديث، فأيّ الدينين أحبّ إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم.[1]

---

١. *بحار الأنوار* ١٩: ٢٢٩.

وروي أنّه قال: أيّنا أهجر وأقطع للرحم فأهنه[١] اليوم.[٢]

أقول: وقد قاله في بدر بين الصفّين وقد تهيّأ الطرفان للقتال، وهذا يدلّ على أنّ قوله: ﴿ **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَتْحُ** ﴾، خطاب للمشركين على سبيل التهكّم، وهو الوجه في الالتفات من الغيبة إلى خطابهم، وأمّا كونه خطاباً للمؤمنين، فسياق الآيات لا يساعد عليه.

قوله سبحانه: ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ** ﴾

أي لو وجد فيهم خيراً وقابليّة لأسمعهم، فإنّ العلم والوجدان هناك واحد.

وقوله: ﴿ **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ** ﴾

أي لو أعطى لهم السمع ولم يجد فيهم ما يقبله كمن يعطى قوّة السمع ولا أُذُن له كان ضائعاً باطلاً ولتولّوا وهم معرضون.

وفي *المجمع* عن الباقر ـعليه السلام ـ: نزلت في بني عبد الدار، لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له: سُوَيْبط.[٣]

قوله سبحانه: ﴿ **وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾

الإتيان بلفظ المرء دون الإنسان العامّ للمرء والمرأة لأنّها المخاطبة مع الرجال، وتخصيص القلب بالذكر بناءً على أنّهم يريدون بالقلب في أمثال هذه الموارد

١. قوله: «فَأَهِنه» من الوهن بمعنى الضعف، وفي رواية: «فَأَحِنه» بالحاء، من «الحَيْن» بفتح الحاء بمعنى الهلاک، اي: أهلكه. راجع: *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٢٨٤؛ تفسير *القمي* ١: ٢٦٧.

٢. بحار *الأنوار* ١٩: ٢٢٩، مع تفاوة.

٣. مجمع *البيان* ٤: ٨١٨.

النفس الإنسانيّة من حيث أنّها مدركة، وكأنّه بناءً على ما كانوا يعتقدونه من أنّ الإدراك بالحياة ومتعلّق الحياة هو القلب، ومن الواضح أنّ المراد بالقلب في أمثال المورد ليس هو اللحم الصنوبري المعلّق عن يسار الصدر.

وكيف كان فالمراد أنّ الله يحول بين الإنسان ونفسه، عبّر بهذه العبارة ليكون أقرب من الفهم وأسهل في التلقّي، والله سبحانه قد أثبت لنفسه الملك المطلق كما قال: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾،(١) وقال: ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾،(٢) وكلّ شيء خصّ بشيء أو ارتبط به شيء فقد ملكه كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴾،(٣) وقال: ﴿ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً ﴾.(٤)

وعلى هذا فكلّ إضافة بين شيئين فهو ملك مّا من حيث إنّ للمضاف قياماً بالمضاف إليه واختصاصاً به، فقولك مالي وجاهي وأخي ونفعي وضرّي وحياتي ونفسي، كلّ ذلك من الملك، وهو سبحانه المالك حقيقة، وهو سبحانه الواسطة والرابط بين المضاف والمضاف إليه في جميع موارده، فله سبحانه الحيلولة المطلقة، فهو سبحانه حائل بيننا وبين قلوبنا في جميع ما ندركه أو نحبّه أو نبغضه أو نريده أو نتمنّاه أو نرجوه أو نخاف منه، فلا المدرك منّا يمكنه أن يدرك ويفهم شيئاً من غير إلهامه وهدايته، ولا المطيع منّا يقوى على إطاعةٍ من دون توفيقه وتسديده، ولا العاصي يقدر على ذنب وسيّئة بلا خذلان وسخط

١. آل عمران (٣): ٢٦.
٢. الأنعام (٦): ٧٣.
٣. الفرقان (٢٥): ٣.
٤. الفتح (٤٨): ١١.

منه سبحانه، والهداية والتوفيق والخذلان جهات الحيلولة وأنحاء الوساطة.

ثمّ إنّ ورود قوله: ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾، تلو قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾، تأكيد للأمر بالاستجابة وتحضيض، حتّى يتنبّهوا ويكونوا على حزم من أمرهم، فإنّهم إذا كانوا على علم بمقام ربّهم من الحيلولة، وأنّهم إليه محشورون لا محالة، أخذوا بالحزم والاحتياط في أمرهم، ولم يسامحوا في استجابتهم لدعوة الله ودعوة رسوله.

كما يشعر به ما ذكره سبحانه بقوله: ﴿ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾، فيكون المعنى أنِ استجيبوا إذا دُعيتم إلى ما يحييكم، واعلموا أنّ الله سبحانه عند قلوبكم يلهمكم الخير والشرّ، والطاعة والمعصية، فلا يمكنكم أن تعتذروا بالجهل وعدم تمييز الحقّ من الباطل، والحياة من الموت، أو المعنى كونوا على حذر واعلموا أنّ قلوبكم بيده لا يعجزونه بمشيئة وإرادة وحبّ وبغض.

وعلى كلّ من المعنيين وردت روايات:

ففي تفسير *العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: لا يستيقن [القلب] أنّ الحقّ باطل أبداً، ولا يستيقن أنّ الباطل حقّ أبداً.[١]

وفي *التفسير* أيضاً عنه ـ عليه السلام ـ قال: يحول بينه وبين أن يعلم أنّ الباطل حقّ.[٢]

وفي *التفسير* أيضاً عنه ـ عليه السلام ـ في الآية قال ـ عليه السلام ـ: هو أن

---

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ٥٣، الحديث: ٣٩؛ مجمع *البيان* ٤: ٨٢٠.

٢. تفسير *العيّاشي* ٢: ٥٢، الحديث: ٣٦.

يشتهي الشيء بسمعه وبصره ولسانه ويده، أمّا إنّه لا يغشى شيئاً منها، وإن كان يشتهيه فإنّه لا يأتيه إلّا وقلبه منكر لا يقبل الذي يأتي يعرف أنّ الحقّ ليس فيه.[1]

أقول: وقد ورد في معناها غيرها، وهي جميعاً مرويّة بطرق، رواها الكليني والصدوق والبرقي ـ رضي الله عنهم ـ في كتبهم، وهي إشارة إلى المعنى الأوّل الذي ذكرناه.[2]

وفي *تفسير العيّاشي* أيضاً في الآية عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: هذا الشيء يشتهيه الرجل بقلبه وسمعه وبصره ولا يتوق نفسه إلى غير ذلك، فقد حيل بينه وبين قلبه إلى ذلك الشيء.[3]

أقول: وهو إشارة إلى المعنى الثاني الذي ذكرناه، وقد قيل: إنّ معنى الآية أنّ الله يحول بين المرء وقلبه بالموت، أي يحول بينه وبين أماني قلبه وآماله البعيدة بالموت، فلا ينالها فتكون الآية قريبة المعنى من قوله تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ * فَلِلَّهِ ٱلآخِرَةُ وَٱلأُولَىٰ ﴾،[4] وهو راجع إلى المعنى الذي ذكرناه، غير أنّه تخصيص من غير مخصّص.

وفي *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾، يقول: ولاية عليّ بن أبي طالب، فإنّ اتّباعكم إيّاه وولايته أجمع لأمركم وأبقى للعدل فيكم، وأمّا قوله: ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾، يقول: بين المرء[5] ومعصيته أن

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ٥٢، الحديث: ٣٧؛ *بحار الأنوار* ٧٠: ٥٨.

٢. *التوحيد*: ٣٥٨؛ *المحاسن*: ٢٣٧ و ٢٧٦.

٣. تفسير *العيّاشي* ٢: ٥٢، الحديث: ٣٨.

٤. النجم (٥٣): ٢٤ ـ ٢٥.

٥. كذا في *البرهان في تفسير القرآن*، وفي المصدر: «بين المرء ومعصيته التي»

يقوده إلى النار، ويحول بين الكافر وطاعته أن يستكمل بها الإيمان، واعلموا أنّ الأعمال بخواتيمها.[١]

أقول: وذلك أنّ السعادة والشقاء للقلب إنّما يأتيان من ناحية العمل، غير أنّ الله سبحانه إذ كان حائلاً بين المرء وقلبه لا يستقلّ العمل في تأثيره في القلب سعادة وشقاء، إلّا أن يشاء الله سبحانه ذلك، فمرجع هذا الوجه أيضاً إلى المعنى الثاني كما لا يخفى.

وفي *تفسير البرهان* قال: ومن طرق العامّة ما نقله ابن مردويه عن رجاله مرفوعاً إلى الإمام محمّد بن عليّ الباقر ـعليه السلام ـ في قوله: ﴿ **ٱسْتَجِيبُوا لِلهِ** ﴾ قال: نزلت في ولاية عليّ بن أبي طالب ـعليه السلام ـ.[٢]

أقول: وقد ورد هذا المعنى في روايات الخاصّة عن الباقر والصادق ـعليهما السلام ـ، ويمكن أن يكون من باب الجري والتطبيق.[٣]

وربما يؤيّده ما في *تفسير القمّي*، قال: الحياة الجنّة،[٤] الحديث، فإنّ ظاهره تعميم الآية.

قوله سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ﴾

في *المجمع*: إنّه قرأ عليّ والباقر ـعليهما السلام ـ «لتصيبنّ» باللام.[٥]

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٢٧١، *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٢٩٦.
٢. *البرهان في تفسير القرآن*: ٤: ٢٩٥؛ *تأويل الآيات* ١: ١٩١.
٣. راجع: *الكافي* ٨: ٢٤٨، الحديث: ٣٤٩؛ *كشف الغمّة* ١: ٣٢١؛ *المناقب* ٣: ٢٠٢؛ وغيرها.
٤. *تفسير القمّي* ١: ٢٧١.
٥. *مجمع البيان* ٤: ٨١٨.

أقول: أفعال الإنسان صادرة عن مبادئ وملكات نفسانيّة خفيّة غير محسوسة، والأفعال مع ذلك تهيّئ بتكرّرها ملكات تناسبها، فالملكات تصدر أفعالاً تناسبها وتدفع من الأفعال ما لا يلائمها، فإذا أُريد ظهور ما في النفس من صفة كامنة عرض عليها أفعال تلائمها أو تضادّها، حتّى يظهر تأثيرها ويبرز ذاتها وحدّها ومقدارها، والغالب على الإنسان الجهل بمكمونات النفوس، ولذلك يستعمل الامتحان لغرض رفع الجهل وظهور الأمر.

لكنّ الله سبحانه يستحيل عليه الجهل، فامتحاناته وابتلاءاته لغرض التربية، وهو ربّ العالمين يُخرج بذلك كلّ شيء من القوّة إلى الفعل في جميع الجهات ويظهر ما فيه من الاستحقاق.

ومن هنا يظهر أنّ الفتنة والامتحان ممّا لا مناص عنه في شيء، فكلّ ما في وسع الإنسان من خير أو شرّ يجب أن يظهر بالامتحان الإلهي ليتمّ التربية، فإن كان خيراً كان تربية وإسعاداً، وإن كان شرّاً كان تربية وخذلاناً وإضلالاً، وإليه يشير ما سيأتي عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: من استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن، الحديث.[١]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية: أخبرت أنّهم أصحاب الجمل.[٢]

أقول: وهو من الجري.

قوله سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾

وقوع الآية في ذيل الآيات السابقة وما عدّه تعالى من النعم يدلّ على أنّ

---

١. *بحار الانوار* ٩٤: ١٩٧؛ *نهج البلاغة*: ٤٨٤، قسم الحكم، الكلمة: ٩٣.

٢. تفسير *العيّاشي* ٢: ٥٣، الحديث: ٤١؛ *الدر المنثور* ٤: ٤٦.

الخطاب فيها للمهاجرين خاصّة، فالمراد بالنصر ما نصره الله في وقعة بدر، ومن الطيّبات، الغنائم.

وفي *تفسير القمّي*: نزلت في قريش خاصّة.[١]

وفي *تفسير الصافي*: وهو مرويّ عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.[٢]

أقول: ولعلّ المراد بقريش المهاجرون خاصّة.

قوله سبحانه: ﴿ لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾

في *المجمع* عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، وذلك أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حاصر يهود بني[٣] قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير، على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله إلّا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأنّ عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فأتاهم.

فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة! أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه، أنّه الذبح فلا تفعلوا، فأتاه جبرئيل فأخبره بذلك.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي عن مكانهما حتّى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله، فنزلت الآية فيه، فلمّا نزلت شدّ نفسه على سارية[٤] من سواري

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٢٧١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٢٩٩.

٢. *تفسير الصافي* ٣: ٣٢٣.

٣. لفظ «بني» ساقط عن المصدر، ولكن موجود في *البرهان في تفسير القرآن*

٤. السارية: «الأسطوانة».

المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتّى أموت أو يتوب الله عليّ، فمكث سبعة أيّام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتّى خرّ مغشيّاً عليه، ثمّ تاب الله عليه.

فقيل له: يا أبالبابة! قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحلّ نفسي حتّى يكون رسول الله هو الذي يحلّني، فجاءه ـ صلى الله عليه وآله ـ فحلّه بيده، ثمّ قال أبو لبابة: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن انخلع من مالي، فقال النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ: يجزيك الثلث أن تصدّق به.[١]

وفي *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: فخيانة الله والرسول معصيتهما، وأمّا خيانة الأمانة فكلّ إنسان مأمون على ما افترض الله عزّ وجلّ عليه.[٢]

قال: نزل في أبي لبابة بن عبد المنذر، فلفظ الآية عامّ ومعناها خاصّ، قال: ونزلت في غزوة بني قريظة في سنة خمس من الهجرة، وقد كتبت في هذه السورة مع أخبار بدر، وكانت على رأس ستّة عشر شهراً من مقدم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ المدينة، ونزلت مع الآية التي في سورة التوبة قوله: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾[٣] التي نزلت في أبي لبابة، قال:[٤] فهذا دليل على أنّ التأليف على خلاف ما أنزل الله على نبيّه ـ صلى الله عليه وآله ـ،[٥] الحديث.

أقول: قوله: وأمّا خيانة الأمانة ـ الى آخره ـ، معناه أنّ وقوع قوله تعالى: ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾، بعد قوله: ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾، للإشارة إلى أنّ

---

١. *مجمع البيان* ٤: ٨٢٣؛ *تفسير الصافي* ٣: ٣٢٤؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٠٠.
٢. تفسير *القمّي* ١: ٢٧١ ـ ٢٧٢.
٣. التوبة (٩): ١٠٢.
٤. في المصدر: ـ «قال»
٥. تفسير *القمّي* ١: ٢٧٢؛ *تفسير الصافي* ٣: ٣٢٥.

خيانة الله والرسول من مصاديق خيانة الأمانة، فيفيد التعليل بوجه، ويصير المعنى: أن لا تخونوا الله والرسول فإنّها خيانة لأماناتكم.

قوله سبحانه: ﴿ أنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

وجه اتّصالها بالآية السابقة معلوم، فإنّ أبا لبابة إنّما أقدم على ما أقدم رعايةً لحال أمواله وأولاده.

وفي *المجمع* عن عليّ ـعليه السلام ـ: لا يقولنّ أحدكم: اللهمّ إنّي أعوذ بك من الفتنة، لأنّه ليس أحد إلّا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن، فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿ أنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾.[1]

أقول: وقوله عليه السلام: فإنّ الله ،ـالى آخره ـ، تعليل لقوله: ليس أحد ـ الى آخره.

*

١ . مجمع *البيان* ٤ : ٨٢٤؛ نهج *البلاغة* : ٤٨٤؛ بحار *الأنوار* ٩٤ : ١٩٧ .

[وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللهُ وَٱللهُ خَيْرُ ٱلمَاكِرِينَ (٣٠) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ (٣١) وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ ٱلحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا ٱلمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ ٱلبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا ٱلعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ ٱللهُ ٱلخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلخَاسِرُونَ (٣٧) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ ٱلأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ

وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾]

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾

الإثبات هو الحبس.

ظاهر الآية أنّها نزلت بعد الهجرة أو بعد قضيّة دار الندوة لمكان قوله: ﴿ وَإِذْ ﴾، كما هو ظاهر ما في *تفسير العيّاشي* عن أحدهما ـ عليهما السلام ـ: إنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطن أُناس، ثمّ انطلقوا إلى دار الندوة ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله، فإذا هم بشيخ قائم على الباب فإذا ذهبوا إليه ليدخلوا، قال: أدخلوني معكم قال: ومن أنت يا شيخ؟

قال: أنا شيخ من [بني] مضر ولي رأي أُشير به عليكم، فدخلوا وجلسوا وتشاوروا وهو جالس، وأجمعوا أمرهم على أن يخرجوه، فقال: ليس هذا لكم برأي، إن أخرجتموه أجلب عليكم الناس فقاتلوكم، قالوا: صدقت، ما هذا برأي، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يوثقوه، قال: هذا ليس بالرأي، إن فعلتم هذا ـ ومحمّد رجل حلو اللسان ـ أفسد عليكم أبناءكم وخدمكم، وما ينفع أحدكم لو فارقه ابنه وأخوه أو امرأته، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم أن يقتلوه، يُخرجون من كلّ بطن منهم بشاهر فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكعبة، ثمّ قرأ هذه الآية: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾.(١)

أقول: والقصّة معروفة وردت بها الروايات من طرق العامّة والخاصّة مجملة ومفصّلة، وما أوردناه أقرب من المعنى الذي اشتركت فيه الجميع ونطق بها

---

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ٥٣ ـ ٥٤، الحديث: ٤٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣١٦.

التاريخ، وسنورد القصّة بتمامها في آية «الغار» من سورة البراءة.

وفي بعض الروايات أنّ الآية نزلت حينئذٍ، وقد مرّ أنّ ظاهر الآية غير ذلك، لكنّ ظاهرها أنّ القول قول الراوي كما فيما عن ابن عبّاس وهند بن أبي هالة، وما في *تفسير القمّي*.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾

إعادة مكر الكفّار في الذكر ثانياً ليتمّ صورة المقابلة في قوله: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾، فيدلّ على تفاعل المكرين وتدافعهما، و﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾.[1]

هذا والمكر هو الفعل الذي ظاهره خير وباطنه شرّ، فيأمنه ويأنس به الممكور له، فلا يتّقي شرّه، فيؤثّر فيه بباطنه الشرّ، والمستعمل منه بين الناس غالباً هو المكر لغرض الغدر والإغفال فيكون مذموماً، وإن كان ربما كان لغرض آخر فلا يكون مذموماً كالمكر مع من يمكر بك تريد به دفعه، فالمكر غير مذموم بالذات وإنّما يختلف بالوجوه والاعتبارات.

وعلى هذا يمكن أن يطلق عليه تعالى كما أطلقه على نفسه في كتابه، ومكر الكفّار وهو أن يفعلوا فعلاً ظاهره حسن وباطنه سيّء، يريدون به المكر بالله تعالى وبرسوله، هو بعينه فعل يحسبونه لهم، وهو في الواقع عليهم، فمكرهم برسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ مكر من الله بهم، فقوله سبحانه: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾، نظير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

---

١. الفتح (٤٨): ١٠.

مُسْتَهْزِئُونَ * ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ،[١] فاستهزاؤهم بالمؤمنين بعينه استهزاء من الله تعالى بهم.

وبالجملة، فالمكر من الله سبحانه هو الفعل يفعله الإنسان يحسبه خيراً له وهو شرّ له، وحيث كان مكر الماكر ربّما كان مذموماً إذا كان لغرض مذموم، أو ممدوحاً حسناً إذا كان لغرض ممدوح وهو من الله سبحانه حسن، لأنّه لا يفعل إلّا الحسن، ولا يفيض إلّا الخير، صحّ أنّه خير الماكرين كما سمّى به نفسه.

قوله سبحانه: ﴿ قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا ﴾ ـإلى قولهـ: ﴿ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ قيل: قائله النضر بن الحرث بن كلدة، وهو الذي جاء بحديث رستم وإسفنديار من بلاد فارس، وزعم أنّ ما جاء به النبيّ من قبيل ذاك، وحضر بدراً مع المشركين، فأُسر وسيق مع الأسارى حتّى نزل رسول الله الأثيل، وهو مكان على ستّة أميال من بدر، نزل به عشيّة يومه فأحضره وعقبة بن أبي معيط، ثمّ أمر عليّاً فضرب أعناقهما.

وقوله: ﴿ قَدْ سَمِعْنَا ﴾
حذف متعلّق الفعل للتحقير والاستكبار، وكذا الإتيان باسم الإشارة مكان الضمير في قوله ﴿ مِثْلَ هَذَا ﴾.

وقوله: ﴿ إِنْ هَذَا ﴾
في مكان التعليل له.

---

١. البقرة (٢): ١٤ ـ ١٥.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا ﴾

في *تفسير القمّي*: قاله أبو جهل، وفيه أيضاً: نزلت ـ يعني الآيات ـ لمّا قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لقريش: إنّ الله بعثني لأقتل[1] جميع ملوك الدنيا وأجرّ الملك إليكم، فأجيبوني إلى ما أدعوكم إليه تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم وتكونوا ملوكاً في الجنّة.

فقال أبو جهل: اللهمّ إن كان هذا الذي يقول محمّد هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم حسداً لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ.

ثمّ قال: كنّا وبني هاشم كفرسي رهان، نحمل إذا حملوا ونطعن إذا طعنوا ونوقد إذا أوقدوا، فلمّا استوى بنا وبهم الركب، قال قائل منهم: منّا نبيّ، لا نرضى بذلك أن يكون في بني هاشم ولا يكون في بني مخزوم.

ثمّ قال: غفرانك اللهمّ فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ حين قال: غفرانك اللهمّ، فلمّا همّوا بقتل رسول الله وأخرجوه من مكّة، قال الله: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ﴾، يعني قريشاً ما كانوا أولياء مكّة، ﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾، أنت وأصحابك يا محمّد، فعذّبهم الله يوم بدر فقتلوا.[2]

وفي *المجمع* عن الصادق عن آبائه ـ عليهم السلام ـ: لمّا نصب رسول الله عليّاً يوم غدير خم، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، طار ذلك في البلاد، فقدم على النبيّ النعمان بن الحارث الفهري فقال:

---

١. في المصدر: «أن أقتل»

٢. *تفسير القمّي* ١: ٢٧٦ ـ ٢٧٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٢٢.

أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، وأمرتنا بـالجهاد والحجّ والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها، ثمّ لم ترضَ عنها حتّى نـصبت هـذا الغلام، فقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه فهذا شيء منك أو أمر من الله؟

فقال صلى الله عليه و آله: والله الذي لا إله إلّا هو، إنّ هـذا مـن الله. فـولّى النعمان بن الحرث وهو يقول: اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، فرماه الله بحجر على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِـعٍ ﴾.[1][2]

أقول: والرواية غير ظاهرة في كونه شأن النزول، وإنّما هي كلمة قالها.

وفي *نهج البلاغة* قال ـعليه السلام ـ: كان في الأرض أمانان من عذاب الله، فرفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسّكوا به، أمّا الأمان الذي رفـع فـرسول الله، وأمّا الأمان الباقي فالإستغفار، ثمّ تلا الآية.[3]

أقول: وروى العيّاشي في *تفسيره* عن الصادق ـعليه السلام ـ ما في معناه.[4]

قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾

إتيان خبر كان مضارعاً ودخول اللام فيه يفيد نفي العذاب حـالاً واسـتقبالاً، وتبديل الفعل بالإسم في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾، يفيد النفي استقبالاً.

قوله سبحانه: ﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

---

١. المعارج (٧٠): ١.
٢. *مجمع البيان*: ١٠: ٥٣٠؛ *تفسير الصافي* ٣: ٣٣٤.
٣. *نهج البلاغة*: ٤٨٣، حكمه عليه السلام: ٨٨.
٤. *تفسير العيّاشي* ٢: ٥٤، الحديث: ٤٤.

فإنّه بيت التقوى والهداية، فلا يليه إلّا المتّقون، ولكن أكثرهم لا يعلمون فيظنّون أنّ الملك بالغلبة.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: التصفير والتصفيق.[١]

وفي *العيون* عن الرضا ـعليه السلام ـ: سمّيت مكّة مكّة لأنّ الناس يمكّون فيها، وكان يقال لمن قصدها: قد مكا وذلك قول الله: **﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾**، فالمكاء التصفير، والتصدية صفق اليدين.[٢]

أقول: فالاشتقاق من الاشتقاق الكبير، فإنّ مكّة مضاعف والمكاء من المعتلّ.

وفي الخبر تأييد لما ذكره بعضهم: أنّهم كانوا يطوفون عراة يشبّكون بين أصابعهم ويصفّرون فيها ويصفّقون، ثمّ ذكر أنّهم كانوا يفعلون ذلك إذا قرأ رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـفي صلاته يخلطون عليه.

وفي *المجمع* روي أنّ النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـكان إذا صلّى في المسجد الحرام، قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه فيصفّران، ورجلان عن يساره فيصفّقان بأيديهما فيخلطان عليه صلاته فقتلهم الله جميعاً ببدر.[٣]

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ ﴾

في *تفسير القمّي*: نزلت في قريش لمّا وافاهم ضمضم وأخبرهم بخبر رسول الله

---

١. *تفسير العيّاشي* ٢: ٥٥، الحديث: ٤٦.

٢. *عيون أخبار الرضا ـعليه السلام ـ* ٢: ٨٩، الباب: ٣٣، الحديث: ١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٢٤.

٣. *مجمع البيان* ٤: ٨٣١.

في طلب العير، فأخرجوا أموالهم وحملوا وأنفقوا وخرجوا إلى محاربة رسول‌الله ببدر، فقتلوا وصاروا إلى النار وكان ما أنفقوا حسرة عليهم.[١]

قوله سبحانه: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾

الآية تدلّ على لحوق الكفّار بعضهم ببعض، فكلّ خبيث من نفس أو عمل يرجع إلى ما يسانخه، ويساق المجموع بصفة الركوم والجمع إلى جهنّم، وتفيد أيضاً أنّ صفة الانتزاع والتمّيز إنّما تتعلّق بالخبيثات، وأمّا الطيّبات فهي أصل ثابت مجتمع الأطراف، لا تحتاج إلى جمع وتميّز، وقد مرّ في قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[٢] من سورة الأعراف ما يناسب المقام من الكلام.

وفي *العلل* عن الباقر ـعليه السلام ـ في حديث: إنّ الله سبحانه مزج طينة المؤمن حين أراد خلقه بطينة الكافر، فما يفعل المؤمن من سيّئة فإنّما هو من أجل ذلك المزاج، وكذلك مزج طينة الكافر حين أراد خلقه بطينة المؤمن، فما يفعل الكافر من حسنة فإنّما هو من أجل ذلك المزاج.

ثمّ قال: فإذا كان يوم القيامة ينزع الله من العدوّ الناصب سنخ المؤمن ومزاجه وطينه وجوهره وعنصره مع جميع أعماله الصالحة ويردّه إلى المؤمن، وينزع الله من المؤمن سنخ الناصب ومزاجه وطينه وجوهره وعنصره مع جميع أعماله السيّئة الرديّة ويردّه إلى الناصب عدلاً منه جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه، ويقول للناصب: لا ظلم عليك هذه الأعمال الخبيثة من طينتك ومزاجك وأنت أولى بها، وهذه الأعمال الصالحة من طينة المؤمن ومزاجه وهو أولى بها ﴿ لَا ظُلْمَ

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٢٧٧.
٢. الأعراف (٧): ٢٩.

ٱلۡيَوۡمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾.[١]

ثمّ قال: أزيدك في هذا المعنى من القرآن، أليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾،[٢] وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ * لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾.[٣][٤]

أقول: وقد اتّضح معنى الحديث فيما تقدّم، وأمّا قوله تعالى: ﴿ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾،[٥] فتعليل ارتفاع الظلم بسرعة محاسبته سبحانه، إنّما هو لأنّ التأخير في الجزاء لتأخير الحساب بالمسامحة والتعويق ظلم، فإذا وقعت السرعة في الحساب من غير بطء لم يقع ظلم.

فإن قلت: فتأخير حساب الأعمال الدنيويّة إلى يوم القيامة ظلم.

قلت: المجازاة الدنيويّة واقعة في الدنيا بأقرب وقت، والمجازاة البرزخيّة كذلك، وأمّا فصل القضاء والمجازاة التامّة الحقيقيّة فموطنه يوم القيامة، وما في يوم القيامة لا يمكن ظهوره في غيره وإن تحقّق أصله، ويدلّ على هذا الذي ذكرنا آيات كثيرة جدّاً سنتعرّض لبيان كلّ منها فيما يختصّ به من الموارد، وقد مرّ في أوائل سورة البقرة ما ينفع في هذا المقام فارجع إليه والله الهادي.

---

١. غافر (٤٠): ١٧.

٢. النور (٢٤): ٢٦.

٣. الأنفال (٨): ٣٦ ـ ٣٧.

٤. لم نجده في *علل الشرائع* ولكن رواه المجلسي ـ رحمه الله ـ في *بحار الأنوار* ٦٧: ١٠٥ ـ ١٠٧ الحديث: ٢١.

٥. غافر (٤٠): ١٧.

قوله سبحانه: ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

أي طريقتنا في الأمم السالفة حين جحدوا الحقّ وتحزّبوا على الأنبياء فأهلكهم الله تعالى بذنوبهم، تخويف وإنذار لكفّار قريش وغيرهم.

قوله سبحانه: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾

في *تفسير القمّي*: أي كفر، قال عليه السلام: هي ناسخة لقوله: ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾،[١] ولقوله: ﴿ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾.[٢][٣]

قوله سبحانه: ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾

في *الكافي* عن الباقر ـعليه السلام ـ: لم يجئ تأويل هذه الآية بعد أنّ رسول الله رخّص لهم لحاجته وحاجة أصحابه، ولو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم، ولكنّهم يقتلون حتّى يوحّد الله وحتّى لا يكون شرك.[ث]

وفي *تفسيري المجمع والعيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: لم يجئ تأويل هذه الآية، ولو قد قام قائمنا بعد، سيرى من يدركه ما يكون عن تأويل هذه الآية وليبلغن دين محمّد ـصلى الله عليه وآله ـ ما بلغ الليل حتّى لا يكون شرك على ظهر الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾.[٤][٥]

---

١. النساء (٤): ٧٧.

٢. الأحزاب (٣٣): ٤٨.

٣. *تفسير القمّي* ١: ٢٧٨.

ث. *الكافي* ٨: ١٧٢، الحديث: ٢٤٣؛ *المحجة*: ٧٨؛ *منتخب الأثر*: ٢٩٠.

٤. *مجمع البيان* ٤: ٨٣٤؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ٥٦، الحديث: ٤٨؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٢٦؛ *تفسير الصافي* ٣: ٣٣٩؛ *بحار الأنوار* ٥١: ٥٥؛ *المحجه*: ٧٨؛ *ينابيع المودة*: ٤٢٣.

٥. آل عمران (٣): ٥٥.

أقول: وقد تقدّم في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[1] من آل عمران ما يتعلّق بهذا المقام.

*

١. المائدة (٥): ٦٤.

[وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ ٱللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَكِنَّ ٱللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى ٱللهِ تُرْجَعُ ٱلأُمُورُ (٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَٱذْكُرُوا ٱللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَٱللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ

الشَّيْطَانُ أعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ وَاللهُ شَدِيدُ ٱلعِقَابِ (٤٨) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ فَإِنَّ ٱللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤)]

قوله سبحانه: ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

هي آية الخمس، وقد أطبقت الشيعة على أنّ موردها مطلق الاستفادة، ومحلّها سبيل الله والرسول والإمام وقرابة الرسول لا غير، وذهبت العامّة إلى عدم اختصاصه بهم وأنّ ذلك بنظر الإمام يصرفه فيمن شاء وفيما شاء، وأنّ ما عدّ من المورد فيها فإنّما هو كالتمثيل لا للتخصيص.

وظاهر الآية عليهم، إذ لو كان ذكر الموارد من باب التمثيل ونحوه، لكان لسبيل الله محضاً، فكانت المقابلة بين قوله: ﴿ لِلهِ ﴾ وقوله: ﴿ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ غير صحيحة، كما أنّ ذكر سبيل الله في آية الزكاة قبال سائر الموارد

أوجب كونه مورداً في عرض سائر الموارد.

وفي *الكافي* عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ** ﴾، قال ـ عليه السلام ـ: هي والله الإفادة يوماً بيوم.[1]

أقول: وهو استفادة الإطلاق من لفظ الغنيمة وهو كذلك لغةً، والمورد ـ وهو غنيمة الجهاد وفائدته ـ لا يكون مخصّصاً.

وفي *الكافي* أيضاً عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿ **وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ قال: أميرالمؤمنين والأئمّة ـ عليهم السلام ـ.[2]

وفي *الكافي* أيضاً عن العبد الصالح قال: الخمس من خمسة أشياء: من الغنائم، والغوص، ومن الكنوز، ومن المعادن والملاحة، يؤخذ من كلّ من هذه الصنوف الخمس فيجعل لمن جعل الله له، ويقسم أربعة أخماس: بين من قاتل عليه ووليّ ذلك، ويقسّم بينهم الخمس على ستّة أسهم: سهم لله، وسهم لرسوله، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل.

فسهم الله وسهم رسوله لأُولي الأمر من بعد رسول الله وراثةً، فله ثلاثة أسهم: سهمان وراثة وسهم مقسوم له من الله، فله نصف الخمس كلاً، ونصف الخمس الباقي بين أهل بيته، فسهم ليتاماهم، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم، يقسّم بينهم على الكتاب والسنّة ممّا يستغنون به في سنتهم، فإن فضل منهم شيء فهو للوالي، وإن عجز أو نقص عن استغنائهم كان على الوالي أن ينفق من عنده بقدر ما يستغنون به، وإنّما صار عليه أن يمونهم لأنّ له ما فضل عنهم، وإنّما

---

١. *الكافي* ١: ٥٤٤، الحديث: ١٠؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣٤٠.

٢. *الكافي* ١: ٤١٤، الحديث: ١٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٣١.

جعل الله هذا الخمس خاصّةً لهم دون مساكين الناس وأبناء سبيلهم عوضاً لهم عن صدقات الناس، تنزيهاً من الله لهم، لقرابتهم من رسول الله، وكرامةً من الله لهم من أوساخ الناس، فجعل لهم خاصّة من عنده ما يغنيهم به من أن يصيرهم في موضع الذلّ والمسكنة، ولا بأس بصدقة بعضهم على بعض.

وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ الذين ذكرهم الله فقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾،[1] وهم بنو عبد المطّلب أنفسهم، الذكر منهم والأُنثى، ليس فيهم من أهل بيوتات قريش ولا من العرب أحد، ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليهم، وقد تحلّ صدقات الناس لمواليهم وهم والناس سواء، ومن كانت أُمّه من بني هاشم وأبوه من سائر قريش، فإنّ الصدقات تحلّ له وليس له من الخمس شيء، لأنّ الله يقول: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾.[2][3]

أقول: الروايات في هذه المعاني مستفيضة متظافرة، من أرادها فليرجع إلى جوامع الحديث، وقد مرّ شأن نزول الآية.

قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾

يوم الفرقان: يوم بدر لمّا فرق فيه بين الحقّ والباطل.

وقوله: ﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾

بدل أو بيان منه.

---

١. الشعراء (٢٦): ٢١٤.

٢. الأحزاب (٣٣): ٥.

٣. *الكافي* ١: ٥٣٩، الحديث: ٤؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٣٣.

وقوله: ﴿ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾

العدوة: ـ مثلّثة ـ شطّ الوادي، والمراد بالعدوة الدنيا: العدوة القريبة من المدينة وهي العدوة الشاميّة، نـزل بها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ، والعدوة القصوى: العدوة البعيدة وهي العدوة اليمانيّة نزل بها المشركون.

وقوله: ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾

يعني: العير حيث أخذت في الساحل.

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: يعني أبا سفيان وأصحابه.[1]

أقول: يعني ـ عليه السلام ـ العير، فإنّ أبا سفيان كان فيه مع أربعين فارساً.

وقوله: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾

أي لو كان اجتماعكم مع المشركين في بدر عن ميعاد لما توافقتم هذا التوافق في الورود، يشير تعالى إلى توافق الأسباب في التقائهم، وكون الأسباب جميعاً عليهم، ليستيقنوا أنّ غلبتهم عليهم لم يستند إلى سبب من الأسباب العاديّة، غير أنّ الله تعالى شاء أن يظهرهم على المشركين.

قوله سبحانه: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ ﴾

أي جعلنا اليوم، يوم الفرق بين الحقّ والباطل بهذه الآيات الباهرة والنصرة الظاهرة، ليهلك من هلك ويضلّ من ضلّ عن بيّنة وحجّة، ويحيى ويهتدي من

---

١. *تفسير العيّاشي* ٢: ٦٥، الحديث: ٦٩؛ *بحار الانوار* ١٩: ٣١٩.

حيّ واهتدى عن بيّنة وحجّة.

وعن *تفسير القمّي* قال: يعلم من بقى أنّ الله نصره.[١]

قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ ﴾

الروايات وإن خلت عن ذكر رؤيا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ، غير أنّ الآية بقرينة قوله: ﴿ لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ ﴾ ظاهرة في أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ رأى رؤيا ونقله لأصحابه، فكان في ذلك تقوية لقلوبهم وشدّ لأزرهم، والفشل: الجبن.

وقوله: ﴿ سَلَّمَ ﴾

قيل: أي أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع.

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ ﴾

في *الجوامع* عن ابن‌مسعود قال: لقد قلّلوا في أعيننا حتّى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً.[٢]

وفي القصّة المنقولة سابقاً قال أبو جهل: ما هم إلّا أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد.

قوله سبحانه: ﴿ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْراً ﴾

ولو رآهم المؤمنون كثيراً لفشلوا، ولو رآهم المشركون كثيراً أمكن أن ينسلّوا

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٢٧٨.

٢. *جوامع الجامع* ٢: ٢٤.

قبل النزال، كلّ ذلك ليوقع الله بينهم القتال فينصر المؤمنين ويظهرهم على المشركين ويُعلي كلمة الحقّ.

قوله: ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

ذهاب الريح كناية عن زوال النفوذ وبطلان الأثر، يقال: هبّت ريح فلان إذا نفذ أمره.

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾

في *المجمع* عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ : إنّهم لمّا التقوا كان إبليس في صفّ المشركين، آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: يا سراقة! أتخذلنا على هذه الحال؟ فقال: إنّي أرى ما لا ترون، فقال: والله ما نرى إلّا جعاسيس[١] يثرب فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس، فلمّا قدموا مكّة قال الناس: هزم [الناس] سراقة، فبلغ سراقة فقال: والله ما شعرت بمصيركم حتّى بلغني هزيمتكم فقالوا: إنّك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم، فلمّا أسلموا علموا أنّ ذلك كان الشيطان.[٢]

وفي *تفسير العيّاشي* عن السجّاد ـ عليه السلام ـ قال: لمّا عطش القوم يوم بدر انطلق عليّ بالقربة يستقي ـ وهو على القليب ـ إذ جاءت ريح شديدة ثمّ مضت، فلبث ما بدا له، ثمّ جاءت ريح أُخرى ثمّ مضت، ثمّ جاءت أُخرى كاد أن تشغله ـ وهو على القليب ـ، ثمّ جلس حتّى مضت، فلمّا رجع إلى رسول الله أخبره بذلك فقال رسول الله: أمّا الريح الأُولى: ففيها جبرئيل مع ألف من الملائكة،

---

١. رجل جعسوس، اي: قصير دميم. [منه ـ رحمه الله ـ].
٢. *مجمع البيان* ٤: ٨٤٤؛ *تفسير الصافي* ٣: ٣٤٩؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٤٩.

والثانية: فيها ميكائيل مع ألف من الملائكة، والثالثة: فيها إسرافيل مع ألف من الملائكة وقد سلّموا عليك وهم مدد لنا، وهم الذين رآهم إبليس فنكص على عقبيه يمشي القهقرى حين يقول: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.[1]

قوله سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ﴾

قيل: المراد بـ: ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ المشركون، ويدفعه أنّ هذه الكلمة يراد بها أصحاب الشكّ والريب كما في نظائره الواقعة في القرآن.

وقيل: باحتمال أن يكون بياناً للمنافقين، ويدفعه أنّ المنافقين كلّما أُطلق في القرآن أُريد به الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر.

وقيل: إنّهم فتية من قريش أسلموا بمكّة واحتبسهم آباؤهم[2] فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وعليّ بن أُميّة بن خلف، والعاص بن منبّه بن الحجّاج، والحارث بن رفعة، وأبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة، لمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا: ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾.

أقول: وكيف كان فالآية تشهد بوجود عدّة من المنافقين بين أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ، فلو صحّ ما رووه عن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ: أنّ الله اطّلع اطّلاعة على أهل بدر وقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم،[3] الحديث،

---

١. تفسير *العياشي* ٢: ٦٥، الحديث: ٧٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٥٠؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣٤٩؛ *بحار الانوار* ٣٩: ١٠٣.

٢. *السيرة النبويّة* ٣: ١٩٠.

٣. راجع: *بحار الأنوار* ٣١: ٢٥٣؛ *الإفصاح*: ٤٩؛ شرح *نهج البلاغة*، ابن ابي الحديد ٣: ٦٨؛ ٤: ١٠٠؛ ١٣: ٢٨٥؛ ١٧: ٢٦٦؛ ٢٠: ١١.

وجب أن يصرف عن الإطلاق على أنّ ظاهره ينافي تشريع التكاليف.[١]

قوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً ﴾

من الكلّيّات التي أعطاها القرآن كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾،[٢] فهو من المقضيّات المحتومة.

في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه قال: كان أبي يقول: إنّ الله قضى قضاءً حتماً لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إيّاه حتّى يحدث العبد ذنباً يستحقّ بذلك النقمة.[٣]

*

١. قال بعض المحققين: معنى الحديث: الشريف ـ لو صّح صدوره عن النبى ـ أنّ الله تعالى إطلع إطلاعة على أهل بدر وقال: «**إعملوا ما شئتم** ـ من الخير، قليلاً أو كثيراً ـ **فقد غفرت لكم**» و حينئذ لا ينافي تشريع التكاليف.

٢. هود (١١): ٥٦.

٣. *الكافي* ٢: ٢٧٣، الحديث: ٢٢.

[إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِنْدَ ٱللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ ٱلخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ ٱللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ ٱللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ

قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْآنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ ٱلْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا ٱللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ ٱسْتَنْصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾]

قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ﴾

كلمة «من» للتبعيض ظاهراً، أي الذين عاهدت من جملة هؤلاء الدوابّ الذين لا يؤمنون، ثمّ ينقضون عهدهم في كلّ مرّة.

قيل: إنّهم يهود بني قريظة عاهدوا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ على أن لا يضرّوا به ولا يمالئوا عليه عدوّاً، فنكثوا وأعانوا عليه مشركي مكّة بالسلاح وقالوا: نسينا، ثمّ عاهدوا ثانياً ثمّ نكثوا ومالئوا عليه الأحزاب يوم الخندق.

أقول: والسياق لا ينافي ذلك، وينبغي أن يعدّ الآيتان مع ذلك من ملاحم القرآن، فإنّهم لم يؤمنوا حتّى هلكوا.

قوله سبحانه: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾

أي: إن تثقلهم بالظفر والقتل، وفي التأكيد بلفظة «ما ونون التأكيد» إشارة إلى الوقوع والتشريد والتفريق والتبعيد.

قوله: ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾

قيل: أي اطرح إليهم عهدهم على طريق مقتصد، بأن تخبرهم بإلغاء العهد ثمّ تقاتلهم بعد الإخبار والإعلان حتّى لا تكون خيانة، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَائِنِينَ ﴾ في مقام تعليل الحكم.

قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾

الرباط: اسم للخيل الذي تربط.

قوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ﴾
تقدّم في بيان القصّة شأن نزولها.

قوله: ﴿ وَلَكِنَّ ٱللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾
وهذا من الشواهد على أنّ المراد بالقلب في القرآن هو النفس، حيث قال سبحانه: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ وقال: ﴿ مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾، ثمّ بدّله بقوله: ﴿ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ فدلّ على أنّهم وقلوبهم واحد.

قوله سبحانه: ﴿ ٱلْآنَ خَفَّفَ ٱللهُ عَنكُمْ ﴾
وهذا هو الدليل على أنّ الآية مسوقة لتشريع الحكم، وإن كان ظاهرها الخبر.

وفي *الكافي* عن الصادق ـعليه السلام ـ في حديث: نسخ الرجلان العشرة.[١]

وفي *تفسير العيّاشي* عن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ: من فرّ من رجلين في القتال فقد فرّ من الزحف، ومن فرّ من ثلاثة رجال في القتال من الزحف فلم يفرّ.[٢]

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ ﴾
قد تقدّم شأن نزول الآية وبعض ما يتعلّق بها من الكلام.

قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ ﴾
قد تقدّم شأن نزول الآية في القصّة.

---

١. *الكافي* ٥: ٦٥، الحديث: ١.
٢. تفسير *العيّاشي* ٢: ٦٨، الحديث: ٧٨.

وفي *قرب الإسناد* عن السجّاد ـعليه السلام ـ قال: أتى النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـبمائتي درهم فقال: يا عبّاس! ابسط رداءك وخذ من هذا المال طرفاً، فبسط رداءه فأخذ منه طائفة، ثمّ قال رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ: هذا من الذي قال الله: ﴿ إنْ يَعْلَمِ ٱللهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴾.[1]

أقول: وروى العيّاشي في *تفسيره* عن الصادق ـعليه السلام ـ مثله.[2]

قوله سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

في *المجمع* عن الباقر ـعليه السلام ـ: إنّهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأُولى دون التقارب، حتّى نسخ ذلك ﴿ وَأُولُو ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أولَىٰ بِبَعْضٍ ﴾.[3]

وفي *تفسير القمّي* قال ـعليه السلام ـ في أوّل النبوّة: إنّ المواريث كانت على الأُخوّة دون الولادة، فلمّا هاجر رسول الله إلى المدينة آخى [بين المهاجرين والمهاجرين، وبين الأنصار والأنصار،][ژ] وبين المهاجرين والأنصار وكان إذا مات الرجل يرثه أخوه في الدين ويأخذ المال، وكان له ما ترك دون ورثته، فلمّا كان بعد ذلك أنزل الله: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ ٱللهِ ﴾[4] فنسخت آية الأُخوّة: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾.[5][6]

---

١. *قرب الإسناد*: ١٢.

٢. تفسير *العيّاشي* ٢: ٦٩، الحديث: ٧٩ و ٨٠.

٣. مجمع *البيان* ٤: ٨٦٢.

ژ. ما بين المعقوفيتن غير موجود في المصدر المطبوع ولكنّه موجود في الأصل وفي تفسير *الصافي* نقلاً عن تفسير *القمي*، اي المصدر.

٤. الأحزاب (٣٣): ٦.

٥. الأنفال (٨): ٧٥.

٦. تفسير *القمّي* ١: ٢٨٠؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣٦٢.

أقول: مقتضى الروايتين أنّ الميراث بالمؤاخاة كانت ثـابتة بآيـة الأُخـوّة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾،[1] وقد نسـخها آيـة: ﴿ النَّـبِيُّ أَوْلَـىٰ بِـالْمُؤْمِنِينَ مِـنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية من سورة الأحزاب.

وعلى هذا فالآيات الأربع من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ إلى آخر السورة، غير متعرّضة لحال ولاية الإرث بل مطلق الولاية، ويشهد به تثبيته سبحانه الولاية بين الكفّار بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾.

وفي المورد روايات أُخر سيأتي جملة منها في سورة الأحزاب إن شاء الله العزيز عند قوله: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾.[2]

هذا آخر الكلام في سورة «الأنفال» ولله سبحانه الحمد وعلى رسوله وآله الصلاة.

تمّ يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٦٩.

---

١. الحجرات (٤٩): ١٠.

٢. الأحزاب (٣٣): ٦.

سُورَةُ البَرَاءَةِ



[بسم الله الرحمن الرحيم بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي ٱلأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي ٱلكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلحَجِّ ٱلأَكْبَرِ أَنَّ ٱللهَ بَرِيءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلأَشْهُرُ ٱلحُرُمُ فَاقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلاةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ ٱللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ ٱلمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا

يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلّاً وَلَا ذِمَّةً وَ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾]

قوله سبحانه: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾

في *المجمع* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: الأنفال وبراءة واحدة.[١][٢]

أقول: ورواه العيّاشي في *تفسيره* عن أحدهما ـ عليهما السلام ـ.[٣]

١. *مجمع البيان* ٥: ٤؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٨١.

٢. في المصدر: «الأنفال والبراءة واحدٌ»

٣. *تفسير العيّاشي* ٢: ٧٣، الحديث: ٣.

وفي *المجمع* أيضاً عن عليّ ـعليه السلام ـ: لم تنزل ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ على رأس سورة براءة؛ لأنّ ﴿ بِسْمِ اللهِ ﴾ للأمان والرحمة، ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف.[١]

أقول: ولعلّ لفظ سورة من كلام الراوي، وهذه السورة لو كانت سورة وحدها، فالغرض فيها رفع الأمان وشطر من الكلام المتعلّق بالمشركين والمنافقين.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: كان الفتح في سنة ثمان، وبراءة في سنة تسع، وحجّة الوداع في سنة عشر.[٢]

وفي *تفسير القمّي* مسنداً عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: نزلت هذه الآية بعدما رجع رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ من غزوة تبوك في سنة تسع[٣] من الهجرة، قال: وكان رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ لمّا فتح مكّة لم يمنع المشركين الحجّ في تلك السنة، وكان سُنّة من العرب في الحجّ أنّه من دخل مكّة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحلّ له إمساكها، وكانوا يتصدّقون بها ولا يلبسونها بعد الطواف، فكان من وافى مكّة يستعير ثوباً ويطوف فيه ثمّ يردّه، ومن لم يجد عاريّة اكترى ثوباً، ومن لم يجد عارية ولا كرىً[٤] ولم يكن له إلّا ثوب واحد، طاف بالبيت عُرياناً فجاءت امرأة من العرب وسيمة جميلة فطلبت ثوباً عارية أو كرىً[٥] فلم تجده، فقالوا لها إن طفت في ثيابك احتجتِ أن تتصدّقي بها،

---

١. *مجمع البيان* ٥: ٤؛ *الكشف البيان* ٥: ٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٨١.
٢. *تفسير العيّاشي* ٢: ٧٣، الحديث: ٢؛ *تفسير الصافي* ٣: ٣٧١.
٣. في المصدر: «سبع» وهو تصحيف، أنظر *تاريخ الطبري* ٣: ١٤٢؛ *الكامل* ٢: ٢٧٦.
٤. في المصدر: «كراء»
٥. في المصدر: «كراء»

فقالت: وكيف أتصدّق وليس لي ثوب غيرها فطافت بالبيت عريانة وأشرف لها الناس، فوضعت إحدى يديها على قُبلها والأُخرى على دُبرها.

وقالت شعراً:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه   فما بدا منه فلا أُحلّه

فلمّا فرغت من الطواف خطبها جماعة، فقالت: إنّ لي زوجاً، وكانت سيرة رسول الله قبل نزول سورة براءة أن لا يقاتل إلّا من قاتله، ولا يحارب إلّا منِ حاربه وأراده، وقد كان أنزل عليه في ذلك: ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾،[1] فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لا يقاتل أحداً قد تنحّى عنه واعتزله حتّى نزلت عليه سورة براءة وأمره بقتل المشركين، من اعتزله ومن لم يعتزله، إلّا الذين قد عاهدهم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يوم فتح مكّة إلى مدّة، منهم: صفوان بن أُميّة، وسهيل بن عمرو، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ ثمّ يقتلون حيثما وجدوا، فهذه أشهر السياحة عشرين من ذي الحجّة ومحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشرة من شهر ربيع الآخر.

فلمّا نزلت الآيات من سورة براءة دفعها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكّة ويقرأها على الناس بمنى يوم النحر، فلمّا خرج أبو بكر نزل جبرئيل على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال: يا محمّد لا يؤدّي عنك إلّا رجل منك، فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في طلب أبي بكر، فلحقه بالروحاء وأخذ منه الآيات، فرجع

---

١. النساء (٤): ٩٠.

أبوبكر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال: يا رسول الله أنزل الله فيَّ شيئاً؟ فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: لا، إنّ الله أمرني أن لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي.[١]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: خطب عليّ الناس واخترط سيفه فقال: لا يطوفنّ بالبيت عريان ولا يحجّنّ البيت مشرك، ومن كانت له مدّة فهو إلى مدّته، ومن لم يكن له مدّة فمدّته أربعة أشهر، وكان خطب يوم النحر، فكانت عشرون من ذي الحجّة ومحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشر من شهر ربيع الآخر.[٢]

قوله سبحانه: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ ﴾

هذا تحديد للعهود المطلقة وليس من النقض في شيء، مضافاً إلى أنّ المشركين ما كان مأموناً من خيانتهم ونقضهم لو استطاعوا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾،[٣] ونسب في *المجمع* الوجهين جميعاً إلى الرواية،[٤] وأمّا العهود المؤجّلة فسيتعرّض تعالى لاعتبارها إلى أن ينقضي أجلها.

قوله سبحانه: ﴿ فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾

الالتفات من الغيبة إلى خطاب المشركين مع أنّهم بمعزل عن المشافهة لما فيه من تحقيق الاقتدار وتثبيت عجزهم، وأنّ موقعهم من الذلّ موقع يجري فيهم من الإرادة كلّ أمر ووجّه إليهم وحكم فيهم، لأنّ المقام مقام الظهور بتمام

---

١. تفسير *القمّي* ١: ٢٨١؛ تفسير *الصافي* ٢: ٣٧٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٨١.
٢. تفسير *العيّاشي* ٢: ٧٤، الحديث: ٧؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣٧٢؛ مجمع *البيان* ٥: ٧.
٣. الأنفال (٨): ٥٨.
٤. مجمع *البيان* ٥: ٥.

الاقتدار، وهذه طريقة معمولة بين العقلاء أنّ الإنسان إذا استذلّ عدوّه وجّه إليه ما يريده من توسعة وتضييق في صورة خطاب التعجيز، وقد أكّد ذلك في الآية بوضع المتكلّم «من» وعن قبله، وهو الله سبحانه ورسوله موضع الغيبة حيث قال: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا... ﴾.

فالله سبحانه هو المتكلّم، وقد ظهر غائباً ورسوله مخاطب، وقد جعل غائباً والمشركون في الغيبة، وقد وجّه إليهم الخطاب وقد نسب العهد إلى المؤمنين أو إلى النبيّ مع المؤمنين، لأنّه من فروع الولايات والسياسات، وكان ـ صلى الله عليه و آله ـ يداخلهم فيها، فالخطاب في الحقيقة إلى الرسول وتوجيهه إلى المشركين للتعجيز فقط.

قوله سبحانه: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾

الأذان بمعنى الإعلام.

إن قلت: ما وجه تكرار البراءة حيث قال: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ ﴾ ؟

قلت: ليس من التكرار في شيء، فالآية الأُولى: إعلام للمشركين خاصّة، والثانية: لجميع الناس، ولذا قال تعالى في الآية الأُولى: ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ وفي الثانية: ﴿ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلحَجِّ ٱلأَكْبَرِ ﴾

فما قيل في الجواب عن لزوم التكرار: إنّ الآية الأُولى إخبار بثبوت البراءة، والآية الثانية إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت[1] غير مستقيم لمكان قوله تعالى في الآية الأُولى: ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُمْ ﴾ فإنّ قوله: ﴿ إِلَى ﴾ تشير إلى التبليغ والإعلام.

---

١. تفسير *الصافي* ٣: ٣٧٤.

وفي تفسيري *العيّاشي والقمّي* عن السجّاد ـعليه السلام: ـالأذان أميرالمؤمنين ـعليه السلام ـ.[١]

أقول: وقد ورد هذا المعنى في عدّة من الروايات،[٢] وفي بعضها عن عليّ ـعليه السلام ـ: كنت أنا الأذان في الناس، الحديث،[٣] والمعنى واضح، فإنّه ـعليه السلام ـ كان المؤذن.

قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾

في *العلل والمعاني* عن الصادق ـعليه السلام ـ في حديث فقيل له: فما معنى هذه اللفظة ﴿ الحجّ الأكبر ﴾ فقال: إنّما سمّي الأكبر لأنّها كانت سنة حجّ فيها المسلمون والمشركون، ولم يحجّ المشركون بعد تلك السنة.[٤]

في *الكافي والمعاني* و *تفسير العيّاشي* في عدّة أخبار عنه ـعليه السلام ـ: يوم الحجّ الأكبر هو يوم النحر والأصغر العمرة.[٥]

قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾

اللام للعهد، فهي الأربعة الأشهر المبتدءة من يوم الحجّ الأكبر المحرّمة بهذه الآيات.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـعليه السلام ـ: هي يوم النحر إلى عشر مضين

---

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ٧٣، الحديث: ٤؛ تفسير *القمّي* ١: ٢٨١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٣٨٨، الحديث: ١٦ و ٢٣.

٢. *شواهد التنزيل* ١: ٣٠٤.

٣. *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٣٨١، الحديث: ٢٤؛ *تأويل الآيات* ١: ١٩٧، الحديث: ١.

٤. *علل الشرائع* ٢: ٤٤٢، الحديث: ١؛ *معاني الأخبار*: ٢٩٦، الحديث: ٥.

٥. *الكافي* ٤: ٢٩٠، الحديث: ١ و ٢ و ٣؛ *معاني الأخبار*: ٢٩٥، الحديث: ١ ـ ٥؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ٧٤، الحديث: ٧؛ *الكشاف* ٢: ٢٤٥؛ *الكشف والبيان* ٥: ١١.

من ربيع الآخر.[١]

أقول: وقد مرّ عدّة من الروايات في ذلك، والحصر: الحبس، والمرصد: موضع الرصد والترقّب.

قوله سبحانه: ﴿ **كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ** ﴾

تكرار كيف للتأكيد.

وقوله: ﴿ **يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ** ﴾

كناية عن الظفر بهم.

وقوله: ﴿ **لَا يَرْقُبُوا** ﴾

من الرقوب بمعنى الرعاية.

وقوله: ﴿ **إِلًّا** ﴾

الإلّ والأيل: هو كلّ عقد معقود إمّا طبعاً وتكويناً كالقرابة، وإمّا بالجعل والاعتبار كالحلف، فالجميع يسمّى إلّاً.

وقوله: ﴿ **وَلَا ذِمَّةً** ﴾

وهي النفس باعتبار ما يجعل كالوعاء للحقوق، وهي كناية عن عدم رعايتهم كلّ حقّ يثبت للمؤمنين عليهم، ففي مادّة الذمّ معنى استبطان الشيء وطلوع آثاره،

---

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ٧٧، الحديث: ٢٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٣٩٩، الحديث: ٤؛تفسير *الصافي* ٣: ٣٧٥.

وكان منه الذمّ خلاف المدح، كما أنّ في مادّة المدح ذلك يقال: تمدّحت خواصر الماشية إذا اتّسعت شبعاً.[١]

قوله: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلاةَ ﴾

تكزار الترديد لتفصيل الحكم ثانياً، وأحد طرفي الترديد مع ذلك أخصّ الأصل، فإنّ الأصل المذكور أنّهم إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة خلّي سبيلهم، وإلّا قُتلوا وكان الوجه فيه تعميم الحكم لغيرهم من أُولي الحرمة والعهد ليكون توضيحاً لقوله: ﴿ فَمَا ٱسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾.

قوله سبحانه: ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾

وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ للإشعار بأنّهم يصيرون بذلك قادة وسادة للكفّار، أحقّاء للقتال، ونفي الإيمان عنهم مع ثبوتها محمول على نفي الحقيقة.

وفي *تفسير العيّاشي* عن عليّ ـ عليه السلام ـ: عذرني الله من طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين، ثمّ نكثا بيعتي من غير حدث أحدثته، والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ نزلت حتّى قاتلتهم وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾.[٢]

أقول: وفي هذه المعنى عدّة روايات أُخر.

---

١. *لسان العرب* ١٣: ٥٠.

٢. *تفسير العيّاشي* ٢: ٧٩، الحديث: ٢٨؛ *الامالي* للمفيد: ٧٢، الحديث: ٧؛ *شواهد التنزيل* ١: ٢٧٦.

قوله سبحانه: ﴿ مِنْ دُونِ ٱللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾.

في *الكافي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: لا تتّخذوا من دون الله وليجة[١] فلا تكونوا مؤمنين، فإنّ كلّ سبب ونسب وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع، إلّا ما أثبته القرآن.[٢]

أقول: وهو من جوامع الروايات.

وفي *الكافي* أيضاً عنه ـ عليه السلام ـ: يعني بالمؤمنين الأئمّة.[٣]

أقول: وفي هذا المعنى روايات أُخر،[٤] وهي من الجري والتطبيق ظاهراً.

*

١. الوليجة: البطانة [منه ـ رحمه الله ـ].

٢. *الكافي* ١: ٥٩، الحديث: ٢٢؛ ٨: ٢٤٢، الحديث: ٣٣٥.

٣. *الكافي* ١: ٤١٥، الحديث: ١٥؛ *تفسير الصافي* ٣: ٣٨٢.

٤. *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٠٨، الحديث: ٣.

[مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ ٱللهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلاةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (١٨) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَجَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ ٱللهِ وَٱللهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللهُ بِأَمْرِهِ وَٱللهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ (٢٤)]

قوله سبحانه: ﴿ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾
في مقام التعليل لقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾، فالنهي عن تعميرهم المساجد لكون أعمالهم حبطاً باطلة ليست بمرضية لله سبحانه، فلا ملاك لتشريع تعميرهم ولا تناسب بينهم وبينها، بخلاف المؤمنين العاملين المتلبّسين بتقوى من الله تعالى.

فإن قلت: فما معنى تشريع التحريم في حقّهم وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر؟

قلت: فائدته أنّ النهي ينتج عدم جعل الحقّ لهم في ذلك، فعلى المؤمنين أن يمنعوهم من ذلك وينتظم بذلك نظام الدين وسيطرة انبساطه، واعتلاء كلمة الله سبحانه، هذا في الدنيا، وأمّا في الآخرة فوباله عائد إليهم بناءً على أنّ الكفّار يكلّفون بفروع الدين كأصوله.

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللهِ مَنْ آمَنَ ﴾
قرينة المقابلة تفيد أنّه قصر قلب أو إفراد كأنّ المشركين، كانوا يزعمون أنّ حقّ تعمير البيت لهم فقط أو لكلّ من يريد ذلك من غير اختصاص بالمؤمنين، فأبطل ذلك وجعل الحقّ للمؤمنين فقط.

وقوله: ﴿ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾
في معنى التعليل، ويشعر بأنّ ملاك التشريع قابليّة الاهتداء، فيجب في كلّ تشريع أن ينتهي بالآخرة إلى اهتداء المكلّفين.

وقد عرّف سبحانه الاهتداء بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ ٱلأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾،[1] وقال سبحانه أيضاً: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ

---

١. الأنعام (٦): ٨٢.

مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾.[1]

فهذه الآيات تفيد أنّ كمال الايمان وخالصه أن يرى العبد نفسه لله سبحانه محضاً، هو الذي يملكهم وهم مملوكون له راجعون إليه تعالى وهو خلوص الإيمان من شوب الظلم، فبين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين مقام الاهتداء مقام، وهو مقام الخشية وعدم تأثّر القلب من غير الله تعالى، وإنّما كان وسطاً لأنّ عدم التأثّر عن الغير لا يستلزم الإذعان بعدم تأثير في الغير، فربما كان الإنسان لاعتماده على ناصر قويّ شديد أو ركونه إلى شهامة نفسه وقوّة إرادته لا يتأثّر عن عدوّه وإن أثبت له وجوداً وأذعن له تأثيراً، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾،[2] فهي تفيد أنّهم دفعوا الخشية اتّكالاً منهم بالله سبحانه.

فمن لا يتأثّر لأنّه يرى أن لا عدوّ ولا تأثير فهو أرفع مكاناً وآمن قلباً.

قوله سبحانه: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللهَ ﴾

الفرق بين الخوف والخشية: أنّ الخوف توقّع الشرّ، ولذا كان يقابل الطمع أو الرجاء وهو توقّع الخير من أمر، قال تعالى: ﴿ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾،[3] وقال: ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.[4]

---

١. البقرة (٢): ١٥٦.
٢. آل عمران (٣): ١٧٣.
٣. الأعراف (٧): ٥٦.
٤. البقرة (٢): ٣٨.

وأمّا الخشية: فهي تأثّر القلب من توقّع المكروه على ما تفيده مادّتها، وقد وجد في الإستعمال الخشى بمعنى اليبس، ويقال: خشت النخلة إذا أحشفت تمر تها وإن كان هذا المثال من الواوي، قال تعالى: ﴿ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ ﴾،[١] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ ﴾.[٢]

وبالجملة، الخشية: صفة قلبيّة وجدانيّة بخلاف الخوف، فالخوف ليس من حيث هو خوف رذيلة مذمومة، بخلاف الخشية، فالفارّ من سقف يخرّ عليه أو مكروه آخر لا يقدر على دفعه فإن لم تضطرب نفسه ولم يتزلزل إرادته فقد خاف ولا لوم عليه، وإن اضطربت أركانه وبطلت قوّة نفسه فقد خشي وهو ملوم مذموم.

ولذا لم يذمّ سبحانه في كتابه الخوف من غيره إلّا في موارد لا ينبغي فيها الخوف، لكن نهى عن خشية غيره، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾،[٣] وقال في زكريا: ﴿ وَإِنِّيْ خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِيْ ﴾،[٤] وقال في موسى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾،[٥] وقال في أُمّ موسى: ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾،[٦] وقال سبحانه في انبيائه: ﴿ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ ﴾،[٧] وقال: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِيْ ﴾.[٨]

---

١. الحشر (٥٩): ٢١.
٢. البقرة (٢): ٧٤.
٣. الأنفال (٨): ٥٨.
٤. مريم (١٩): ٥.
٥. الشعراء (٢٦): ٢١.
٦. القصص (٢٨): ٧.
٧. الأحزاب (٣٣): ٣٩.
٨. البقرة (٢): ١٥٠.

فإن قلت: فما هو الوجه في قول الله سبحانه عن صاحب موسى: ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾،[١] وقوله عن هارون: ﴿ إِنِّيْ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾،[٢] وقوله تعالى للنبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾،[٣] وقد نسب الخشية إلى هؤلاء الذين لا يجوز اتّصافهم بصفة مذمومة.

قلت: أمّا قوله: ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا ﴾،[٤] فالخشية من إضلال المؤمن الصالح خشية من الله سبحانه، وكذا قوله: ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ ﴾،[٥] فالخشية من موسى نبيّ الله خشية أيضاً من الله تعالى.

وأمّا قوله: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾،[٦] فقد نزلت في قصّة زينب امرأة زيد بن حارثة وإنّما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يخشى الناس في جنب الله أن يفسد إيمانهم ويضعفوا في أمر الله وهو في الحقيقة خشية من الله تعالى، فهو سبحانه إنّما يحوّله ـ صلى الله عليه وآله ـ من نوع من الخشية إلى نوع آخر منها، أي من خير إلى ما هو خيرٌ منه، والشاهد عليه قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ ٱللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا ٱللهَ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً ﴾،[٧] فهو نصّ في أنّ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ كان لا يخشى إلّا الله سبحانه، فقوله:

---

١. الكهف (١٨): ٨٠.
٢. طه (٢٠): ٩٤.
٣. الأحزاب (٣٣): ٣٧.
٤. الكهف (١٨): ٨٠.
٥. طه (٢٠): ٩٤.
٦. الأحزاب (٣٣): ٣٧.
٧. الأحزاب (٣٣): ٣٩.

﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾[١] لمعنى من الخشية غير ما هو المنساق إلى الذهن.

قوله سبحانه: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ ﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـعليه السلام ـ: نزلت في عليّ والعبّاس وشيبة، وقال العبّاس: أنا أفضل، لأنّ سقاية الحاجّ بيدي، وقال شيبة: أنا أفضل، لأنّ حجابة البيت بيدي، وقال عليّ ـعليه السلام ـ: أنا أفضل، فإنّي آمنت قبلكما ثمّ هاجرت وجاهدت، فرضوا برسول الله ـصلى الله عليه وآله ـفأنزل الله.[٢]

أقول: وروى في *المجمع* ما في معناه.[٣]

وروى مثله في *تفسير العيّاشي* أيضاً عن الصادق ـعليه السلام ـ[٤] غير أنّه ذكر عثمان بن أبي شيبة مكان شيبة.

وعن *الجمع بين الصحاح الستّ* للعبدي من *صحيح النسائي* بإسناده قال: افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار، والعبّاس بن عبد المطّلب، وعليّ بن أبي طالب فقال طلحة: بيدي مفتاح البيت ولو أشاء بتّ فيه، وقال عبّاس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بتّ في المسجد؛ وقال عليّ ـعليه السلام ـ: ما أدري ما تقولان لقد صلّيت إلى القبلة ستّة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.[٥]

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٧.

٢. تفسير *القمي* ١: ٢٨٤.

٣. مجمع *البيان* ٥: ٢٣.

٤. تفسير *العيّاشي* ٢: ٨٣، الحديث: ٣٤.

٥. لم نحصل كتاب *الجمع بين الصحاح الستّ* ولكنه موجود في تفسير *الطبري* ١٠: ٦٨.

وعن *تفسير الثعلبي* عن الحسن والشعبي ومحمّد بن كعب: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب وعبّاس بن عبد المطّلب وطلحة بن شيبة، وذلك أنّهم افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفاتحه ولو أشاء بتّ في المسجد، وقال عبّاس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال عليّ: لا أدري ما تقولان؟! صلّيت ستّة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله تعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ** ﴾.[1]

أقول: وفي بعض الأخبار ذكر حمزة وعليّ وجعفر والعبّاس وشيبة،[2] والمتيقّن من الجميع وجود عليّ والعبّاس فيه.

قوله سبحانه: ﴿ **فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾

وعيد بما يستعقبه إيثارهم ذلك من الأمر.

وقد مرّ في سورة المائدة كلام في معناه.

قوله سبحانه: ﴿ **لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ** ﴾

في *المجمع* عن الصادقين ـ عليهما السلام ـ : إنّها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبيّ لمّا أراد فتح مكّة.[3]

---

١. تفسير *الثعلبي* ٣: ١٧٠؛ *الكشف والبيان* ٥: ٢٠؛ تفسير *الطبري* ١٠: ١٢٤؛ *زاد المسير* ٣: ٢٧٩؛ *الدر المنثور* ٣: ٢١٩؛ تفسير *القرطبي* ٨: ٩١.

٢. *الكافي* ٨: ٢٠٣، الحديث: ٢٤٥؛ *تفسير العياشي* ٢: ٨٣، الحديث: ٣٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤١٠، الحديث: ٣؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣٨٦.

٣. مجمع *البيان* ٥: ٢٥.

وعن ابن شهرآشوب عن أبي حمزة عن الباقر ـ عليه السلام ـ في الآية قال: الإيمان ولاية عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ.[١]

أقول: وهو من الجري والباطن.

*

---

١. المناقب ٣: ٩٤.

[لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ ٱلْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾]

قوله سبحانه: ﴿ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾

موطن الحرب: موقعه وموقفه.

وفي *الكافي* وتفسيري *العيّاشي والقمّي* عن الهادي ـ عليه السلام ـ في عدّة روايات: أنّها كانت ثمانين موطناً.[1]

---

١. *الكافي* ٧: ٤٦٣؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧؛ تفسير *القمّي* ١: ٢٨٤؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣٨٩.

قوله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾
وهو وادٍ بين مكّة والطائف.

وفي *تفسير القمّي*: كانت سبب غزوة حنين أنّه لمّا خرج رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـإلى فتح مكّة أظهر أنّه يريد هوازن، وبلغ الخبر هوازن فتهيّأوا وجمعوا الجموع والسلاح، واجتمع رؤساء هوازن إلى مالك بن عوف النضري فرأّسوه عليهم، وخرجوا وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراريهم، ومرّوا حتّى نزلوا بأوطاس...

قال: وبلغ رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـاجتماع هوازن بأوطاس، فجمع القبائل ورغّبهم في الجهاد ووعدهم النصر، وأنّ الله قد وعده بغنيمة أموالهم ونسائهم وذراريهم، فرغّب الناس وخرجوا على راياتهم، وعقد اللواء الأكبر ودفعه إلى أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ وكلّ من دخل مكّة براية أمره أن يحملها، وخرج في اثني عشر ألف رجل، عشرة آلاف ممّن كان معه.

وعن الباقر ـعليه السلام ـ قال: وكان معه من بني سليم ألف رجل، رئيسهم عبّاس بن مرداس السلمي، ومن مزنية ألف رجل.

قال: فمضوا حتّى كان من القوم مسيرة بعض ليلة قال: وقال مالك بن عوف لقومه: ليصيّر كلّ رجل منكم أهله وماله خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر، فإذا كان في غلس[1] الصبح فاحملوا حملة رجلٍ واحد وهدّوا[2] القوم، فإنّ محمّداً لم يلق أحداً يحسن الحرب.

---

١. الغَلَس: «الظلمة آخر الليل».
٢. الهدّة: «صوت وقع الحائط ونحوه».

قال: فلمّا صلّى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ الغداة انحدر في وادي حنين ـ وهو وادٍ له انحدار بعيد ـ، وكان بنو سليم على مقدّمته، فخرج عليهم كتائب هوازن من كلّ ناحية، فانهزمت بنو سليم وانهزم من ورائهم ولم يبقَ أحد إلّا انهزم، وبقي أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يقاتلهم في نفر قليل، ومرّ المنهزمون برسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لا يلوون[1] على شيء.

وكان العبّاس آخذاً بلجام بغلة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ عن يمينه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب عن يساره، فأقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ينادي يا معشر الأنصار إلى أين؟! أنا رسول الله، فلم يلوِ أحد عليه، وكانت نسيبة بنت كعب المازنيّة تحثو في وجوه المنهزمين التراب وتقول: إلى أين تفرّون عن الله وعن رسوله؟ ومرّ بها عمر فقالت: ويلك ما هذا الذي صنعت؟ فقال لها: هذا أمر الله.

فلمّا رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ الهزيمة ركض نحو عليّ بغلته وقد شهر سيفه فقال: يا عبّاس اصعد هذا المطرب[2][3] وناد يا أصحاب البقرة، ويا أصحاب الشجرة إلى أين تفرّون هذا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ؟!

ثمّ رفع رسول الله يده فقال:

اللهمّ لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا

---

١. لا يلوون: «اي لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره».

٢. المطارب: الطرق المتفرّقة، واحده المطرب، [منه ـ رحمه الله].

٣. في بعض نسخ المصدر: «المطرب»، وفي نسخة المطبوعة: «الطرب»، وهو اسم فرس النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ، وفي بقية المصادر: «الظرب»، وهو اسم بركة في طريق مكّة، والظرب من الحجارة ما كان أصله ناتئاً في جبل أو أرض حزنة، راجع: معجم *البلدان* ٤: ٥٩.

رسول الله! دعوت بما دعى به موسى -عليه السلام- حيث فلق الله له البحر ونجّاه من فرعون،

ثمّ قال رسول الله -صلى الله عليه وآله- لأبي سفيان بن الحارث: ناولني كفّاً من حصى، فناوله فرماه في وجوه المشركين، ثمّ قال: شاهت الوجوه، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد، فلمّا سمعت الأنصار نداء العبّاس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم وهم يقولون: لبّيك، ومرّوا برسول الله -صلى الله عليه آله- واستحيوا أن يرجعوا إليه ولحقوا بالراية.

فقال رسول الله للعبّاس: مَن هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقال: يا رسول الله هؤلاء الأنصار، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: الآن حمي الوطيس، ونزل النصر من الله، وانهزمت الهوازن وكانوا يسمعون قعقعة السلاح في الجوّ، وانهزموا في كلّ وجه، وغنم الله رسوله أموالهم ونسائهم وذراريهم، وهو قول الله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِيْ مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾.[1]

وفي *الكافي* عن الصادق -عليه السلام- قال: قتل عليّ بن أبي طالب -عليه السلام- يوم حنين أربعين.[2]

قوله سبحانه: ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾

في *الجوامع* لمّا التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلّة، وقيل:

---

١. تفسير *القمّي* ١: ٢٨٥؛ مجمع *البيان* ٥: ٢٨؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣٩٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤١٧؛ وقريب منه في تفسير *الكشاف* ٢: ٢٥٩؛ تفسير *الثعلبي* ٥: ٢٢؛ كتاب *المغازي* ٣: ٨٨٥-٩٢٢.

٢. *الكافي* ٨: ٣٧٦، الحديث: ٥٦٦؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٢١، الحديث: ٥؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣٩٢.

كان قائلها أبو بكر.[١]

أقول: وروي المعنى الأخير في بعض تفاسير العامّة،[٢] ورواه العيّاشي في تفسيره عن الصادق ـعليه السلام ـ.[٣]

قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

السكينة هو الوقار، غير أنّه سبحانه حيثما ذكر السكينة في كلامه ذكرها في موارد النصر وأضافها إلى نفسه وشفّعها في غالبها بجنوده المنزلة، كقوله: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾،[٤] وقوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾،[٥] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ ﴾.[٦]

ودلالة الآيات على نزولها في موقع النصر خاصّة، وخاصّة على رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ تستلزم الدلالة على أنّها موجود سماويّ طاهر إلهي، وليست بروح الإيمان الآتي ذكره فيما سيأتي إن شاء الله تعالى، فإنّه ملازم لرسول الله ـصلى الله عليه وآله ـدائماً، وللمؤمنين ما لم يهمّوا بكبيرة.

وقوله في الآية الأخيرة: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيْمَاناً مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾، يدلّ على أنّها تفيد

---

١. *جوامع الجامع* ٢: ٥٥.

٢. *تفسير القرطبي* ٨: ١٠٠؛ *جامع البيان* للطبري ١٠: ١٢٩؛ *البداية والنهاية* ٤: ٣٦٩؛ *شرح نهج البلاغة*، لابن أبي الحديد ١٥: ١٠٧.

٣. *تفسير العيّاشي* ٢: ٨٤، الحديث: ٣٨.

٤. البقرة (٢): ٢٤٨.

٥. التوبة (٩): ٤٠.

٦. الفتح (٤٨): ٤.

للمؤمن مرتبة مع الايمان لم يكن قبل نزولها بموجودة، وليست إلّا ما يقاوم كيد الشيطان وحبّ النفس للبقاء الموجب لضعف النفس عن مقارعة الأبطال والثبات في جهاد الأعداء.

وبهذا تفارق السكينة أيضاً روح الايمان، فإنّ الروح لا يثبت التقوى إثباتاً ضروريّاً بتّيّاً، بخلاف السكينة فإنّها تثبت الثبات وطمأنينة النفس البتّة.

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: السكينة الإيمان.[١]

أقول: ورواه الصدوق في *المعاني* عن الباقر ـ عليه السلام ـ،[٢] وقد تبيّن معناه.

وفي *الكافي* أيضاً عن الرضا ـ عليه السلام ـ قال: ريح تخرج من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، أطيب ريحاً من المسك، وهي التي أنزلها الله على رسوله بحنين فهزم المشركين.[٣]

أقول: وفي هذا المعنى عدّة روايات عنهم ـ عليهم السلام ـ، وقد روي هذا المعنى من طرق العامّة عن عليّ ـ عليه السلام ـ،[٤] ولا شكّ أنّه تمثيل وتمثّل، وتمثّل المعنيّ على الإنسان إنّما يكون بصورة يألفها مع المعنى في غالب موارده، كتمثّل الدنيا بصورة الغانية الفتّانة أو العجوز الفانية، وكتمثّل الأعمال الصالحة بصور حسنة، والأعمال الطالحة بصور قبيحة.

فلعلّ الوجه في تمثّل السكينة والوقار الإلهي بصورة ريح الجنة ذات وجه كوجه الإنسان، هو أنّ الإنسان الضعيف القلب الهيّن الركن إذا صادف الهزاهز

---

١. *الكافي* ٢: ١٥، الحديث: ٣.

٢. *معاني الأخبار*: ٢٨٤، الحديث: ١.

٣. *الكافي* ٣: ٤٧١، الحديث: ٥؛ ٤: ٢٠٦، الحديث: ٥، نقلها العلّامة ـ رحمه الله ـ بالمعنى.

٤. *مجمع الزوائد* ٦: ٣٢١؛ *المعجم الأوسط* ٧: ٨٩.

والشدائد ضاق صدره، فنزول السكينة عليه يوجب انشراح صدره واتّساعه وتنفّس كربه، كالنسيم اللطيف الفائح على من أجهده حرّ القيظ وتعب العمل.

والإنسان مع ذلك إذا كان ذا وقار وطمأنينة لم يلتفت في وجهته، ولم يشاهد غير وجه نفسه لما معه من الكبرياء والعزّة النفسانيّة، فإذا كان ذلك كرامة له من الله سبحانه، فهو كريح من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان فافهم ذلك.

قوله سبحانه: ﴿ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

في تفسير *القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: وهو القتل.[1]

أقول: والسياق يؤيّده.

قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ﴾

في تفسير *الصافي* روي أنّ ناساً منهم جاؤوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وأسلموا وقالوا: يا رسول الله! أنت خير الناس وأبرّهم وقد سُبي أهلونا وأولادنا وأُخذت أموالنا، وقد سُبي يومئذٍ ستّة آلاف نفس، وأُخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى، فقال: اختاروا إمّا سباياكم وإمّا أموالكم، فقالوا: ما كنّا نعدل بالأحساب شيئاً، فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وقال: إنّ هؤلاء جاؤوا مسلمين، وإنّا خيّرناهم بين الذراري والأموال، فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً، فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يردّه فشأنه، ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتّى نصيب شيئاً [فنعطيه][2] مكانه، فقالوا: رضينا وسلّمنا،

١. تفسير *القمّي* ١: ٢٨٨؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٢١، الحديث: ٤.

٢. ما بين المعقوفتين في نسخة [منه ـ رحمه الله ـ]؛ وفي نسخة المطبوعة: «فلنعطيه».

فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: إنّي لا أدري لعلّ فيكم من لا يرضى، فمرّوا عرفائكم فليرفعوا إلينا، فرفعوا إنّهم قد رضوا.(١)

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾

قرئ بفتحتين، وهو مصدر، فالجملة من باب: زيد عدل، وقرئ بالكسر فالسكون، وهو صفة مشبّهة كالنجس بالفتح فالكسر، فالموصوف مقدّر والتقدير: جنس أو صنف نجس، وأغلب ما يؤتى به في صورة الاتباع، فيقال: رجس نجس، والمراد بذلك قذارتهم الباطنيّة دون الظاهريّة، وهو ظاهر.

قوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾

قال في *الصحاح*: العيلة والعالة: الفاقة، يقال: عال يعيل عيلة وعيولاً، إذا افتقر،(٢) فهو غير الفقر، بل تقبّل الفقر والاتّسام به.

قوله سبحانه: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾

قيّده بالمشيّة لينقطع الآمال إليه سبحانه، فالأمر بيده، ولقد وفى سبحانه بوعده، فأرسل السماء عليهم مدراراً، وأسلم أهل تبالة وجرش من اليمن فحملوا إلى مكّة الطعام وكلّ ما يعاش به، ثمّ أغناهم الله بفتح البلاد والغنائم كما قيل.

*

---

١. تفسير *الصافي* ٢: ٣٩٣؛ *أنوار التنزيل* ١: ٤١١.
٢. *الصحاح* للجوهري مادّة: «ع ى ل».

[قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهاً وَاحِداً لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)]

قوله سبحانه: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

عرف أهل الكتاب في وجوب قتالهم بكونهم ﴿لا يؤمنون بالله ...﴾ وغيّاه بقوله: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾، فتردّد أمرهم بين ثلاث: إمّا الإيمان وإمّا القتل وإمّا الجزية.

وفي *التهذيب* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: بعث الله محمّداً ـ صلى الله عليه آله ـ بخمسة أسياف إلى أن قال: والسيف الثاني: على أهل الذمّة، قال الله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ نزلت هذه الآية في أهل الذمّة، ثمّ نسخها قوله

سبحانه: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، فمن كان منهم في دار الإسلام فلم يقبل منهم[١] إلّا الجزية أو القتل، ومالهم فيء وذراريهم سَبْي، فإذا قبلوا الجزية على أنفسهم[٢] حرم علينا[٣] سبيهم وحرمت[٤] أموالهم وحلّت لنا مناكحتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيهم وأموالهم ولم تحلّ لنا مناكحتهم ولم تقبل منهم إلّا الدخول في دار الإسلام[٥] أو الجزية أو القتل.[٦]

أقول: والروايات في هذه المعاني كثيرة متكثّرة الفروع، تطلب من كتاب الجهاد.

والمراد بأهل الكتاب: من لهم كتاب سماويّ، وقد فسّروا في السنّة باليهود والنصارى والمجوس، وعليه كان عمل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في سيرته، فأخذ من اليهود ومن النصارى ومن مجوس هجر[٧] الجزية على ما يثبته التاريخ والرواية.

قوله: ﴿ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

تكرار لا النفي للتأكيد، فإنّهم كانوا يدّعون جميع ذلك من الإيمان بالله واليوم الآخر وتحريم ما حرّم الله، فمسّت حاجة الكلام إلى نفي كلّ واحد بنفي مستقلّ.

---

١. في المصدر: ـ «منهم»
٢. في المصدر: ـ «على أنفسهم»
٣. في المصدر: «لنا»
٤. في المصدر: ـ «حرمت»
٥. في المصدر: ـ «الدخول في دار الإسلام»
٦. تهذيب *الاحكام* ٤: ١١٤، الحديث: ١.
٧. عدّ ياقوت عدّة من المدن باسم «هَجَر» ثمّ قال: والهَجَر بالألف واللام موضع آخر وقد فتحت في أيام النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ راجع: معجم *البلدان* ٥: ٣٩٣.

قوله سبحانه: ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾

ورود هذه الكلمة لكون المقصود من عبادة الله هو أن يعبد من حيث يريده الله تعالى، لا من حيث يريده العابد على ما عرفت من معنى العبادة في تفسير سورة الفاتحة، فلا بدّ في عبادته أن يعبد على ما يشرّعه بلسان رسوله، فتكذيبهم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أوجب أن يكون تحريمهم ما حرّم الله تعالى غير مقبول ولا مرضيّ عنده سبحانه، ولذلك نفى سبحانه جميع الأُصول والفروع عنهم من الإيمان بالله واليوم الآخر وتحريم ما حرّم الله والأخذ بدين الحقّ.

قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ﴾

بناء نوع من جزى دينه إذا قضاه، فالجزية دين عليهم يجب أن يقضوه.

وقوله سبحانه: ﴿ عَنْ يَدٍ ﴾

أي عن يدٍ متواتية غير ممتنعة ولا مستنكفة، فهو من قبيل الكناية يراد بها كمال الإطاعة.

وقوله سبحانه: ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

من صغر بمعنى ذلّ، وهو أيضاً من قبيل الكناية.

قوله سبحانه: ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللهِ ﴾

وهو قول بعض اليهود.

وفي الإحتجاج عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: إنّه طالبهم فيه بالحجّة، فقالوا بأنّه ـ عليه السلام ـ أحيى لبني إسرائيل التوراة بعدما ذهب، ولم يفعل بها

هذا إلّا لأنّه ابنه، فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: كيف صار عزير ابن الله دون موسى وهو الذي جاءهم بالتوراة ورأوا منه من المعجزات ما قد علمتم، فإن كان عزير ابن الله، لما ظهر من إكرامه من إحياء التوراة فلقد كان موسى بالنبوّة أحقّ وأولى،[١] الحديث.

أقول: وظاهره أنّ مرادهم بالبنوّة بنوّة التشريف دون التوليد.

قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾

وهو قول بعضهم أيضاً أرادوا به التشريف.

وفي الإحتجاج أيضاً عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: إنّه طالبهم بالحجّة، فقالوا: إنّ الله لمّا أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة، ما ظهر، فقد اتّخذه ولداً على جهة الكرامة فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه، ثمّ أعاد ذلك كلّه فسكتوا، الحديث.[٢]

قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾

إن كانت الباء للظرفيّة كان المعنى أنّ القول تعلّق بأفواههم، فلم ينزل قلوبهم، وإن كانت للسببيّة فالمعنى أنّ قلوبهم غير شاعرة لمعناه ولا قاصدة، وعلى كلا الوجهين هو كناية عن عدم إذعانهم أنفسهم بما يدّعونه، فإنّهم إن أرادوا بنوّة الولادة فقد جعلوا لله سبحانه جسماً محكوماً بنظام المادّة، وهم يعلمون أنّه منزّه

---

١. *الإحتجاج* للطبرسي ١: ٢٣؛ *تهذيب الاحكام* ٤: ١١٤، الحديث: ١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٢٩، الحديث: ١.

٢. *الاحتجاج* ١: ٢٤.

من ذلك، وإن أرادوا بنوّة التشريف فقد عظّموا أمرهما بزعمهم، لكن استصغروا أمر الله سبحانه، وفرّطوا في جنبه وهم يعلمون.

قوله سبحانه: ﴿ يُضَاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

المضاهاة: المشابهة، وكأنّ تقدير الكلام يضاهون قولاً ﴿ قَوْلَ الَّذِينَ... ﴾، فحذف التمييز للدلالة عليه في الكلام، و﴿ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ هو قولهم: الملائكة بنات الله.

قوله سبحانه: ﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ ﴾

دعاء عليهم، كقوله: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾،[١] وكأنّ المراد به القتل بعد القتل.

وفي *الاحتجاج* عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في حديث: أي لعنهم الله،[٢] فسمّى اللعنة قتلاً.[٣][٤]

وفي *المجالس* و*تفسير العيّاشي* عن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: اشتدّ غضب الله على اليهود حين قالوا: عزيرا بن الله، واشتدّ غضب الله على النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، واشتدّ غضب الله على من أراق دمي وآذاني في عترتي.[٥]

---

١. عبس (٨٠): ١٧.

٢. في المصدر: + «أنّى تؤفكون»

٣. في المصدر: «قتالاً»

٤. *الاحتجاج* ١: ٢٥٠.

٥. في *الأمالي* للصدوق: ١٥٩، الحديث: ١ ـ «واشتدّ غضب الله على من أراق دمي وآذاني في عترتي»؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ٨٦، الحديث: ٤٣؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٣٨، الحديث: ٣.

قوله سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: أما والله[1] ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم[2] من حيث لا يشعرون.[3]

أقول: وفي هذا المعنى أخبار كثيرة يشتمل على أنّ من أطاع أحداً في دعوته فقد عبده، فإن دعى الداعي إلى الله فقد عبده، وإن دعى إلى غيره فأطاعه فقد عبد ما يدعوه إليه، وقد سمّى الله سبحانه الإطاعة عبادة في مواضع من كلامه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾،[4] وقال: ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَانَ ﴾،[5] وقال: ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾.[6]

قوله سبحانه: ﴿ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾

فرق بين عبادتهم المسيح وبين عبادتهم الأحبار، لكون الأُولى عبادة صريحة والثانية عبادة طاعة.

*

١. في المصدر: ـ «أما والله»؛ وفي *الكافي* ١: ٥٣: «أما والله ما دعوهم».
٢. في المصدر: «فكانوا يعبدونهم»؛ وفي *الكافي* ١: ٥٣: «فعبدوهم».
٣. تفسير *العيّاشي* ٢: ٨٧، الحديث: ٤٨.
٤. يس (٣٦): ٦٠ـ٦١.
٥. مريم (١٩): ٤٤.
٦. سبأ (٣٤): ٤١.

[يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُوا نُورَ ٱللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ ٱلحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾]

قوله سبحانه: ﴿ نُورَ ٱللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾

لمّا ذكر أنّ ما قالوا: قول ﴿ بأفواههم ﴾ استتبع ذلك أنّهم يريدون أن يتبع نور الله أفواههم فينطفئ نور الله بها، فقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُوا نُورَ ٱللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللهُ ﴾، ومعناه لا يريد الله إلّا أن يتمّ نوره، والعدول إلى ﴿ يَأْبَى ﴾ ليقابل به قوله: ﴿ يُرِيدُونَ ﴾

قوله سبحانه: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ ﴾

في *الإكمال* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: والله ما نزل تأويلها بعـ ولا ينزل تأويلها حتّى يخرج القائم، فإذا خرج القائم لم يبقَ كافر بالله العظ لا مشرك بالإمام إلّا كره خروجه، الحديث.[1]

قوله سبحانه: ﴿ جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾

ولعلّ وجه تخصيص هذه الأعضاء بالذكر أنّهم لإخلادهم إلى عرض الدنيا، خاضعون للذهب والفضّة ومعتمدون متّكئون عليها، والخضوع بالسجو الجبهة والاعتماد والاتّكاء بالجنب والظهر، وقيل في ذلك وجوه أُخر.

وقوله تعالى: ﴿ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا ﴾

أي يوقد عليها مُحمّاة مسخنة.

وقوله: ﴿ فَتُكْوَىٰ ﴾

من الكيّ، وهو معروف.

قوله سبحانه: ﴿ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا ﴾

هذا التقريع والتوجيه بأنّه الكنز الذي اختصصتم به أنفسكم كقوله في الآية

---

١. *إكمال الدين* ٢: ٦٧٠، الحديث: ٥٨؛ تفسير *الفرات*: ١٨٤؛ تفسير *العياشي* ٢: ٨٧؛ اثبات *الهداة* ٣: ٥٥٠، الحديث: ٥٦١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٤١، الحديث: ١؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٠١؛ ينابيع *المودة* ٣: ٢٣٩ الحديث: ١٤؛ منتخب *الأثر*: ٢٩٤.

السابقة: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، يدلّ على أنّ هذا التشديد والعذاب، إنّما هو لكون الكنز قطعاً لسبيل الله وإبطالاً لمصلحة التمليك، فيدور أمره في الشدّة مدار السبيل في أهمّيّته كالزكاة والإنفاق مع حاجة المسلمين والصالحين من عباد الله مع فاقتهم الشديدة بسِنة أو جدب أو غير ذلك.

ومن هنا يظهر أنّ مقدار الكنز وكذا صدق الكنز بحسب الأحوال والأزمان يختلف اختلافاً شديداً، فربما كانت الألف كنزاً وربما لم تكن، وربما كان مع حاجة أوسط الناس كنزاً، وربما لم يكن لعدم حاجتهم، وإلى هذا ربما يرجع معاني الأخبار الواردة:

ففي *المجمع* عن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ: ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز أدّى زكاته أو لم يؤدّ، وما دونها فهي[1] نفقة.[2]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـعليه السلام ـ في الآية قال ـعليه السلام ـ: إنّما عنى بها ما جاوز ألفي درهم.[3]

أقول: ولعلّ الاختلاف بين الروايتين راجع إلى اختلاف الأحوال.

وفي *الخصال* عن النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـ: الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم.[4]

وفي *المجمع* عن النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـ: لمّا نزلت هذه الآية، قال: تبّاً للذهب والفضّة[5] يكرّرها ثلاثاً فشقّ ذلك على أصحابه، فسأله عمر:[6] أيّ المال

---

١. في المصدر: «فهو»

٢. مجمع *البيان* ٥: ٤٠؛ *الكشف والبيان* ٥: ٣٧.

٣. تفسير *العيّاشي* ٢: ٨٧، الحديث: ٥٣.

٤. *الخصال* ١: ٤٣، الحديث: ٢٧.

٥. في المصدر: «تبّاً للذهب تبّاً للفضّة»

٦. في المصدر: + «فقال يا رسول الله»

نتّخذ؟ فقال:[١] لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه.[٢]

وفي *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: كان أبوذر الغفاري يغدو كلّ يوم وهو بالشام فينادي بأعلى صوته: بشّر أهل الكنوز بكيّ في الجباه، وكيّ بالجنوب، وكيّ بالظهور[٣] أبداً حتّى يتردّد الحرّ في أجوافهم.[٤]

وفي *الأمالي* وغيره عن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ: كلّ مال تؤدّى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وكلّ مال لا تؤدّى زكاته فهو كنز، وإن كان فوق الأرض.[٥]

وفي *التهذيب* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: ما أعطى الله عبداً ثلاثين ألفاً وهو يريد به خيراً.[٦]

وعنه ـ عليه السلام ـ: ما جمع رجل قطّ عشرة آلاف درهم من حلّ وقد يجمعها لأقوام إذا أُعطي القوت ورزق العمل فقد جمع الله له الدنيا والآخرة.[٧]

وفي *تفسير القمّي* أيضاً في حديث قال: نظر عثمان بن عفّان إلى كعب الأحبار فقال له: يا أبا إسحاق! ما تقول في رجل أدّى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟ فقال: لا، ولو اتّخذ لبنة من ذهب ولبنة من

---

١. في المصدر: «فقال»

٢. مجمع *البيان* ٥: ٤٠؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٠٥؛ مسند *احمد* ٥: ٣٦٦؛ *الكشف والبيان* ٥: ٣٨.

٣. في المصدر: «بكيّ في الجباه كيّ في الجنوب وكيّ في الظهور»

٤. تفسير *القمّي* ١: ٢٨٩؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٠٥.

٥. *الامالي*، الطوسي: ٥١٨، الحديث: ١٨؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٤٣، الحديث: ٢؛ *الكشف والبيان* ٥: ٣٧.

٦. تهذيب *الأحكام* ٦: ٣٢٨، الحديث: ٢٨.

٧. نفس المصدر؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٠٦.

فضّة ما وجب عليه شيء، فرفع أبوذر عصاه فضرب بها رأس كعب، ثمّ قال له: يا بن اليهوديّة الكافرة! ما أنت والنظر في أحكام المسلمين، قول الله أصدق من قولك حيث قال: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾.[١]

أقول: وبذلك ينبغي أن يفسّر النبويّ السابق ويقيّد بما إذا لم تمسّ الحاجة الشديدة من المؤمنين أو وليّ الأمر إليه وإلّا فهو كنز وإن أُدّيت حقوقه الواجبة.

ويمكن أن يستفاد هذا المعنى أيضاً من ما في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه سئل في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال ـ عليه السلام ـ: الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟ فقيل: أُريدهما جميعاً، فقال: أمّا الظاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك.[٢]

أقول: والأخبار على اختلافها كثيرة في هذا الباب، ولعلّها تتّفق في ما ذكرناه من المعنى وإن اختلفت بظاهرها.

*

١. تفسير *القمي* ١: ٥٢؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٠٥.

٢. *الكافي* ٣: ٥٠٠، الحديث: ١٣.

[إنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتَابِ ٱللهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ ٱلقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيْهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا ٱلمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ ٱلمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَا طِئُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَٱللهُ لَا يَهْدِى ٱلقَوْمَ ٱلكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾]

قوله سبحانه: ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾

وهي ذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرّم، ورجب الفرد، وكانت العرب ترى وتعتقد حرمة هذه الأشهر الأربع، وقد تمسّكوا به من دين إبراهيم وإسماعيل، حتّى أنّ أحدهم لو ظفر على قاتل أبيه أو تمكّن من عدوّه ما بسط إليه يداً قط، وكان ذلك بينهم حتّى حدث النسيء وهو أنّهم إذا أرادوا قتالاً في شهر حرام أحلّوه وحرّموا مكانه آخر غيره، وكان ذلك مختصّاً بالمحرّم وصفر.

وكانا يسمّيان صفراً الأوّل وصفراً الثاني، فربما أُحلّ صفر الأوّل في هذه

السنّة وحرّم مكانه صفر الثاني، ثمّ حرّم في القابل صفر الأوّل وحلّ الثاني.

ثمّ إنّهم سروا هذا التغيير إلى بقيّة الشهور، حتّى رفضوا خصوص هذه الأربعة واعتبروا فيها العدد فقط، وهو الأربعة، وربما زادوا شهراً واحداً أو شهرين على شهور السنة، فصارت السنة ثلاثة عشر شهراً أو أربعة عشر شهراً.

وقد ذكروا أنّ أوّل ذلك حدث في كنانة، وكانوا فقراء ذوي حاجة إلى الغارة، وكان جنادة بن عوف الكناني سيّداً مطاعاً في الجاهليّة، وكان يقوم على جمل أحمر في الموسم، فيقول: إنّ آلهتكم قد أحللت لكم المحرّم فأحلّوه، ثمّ ينادي في القابل: إنّ آلهتكم قد حرّمت عليكم المحرّم فحرّموه.[1]

وبالجملة كان ذلك دائراً بينهم في الجاهليّة، حتّى أثبت الإسلام المشهور اثني عشر لا تزيد ولا تنقص، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِنْدَ ٱللهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً**﴾، وأثبت الحرمة في صفر الأوّل فسمّي شهر الله المحرّم، ثمّ قيل المحرّم تخفيفاً فسمّي به فهو من الألفاظ الإسلاميّة.

قوله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ**﴾

وهو تأخير حرمة شهر إلى سنة أُخرى غير هذه السنة، كما كانوا يؤخّرون حرمة المحرّم من سنة إلى قابل، فيحرّمون في هذه السنة صفراً، ثمّ إذا كان من قابل عادوا إلى تحريم المحرّم كما كان، أو النسيء تأخير الحرمة من شهر إلى شهر آخر كتأخيره من المحرّم إلى صفر.

وكيف كان فالنسيء فَعيل بمعنى مفعول من النساء وهو التأخير وقرئ نسيّ

---

١. تفسير *الصافي* ٣: ٤٠٩.

بتشديد الياء.

ونسبه في *المجمع* إلى الصادق ـعليه السلام ـ،[١] وفي الجوامع إلى الباقر ـعليه السلام ـ.[٢]

*

١. مجمع *البيان* ٥: ٤٤.
٢. جوامع *الجامع* ٢: ٦٣.

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾]

قوله سبحانه: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا ﴾

وذكر أصحاب السير والتاريخ واشتملت عليه الروايات ما ملخّصه أنّه كان ذلك

في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ من الطائف فإنّ الصيّافة كانوا يقدمون المدينة من الشام معهم الدرموك والطعام، فأشاعوا بالمدينة أنّ الروم قد اجتمعوا يريدون غزو رسول الله في عسكر عظيم، وأنّ هرقل[١] قد سار في جنوده وجلب معهم غسّان[٢] وجُذام[٣] وبَهْراء[٤] وعامِلَة،[٥] وقدم عساكره البلقاء[٦] ونزل هو حمص، فتهيّأ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وعزم على الخروج إلى تبوك، وكتب إلى تميم وغطفان وطيّ، وإلى من أسلم من خزاعة، وجهينة ومُزَينة،[٧] وبعث إلى عتاب بن أُسيد عامله على مكّة، يستنفرهم لغزو الروم وأمر ـ صلى الله عليه وآله ـ بمعسكره، فضرب في ثنيّة الوداع، وأمر أهل الجدّة واليسار أن يعينوا من لا قوّة به، ويعدّوا من لا عدّة له وقام ـ صلى الله عليه آله ـ خطيباً.[٨]

وقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه: أيّها الناس إنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأولى القول[٩] كلمة التقوى، وخير الملل ملّة إبراهيم، وخير السنن سنّة محمّد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأُمور عزائمها، وشرّ الأُمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف القتلى

---

١. هِرقِل: «ملك الروم».
٢. أربع من قبائل اليمن [منه ـ رحمه‌الله ـ]. و«غسّان» اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد.
٣. جُذام: «قبيلة من اليمن نزل بجبال حِسمي».
٤. بَهراء: «قبيلة من قضاعة».
٥. عاملة: «حيّ من اليمن».
٦. البلقاء: «مدينة بالشام».
٧. مُزَينة: «قبيلة من مصر».
٨. تفسير *القمي* ١: ٢٩٠؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤١٠.
٩. في *الاختصاص*: «وأوثق العرى»

الشهداء،(١) وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتّبع، وشرّ العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى، وشرّ المعذرة محضر الموت، وشرّ الندامة يوم القيامة.

ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلّا نزراً، ومنهم من لا يذكر الله إلّا هجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما أُلقي في القلب اليقين والارتياب من الكفر، والتباعد(٢) من عمل الجاهليّة، والغلول من قيح جهنّم، والسكر جمر النار، والشعر من إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل إبليس، والشباب شعبة من الجنون.

وشرّ المكاسب كسب الرباء، وشرّ المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقيّ من شقي في بطن أُمّه، وإنّما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى آخره، وملاك الأمر خواتيمه، وأربى الربا الكذب، وكلّ ما هو آتٍ قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه.

[ومن توكّل على الله كفاه، ومن صبر ظفر]،(٣) ومن يعف يعف الله عنه، ومن كظم الغيظ آجره الله، ومن يصبر على الرزيّة يعوّضه الله، ومن تبع السمعة يسمع الله به، ومن يصم يضاعف الله له،(٤) ومن يعص الله يعذّبه [الله].

---

١. في الاختصاص: «وأشرف القتل قتل الشهداء»

٢. في الاختصاص: «والنياحة»

٣. في الاختصاص بدل ما بين المعقوفتين: «ومن يبالي على الله يكذبه»

٤. في الاختصاص: «ومن يصم بصره»

اللهمّ اغفر لي ولأُمّتي، أستغفر الله لي ولكم.[١]

فرغّب الناس في الجهاد وحثّوا عليه، وبذلوا الأموال وأعدّوا العدّة حتّى اجتمع في معسكره ـ صلى الله عليه وآله ـ نحو من خمسة وعشرين ألف مجاهد غير العبيد والبنين.

وكان الوقت وقت قحط وقيظ وحرّ، ولذلك تعلّل عدّة من المنافقين فلم يخرجوا مع النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ وبقوا في المدينة يقلّبون الأُمور ويكدّرون صفو الأُمور، وكانوا قد كثر عددهم وعظم أمرهم يومئذٍ حتّى آل الأمر أن همّوا برسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ليلة العقبة.

فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وخلّف مكانه أمير المؤمنين عليّاً ـ عليه السلام ـ، وسار رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حتّى نزل الجرف، فرجع عبد الله بن أُبيّ بغير إذن، فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: «حسبي الله هو الذي أيّدني بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم»، فلمّا انتهى إلى الجرف. لحقه عليّ ـ عليه السلام ـ وأخذ بغرز[٢] راحلته وقال: يا رسول الله! زعمت قريش أنّك تركتني بالمدينة استثقالاً لي، فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، فقال: قد رضيت، ورجع إلى المدينة.[٣]

---

١. *الاختصاص* للمفيد: ٣٤٢؛ *المغازي* للواقدي ٣: ١٠١٦؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٦٥؛ مدينة *البلاغة* ١: ٥٧، الخطبة: ٢٢؛ وقريب منه في *الامالي* للصدوق: ٤٨٧، المجلس: ٧٤، الحديث: ١.

٢. الغرز، بالفتح فالسكون: ركاب الرجل من جلد فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب، [منه ـ رحمه الله ـ]

٣. تفسير *القمي* ١: ٢٩٣؛ *السيرة النبوية* لابن هشام ٥: ١٩٩.

وقدم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ تبوك في شعبان يوم الثلاثاء، وأقام بقيّة شعبان وأيّاماً من شهر رمضان، وأتاه ـ وهو بتبوك ـ بخته بن أرويه صاحب إيله فأعطاه الجزية، وكتب له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ كتاباً وكتب أيضاً لأهل جرباء وأذرح كتاباً وبعث صلى الله عليه وآله ـ وهو بتبوك ـ جمعاً ممّن معه إلى جمع من جذام، فأصابوا منهم طرفاً وسبايا، وبعث آخرين إلى ناس من بني سليم وجموع من بُلّي، فلمّا قاربوا القوم هربوا.

وبعث آخرين إلى الأكيدر صاحب دومة الجندل، وكان ذا عدّة وقوّة جدّاً، فأصابوه ليلة في خارج حصنه، فأسروه وجاءوا به إليه ـ صلى الله عليه وآله ـ، فصالحه بمالٍ عظيم من الجزية.(١)

وأقام ـ صلى الله عليه وآله ـ بتبوك شهرين، وكان ما شاع في المدينة من عزم هرقل وجمعه الجموع لغزو رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ باطلاً، وتردّد بينه وبين النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ الرسول، ومال هرقل إليه ـ صلى الله عليه وآله ـ لما أخبر به رسوله من صفاته وشأنه ـ صلى الله عليه وآله ـ، ولم يؤذن ـ صلى الله عليه و آله ـ في قتاله.(٢)

ثمّ سار رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قافلاً من تبوك إلى المدينة حتّى إذا كان ببعض الطريق ائتمر فارس من أصحابه المنافقين أن يقتلوه بطرحه من العقبة، وأخبر جبرئيل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ بخبرهم وقال ـ صلى الله عليه آله ـ للناس: أن خذوا بطن الوادي فإنّه أوسع لكم وأخذ هو ـ صلى الله عليه آله ـ العقبة، وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام الناقة، وأمر حذيفة بن اليمان أن

---

١. *السيرة النبوية* ٥: ٢٠٨؛ *المغازي* للواقدي ٣: ١٠٢٥.

٢. *المغازي* للواقدي ٣: ١٠١٨.

يسوقها وتهيّأ النفر الذين أرادوا المكر به وتلثّموا وعقّبوه صلى الله عـليه وآله حتّى إذا صعدها هو ومعه حذيفة وعمّار إذ سمعوا ركزة القوم من ورائـهم قـد غشوه، فغضب ـصلى الله عليه وآله ـ وأمر حذيفة أن يفرّقهم، فـرجـع ومـعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم وضربها ضرباً بالمحجن، وأبصر القوم وهـم متلثّمون، فرعّبهم الله حين أبصروا حذيفة وظنّوا أنّ مكرهم قد ظهر، فأسرعوا حتّى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حـتّى أدرك رسـول الله ـصـلى الله عـليه وآله ـوخرجوا من العقبة ينتظرون الناس وسأل رسـول الله ـصـلى الله عـليه وآله ـحذيفة عن شأن أُولئك النفر، فقال: كانوا متلثّمين لم أعرفهم، غير أنّـي عرفت راحلة فلان وفلان،[١] فسمّاهم رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـلحذيفة عن آخرهم بأسمائهم وأخبره بما قصدوا.

فقال أوَ لا تأمر بهم فتضرب أعناقهم؟ فقال ـصلى الله عليه وآله ـ: أكره أن يتحدّث الناس أنّ محمّداً ظهر بأصحابه، ثمّ وضع يده فيهم.[٢]

ثمّ أمرهما أن يكتماهم بعد ما سمّاهم.

وثمّ سار حتّى بلغ المدينة، وكان خروجه إلى أن رجع ثمانين يوماً.

وقد ظهر منه ـصلى الله عليه وآله ـمن حين خرج إلى أن رجـع مـعجزات باهرة مذكورة في كتب السير وجوامع الحديث.

قوله سبحانه: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ ﴾

وعدٌ بالعذاب وتشديد.

---

١. *المغازي* للواقدي ٣: ١٠٤٣.

٢. *المغازي* للواقدي ٣: ١٠٤٤.

قوله سبحانه: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾
يشير إلى خروجه ـ صلى الله عليه وآله ـ من مكّة مهاجراً إلى المدينة فدخل غاراً بجبل الثور، وهو جبل عن يمين مكّة وعلى مسير ساعة راجلاً ومعه أبو بكر، فكان ـ صلى الله عليه وآله ـ أحد رجلين اثنين في الغار إذ يقول ـ صلى الله عليه آله ـ لصاحبه وهو أبو بكر كانت أخذته رعدة ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾.

قوله سبحانه: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ ﴾
الضمير الأوّل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ بقرينة الضمير الثاني، إذ من الضروري أنّ المؤيّد بالجنود هو رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ والاختلاف بين مرجعي الضميرين بأن يرجع كلّ واحد إلى مرجع على حدة رديّ شنيع لا ينبغي أن يلتفت إليه قطعاً.

وفي *المجمع* و*الكافي* و*تفسير العيّاشي* في روايات مختلفة عن الباقر والصادق والرضا ـ عليهم السلام ـ: إنّهم قرأوا: **﴿فَأَنزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ على رسوله وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ﴾**.[1]

وقد مرّت القصّة في قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية من سورة الأنفال.

قوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ﴾
وهو ما تكلّموا به أن يقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه كما قيل.

---
١. *مجمع البيان* ٥: ٤٩؛ *الكافي* ٨: ٣٧٨، الحديث: ٥٧١؛ *تفسير العيّاشي* ١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٢.

وقوله: ﴿ وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾

هي ما وعده سبحانه من نصرة رسوله وإعلاء كلمته كما قيل.

قوله سبحانه: ﴿ ٱنفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾

في *تفسير القمّي* قال ـعليه السلام ـ: شبّاناً وشيوخاً، يعني[١] إلى تبوك.[٢]

أقول: وهو من قبيل ذكر بعض المصاديق، والآية أعمّ من كلّ ما يوجب خفّة في النفر أو ثقلاً.

قوله سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً ﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـعليه السلام ـ يقول: غنيمة قريبة، الحديث.[٣]

وقوله: ﴿ وَسَفَراً قَاصِداً ﴾

أي متوسّطاً.

وقوله: ﴿ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ﴾

أي المسافة لكونها تقطع بمشقّة، وكان الكلام مسوق سياق اللوم والتهكّم، بأنّهم طالبون لعرض الدنيا وخاصّة إذا كان لا يفتقر إلى كدّ في طلبه، وتعب ومشقّة في تحصيله ونيله.

---

١. في المصدر: + «غزوة»

٢. تفسير *القمّي* ١: ٢٩٠.

٣. تفسير *القمّي* ١: ٢٩٠؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤١٤.

قوله سبحانه: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ﴾

يريد المنافقين الذين تخلّفوا في المدينة عن الشخوص لتبوك، وذلك أنّ المتخلّفين عن رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـفي هٰذه الغزوة كانوا على أصناف: صنف منهم أهل نيّة وبصيرة، منهم أبوخيثمة لم يخرج وقال: سألحق به وكان قويّاً، وكان له زوجتان وعريشتان، وكانتا زوجتاه قد رشّتا عريشتيه وبرّدتا له الماء وهيّئتا له طعاماً، فأشرف على عريشته، فلمّا نظر إليهما قال: لا والله ما هذا بإنصاف، هذا رسول الله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر قد خرج في الفيح والريح وقد حمل السلاح يجاهد في سبيل الله وأبوخيثمة قويّ قاعد في عريشته وامرأتين حسناوتين، لا والله ما هذا بإنصاف.

ثمّ أخذ ناقته وشدّ عليها رحله ولحق برسول الله، فنظروا إلى راكب في الطريق، فأخبروا رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـفقال ـصلى الله عليه وآله ـ: كن أبا خيثمة، فأقبل وأخبر النبيّ بما كان منه فجزاه خيراً ودعا له.[1]

وكان أبوذر تخلّف عن رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـثلاثة أيّام، وذلك أنّ جمله كان أعجف[2] ووقف عليه جمله في بعض الطريق، فتركه وحمل ثيابه على ظهره، فلمّا ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ: كن أباذر، فقالوا: هو أبوذر، فقال رسول الله: أدركوه بالماء فإنّه عطشان، فأدركوه بالماء، ووافى أبوذر رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـومعه إداوة فيها ماء، فقال رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ: يا أباذر معك

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢٩٤؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٦٨، الحديث: ١.

٢. في المصدر: + «فلحق بعد ثلاثة أيّام به»

ماء وعطشت ؟! قال: نعم، يا رسول الله! بأبي أنت وأُمّي انتهيت إلى صخرة عليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت: لا أشربه حتّى يشرب[١] رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ.

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: يا أباذر! رحمك الله تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك وتدخل الجنّة وحدك، الحديث. ملخّصاً من *تفسير القمّي*.[٢]

وصنف منهم الثلاثة الذين خلّفوا وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أُميّة وسيجيء قصّة توبتهم.[٣]

وصنف منهم الباقون وهم المنافقون تخلّفوا وكانوا يكدّرون كلّ صفو على المؤمنين ويتربّصون بهم الدوائر، وكان منهم عبد الله بن أُبيّ رجع إلى المدينة من بين الطريق من غير إجازة، ومات بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك إلى المدينة، وستجيء قصّته.

أقول: والمستفاد من خلال هذه القصص وسياق الآيات أنّ المنافقين كانوا طوائف مختلفة، ذات آراء وأهواء مختلفة متنوّعة، فجمع منهم صاحبوا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ، ولا محالة كانت لهم مقاصد لا يرون حصولها إلّا من طريق الملازمة والتظاهر بظواهر الدين، والاستدرار منه حينما أمكنهم الفرصة وصفى لهم الكدورة، كما يستفاد من قصّة العقبة وقول النبيّ ـ صلى الله عليه آله ـ

---

١. في المصدر: «يشربه حبيبي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ»

٢. *تفسير القمّي* ١: ٢٩٤؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٦٩، الحديث: ١؛ *السيرة النبوية* ٥: ٢٠٤؛ *المغازي* ٣: ١٠٠٠.

٣. *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٧١.

فيهم ما قال: والله سبحانه حيث ذكر الصحابة في القرآن بخير، استدرك في كلامه بما يشعر بالقدح في عموم الكلام، كقوله سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً ﴾،[1] فتراه سبحانه يصفهم بالجميل، حتّى إذا وعدهم بالسعادة وحسن الخاتمة، وعد بعضهم دون جميعهم، وكقوله في قصّة بدر:

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾[2] الآية من سورة الأنفال، وقد مرّ الكلام فيها.

وجمعٌ منهم كانوا بالمدينة يتظاهرون بالإسلام كعبد الله بن أُبيّ وأترابه دفعاً للتهمة وحذراً من السياسة لا يشاركون في الشدائد مع المسلمين إلّا بمقدار، وربما كان المسلمون يعرفونهم ولا يتعرّضون بهم إرفاقاً.

ومن هنا صحّ لنا أن نبحث عن حال الصحابة ونوجّه إلى كلّ واحدٍ منهم القدح أو المدح على حسب ما يقضي به المأثور المضبوط من حاله وسيرته، ولا نحسن الظنّ بكلّ من تسمّى باسم الصحابي مع ما يضبطه التاريخ والرواية من مختلف أحوالهم، ولا نصغي بعموم ما رووه لأنفسهم عن النبيّ ـ صلى الله عليه آله ـ أنّه قال: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم،[3] الحديث.

على أنّهم أنفسهم لم يعملوا بعموم أمثال هذه الأحاديث، ولم يضعوا كلّ صحابيّ موضع القبول والرضا بشهادة التاريخ، فقد امتلأت الكتب وشحنت

---

١. الفتح (٤٨): ٢٩.

٢. الأنفال (٨): ٤٩.

٣. *إرشاد القلوب* ٢: ٣٣٤؛ *الصراط المستقيم* ١: ٢٧٢؛ ٢: ٢١.

التصانيف بالوقائع الواقعة بينهم من طعن ولعن وسبٍّ وشتم وضرب ونفي وقتل وغير ذلك، ولم يقم دليل على حصر الاجتهاد فيهم دون غيرهم من الأُمّة من التابعين، ولا بقيام العذر فيهم دون من سواهم والله الهادي.

*

[عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ ٱللهُ ٱنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾]

قوله سبحانه: ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾

تثبيت للجناية عليهم في صورة العتاب لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ، والدليل على عدم كونه عتاباً حقيقة، أنّه سبحانه يصدقه ـ صلى الله عليه وآله ـ في فعله وينتصر له في تالي الكلام، ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ ٱللهُ ٱنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ

وَقِيلَ ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَاعِدِينَ ﴾ و **﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾**.

فالكلام مسوق لبيان ظهور فسقهم ووضوح تخلّفهم، وأنّهم جعلوا إذن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ ذريعة للتخلّف بعدما وجدوه يأذن لمن استأذنه، ولو لم يأذن لم ينفكّوا عن التخلّف لكونهم لم يبنوا على الخروج، وهذا المسلك من العتاب شائع في الألسن.

وفي *العيون* عن الرضا ـ عليه السلام ـ فيما أجاب عن سؤال المأمون في عصمة الأنبياء قال ـ عليه السلام ـ: هذا ممّا نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله بذلك نبيّه وأراد[1] أُمّته.[2]

أقول: وممّا مرّ يظهر أن لا وجه لعدّ الآية ممّا يثبت لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ جناية في إذنه كما ذكره بعضهم، وحاشا مقام الأنبياء وخاصّة سيّدهم وخاتمهم أن تطرأ ساحتهم جناية أو خيانة، وكذا ما ذكره بعضهم أيضاً: أنّ المورد من باب ترك الأولى المجوّز في الأنبياء غير المنافي لعصمتهم، فكان الأولى أن لا يأذن لهم حتّى يظهر للناس نفاقهم وتخلّفهم.

وذلك لأنّ الكلام ليس مسوقاً للعتاب من حيث إنّ إذنه ـ صلى الله عليه آله ـ أوجب لخفاء أمرهم والستر عليهم، بل من حيث إنّه لو كان لم يأذن تميّز عنده الصادق من الكاذب، كما قال تعالى: **﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾**، ورسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ كان يعرفهم

---

١. في المصدر: «أراد به»

٢. عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ١: ٢٠٢، الحديث: ١٥.

في لحن القول كما قال تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾،[١] وقد عرّفهم الله سبحانه بقوله: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

على أنّ المنافقين كانوا يبدون أعذاراً من سقم أو عدم أو غير ذلك فيقبله رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ولا يناقش فيما يدّعونه عن أنفسهم، وقد مدحه الله عليه حيث يقول في أواخر السورة: ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢]

ولا وجه للعتاب حقيقة لما مدحه فيه الله سبحانه، فالعتاب صورة عتاب لتأكيد كذبهم في دعواهم وحلفهم.

قوله سبحانه: ﴿ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾

في *الخصال* عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: من تردّد في الريب سبقه الأوّلون وأدركه الآخرون ووطأته[٣] سنابك الشياطين.[٤]

قوله: ﴿ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾

في *تفسير العيّاشي* قال ـ عليه السلام ـ: يعني بالعدّة النيّة، يقول: لو كان لهم نيّة لخرجوا.[٥]

---

١. محمّد (٤٧): ٣٠.

٢. التوبة (٩): ٦١.

٣. في المصدر: «قطعته»

٤. *الخصال* ١: ٢٣١، الحديث: ٧٤؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤١٦.

٥. *تفسير العيّاشي* ١: ٨٩.

قوله سبحانه: ﴿ آنْبِعَاثَهُمْ ﴾

الانبعاث: النهوض والتثبيط والإبطاء، والخبال: الفساد والشرّ.

وقوله: ﴿ وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾

أي أسرعوا ركائبهم فيكم بالفساد.[1]

*

---

١. تفسير *الصافي* ٣: ٤١٧.

[وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ آئْذَنْ لِى وَلَا تَفْتِنِّى أَلَا فِى ٱلفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالكَافِرِينَ ۝٤٩ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠ قُلْ لَنْ يُصِيْبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ آللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى آللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ آلمُؤْمِنُونَ ۝٥١ قُلْ هَلْ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى آلحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيْبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِيْنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ۝٥٢ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ۝٥٣ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ آلصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۝٥٤ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى آلحَيَاةِ آلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝٥٥ وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِى آلصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ آللهُ

وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى ٱللَّهِ رَاغِبُونَ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴿٦٣﴾]

قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ آئْذَنْ لِى وَلَا تَفْتِنِّى ﴾

في *تفسير القمّي*: لقي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ الجدّ بن قيس فقال له: يا أبا وهب! ألا تنفر معنا في هذه الغزوة لعلّك أن تحتفد(١) من بنات الأصفر فقال: يا رسول الله! والله، إنّ قومي ليعلمون أنّه ليس فيهم أحدٌ أشدّ عجباً بالنساء منّي، وأخاف إن خرجت أن لا أصبر إذا رأيت بنات الأصفر فلا تفتنّي وائذن لي أن أُقيم،(٢) وقال لجماعة من قومه: لا تنفروا(٣) في الحرّ، فقال ابنه: تردّ على رسول الله وتقول [له] ما تقول ثمّ تقول لقومك لا تنفروا في الحرّ؟! والله

---

١. في المصدر: «تستحفد»

٢. *الكشف والبيان* ٥: ٥٢؛ *السيرة النبوية* ٥: ١٩٥؛ *المغازي* ٣: ١٠٢٣؛ *مجمع البيان* ٥: ٥٦.

٣. في المصدر: «لا تخرجوا»

لينزلنّ الله[١] في هذا قرآناً تقرأه الناس إلى يوم القيامة، فأنزل الله على رسوله في ذلك: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ آئْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾، ثمّ قال الجدّ بن قيس: أيطمع محمّدٌ أنّ حرب الروم مثل حرب غيرهم لا يرجع من هؤلاء أحدٌ أبداً.[٢]

قوله سبحانه: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ ﴾

في تفسير *القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: أمّا الحسنة: فالغنيمة والعافية، وأمّا المصيبة: فالبلاء والشدّة.[٣]

قوله سبحانه: ﴿ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا ﴾

في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: لا يضرّ مع الإيمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل، ألا ترى أنّه تعالى قال: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾.[٤]

أقول: وروى قريباً منه العيّاشي في *تفسيره*،[٥] ويقرب من الآية في ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[٦]

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾

---

١. في المصدر: ـ «الله»
٢. تفسير *القمّي* ١: ٢٩٢؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤١٩.
٣. تفسير *القمّي* ١: ٢٩٢؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤١٩.
٤. *الكافي* ٢: ٤٦٤، الحديث: ٣؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٧٥.
٥. تفسير *العيّاشي* ٢: ٨٩، الحديث: ٦١؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٢١.
٦. التوبة (٩): ١٧.

ما نعدّه نعمة من أعراض الحياة الدنيا وزخارفها ليست بنعمة بقول مطلق، وعلى الحقيقة، فإنّ النعمة إنّما تعدّ نعمة إذا لائمت ما يقتضيه الوجود وتحتاج إليه الحياة، فلا بدّ أن تكون كمالاً وسعادة، وحيث كانت الخلقة ليجري الإنسان في مجرى التوحيد وطريق ولاية الله تعالى، فلو وقع الإنسان في طريق السعادة وصراط ولاية الله فجميع ما آتاه الله تعالى من مال وجاه وولد وصحّة وعافية، نعمة عليه باعتبار، وفتنة وابتلاء باعتبار.

وإذا انحرف عن مجراه الفطري وصراطه الجبلّي انقلب جميع ذلك نقمة عليه، لأنّها شاغلة إيّاه عن الوصول إلى خيره وسعادته، فهي أنواع من العذاب يعذّبه الله سبحانه بها في الدنيا.

وقد مرّ بعض ما يناسب المقام في قوله: ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[1] من سورة البقرة.

وقوله: ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾

الزهوق: الخروج بصعوبة.

وقوله: ﴿ يَفْرَقُونَ ﴾

من الفَرَق بالتحريك وهو: الخوف.

قوله سبحانه: ﴿ أَوْ مُدَّخَلاً ﴾

في المجمع عن الباقر ـ عليه السلام ـ: أسراباً في الأرض.

---

١. البقرة (٢): ٣٥.

وقوله: ﴿ يَجْمَحُونَ ﴾

من جموح الفرس وهو: عدم طاعته لراكبه، وعدوه من غير مبالاة ولا انقياد.[١]

قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَاتِ ﴾

في *المجمع* عن الباقر -عليه السلام-: بينا رسول الله[٢] إذ جاءه ابن[٣] ذي الخويصرة التميمي،[٤] وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل.[٥]

وفي *الكافي* و*المجمع* و*تفسير العيّاشي* عن الصادق -عليه السلام-: إنّ أهل هذه الآية أكثر من ثلثي الناس.[٦]

أقول: وهو من قبيل الجري والانطباق، أو من قبيل بطن القرآن بالتحليل، وظاهر الحصر في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ ﴾ إنّ اللمز والاعتراض كان في تقسيم الصدقة دون مطلق الغنيمة.

قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾

---

١. مجمع *البيان* ٥: ٦٢.
٢. في المصدر: + «يقسم قسماً وقال ابن عبّاس كانت غنائم هوازن يوم حنين»
٣. في المصدر: «ابن أبي ذي الخويصرة»؛ في *تفسير ابن كثير*: «ذي الخويصرة»؛ وفي سائر المصادر: «ابن ذي الخويصرة»
٤. في نسخة: التيمي [منه -رحمه الله-].
٥. مجمع *البيان* ٥: ٦٢؛ *الكشف والبيان* ٥: ٥٥؛ *الكشاف* ٢: ٢٨١؛ تفسير *ابن كثير* ٢: ٣٣١؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٢٣.
٦. *الكافي* ٢: ٢١٤، الحديث: ٤؛ مجمع *البيان* ٥: ٦٣؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ٨٩، الحديث: ٦٢؛ *الزهد*: ٤٧، الحديث: ١٢٦؛ بحار *الأنوار* ٧١: ١١٠.

في *تفسير القمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية قال ـ عليه السلام ـ: ﴿الفقراء﴾: هم الذين لا يسألون وعليهم مؤونات من عيالهم، والدليل على أنّهم هم الذين لا يسألون قول الله في سورة البقرة: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾.[١]

﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾

هم أهل الزمانة[٢] من العُميان والعُرجان والمجذومين وجميع أصناف الزمنى من الرجال والنساء والصبيان.

﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾

هم السعاة والجباة في أخذها وجمعها وحفظها حتّى يؤدّوها إلى من يقسّمها.

﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾

قوم وحّدوا الله ولم تدخل المعرفة قلوبهم[٣] أنّ محمّداً رسول الله، فكان رسول الله يتألّفهم ويعلّمهم كيما يعرفوا، فجعل الله لهم نصيباً في الصدقات لكي يعرفوا ويرغبوا.[٤]

---

١. البقرة (٢): ٢٧٣.

٢. الزمانة: العاهة، راجع: *لسان العرب* ١٣: ١٩٩.

٣. في المصدر: + «مِنْ»

٤. *تفسير القمي* ١: ٢٩٩.

﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾
قوم قد لزمهم كفّارات في قتل الخطأ، وفي الظهار وقتل الصيد في الحرم وفي الأيمان وليس عندهم ما يكفّرون وهم مؤمنون، فجعل الله لهم سهماً في الصدقات ليكفّر عنهم.

﴿ وَٱلغَارِمِينَ ﴾
قوم قد وقعت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من غير إسراف، فيجب على الإمام أن يقضي ذلك عنهم ويكفيهم من مال الصدقات.

﴿ وَفِىْ سَبِيْلِ ٱللهِ ﴾
قوم يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يحجّون به، أو في جميع سبيل[1] الخير، فعلى الإمام أن يعطيهم من مال الصدقات حتّى يتقوّوا به على الحجّ والجهاد.

﴿ وابنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾
أبناء الطريق الذين يكونون في الأسفار في طاعة الله فيقطع عليهم، فيذهب مالهم، فعلى الإمام أن يردّهم إلى أوطانهم من مال الصدقات.

والصدقات تتجزّى ثمانية أجزاء، فيعطى كلّ إنسان من هذه الثمانية على قدر ما يحتاجون إليه بلا إسراف ولا تقتير، يقوم في ذلك الإمام يعمل بما فيه الصلاح.[2]

١. في المصدر: «سُبُل»
٢. *تفسير القمّي* ١: ٢٩٩؛ *تفسير الصافى* ٣: ٤٢٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٧٨، الحديث: ٤.

أقول: والروايات في الباب في غاية الكثرة، من أرادها فعليه بكتاب الزكاة من الفقه، وقد وردت عدّة من الروايات: أنّ الفقير هو الذي لا يسأل النـاس، والمسكين هو الذي يسأل،[١] وفي بعضها والبائس أجهد منهما.

قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾

في *تفسير القمّي* قال ـعليه السلام ـ: كان سبب نزولها أنّ عبد الله بن نفيل كأن منافقاً، وكان يقعد إلى رسول الله فيستمع كلامه وينقله إلى المنافقين وينمّ عليه، فنزل جبرئيل على رسول الله فقال: يا محمّد؛ إنّ رجلاً من المنافقين ينمّ عليك وينقل حديثك إلى المنافقين، فقال رسول الله: من هو؟ فقال: الرجل الأسـود كثير شعر الرأس ينظر بعينين كأنّهما قدران وينطق بلسانه[٢] شـيطان، فـدعاه رسول الله فأخبره فحلف أنّه لم يفعل، فقال رسول الله: قد قبلت منك فـلاتقع، فرجع إلى أصحابه، فقال: إنّ محمّداً أُذن أخبره الله أنّي أنمّ عليه وأنقل أخباره فقبل وأخبرته أنّي لم أفعل فقبل، فأنزل الله على نبيّه: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُـؤْمِنُ لِـلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي يصدّق الله فيما يقول، ويصدّقك فيما تعتذر إليه[٣] ولا يصدّقك في الباطن.[٤]

أقول: فقوله: ﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ من الكناية.

---

١. تفسير *القمّي* ١: ٢٩٨؛ *الكشف والبيان* ٥: ٥٧؛ مجمع *البيان* ٥: ٦٤؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٢٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٧٧، الحديث: ٤.
٢. في المصدر: «لسان»
٣. في المصدر: + «في الظاهر»
٤. تفسير *القمّي* ١: ٣٠٠؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٢٨.

وقوله: ﴿ يُؤْمِنُ بِاللهِ ﴾
أي يصدّقه علماً وقلباً.

وقوله: ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
أي يصدّقه عملاً، ولكون الإيمانين مختلفين كرّر سبحانه لفظ الإيمان بتكرّر متعلّقه.

وقوله: ﴿ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾
وضع الظاهر موضع المضمر من الشاهد على ما ذكرناه في سورة البقرة في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1] أنّ هذه اللفظة مختصّة بطائفة خاصّة وهم السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، فذكره بعينه بعد ذكر المؤمنين ليس من التكرار في شيء.

قوله سبحانه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾
الخطاب للمؤمنين، وإنّما كانوا يرضونهم لكونهم مؤمنين، فوليّهم وهو الله ورسوله أحقّ أن يرضوه، وإذ لا يرضون الله ورسوله فهم منافقون البتّة.

*

١. البقرة (٢): ١٠٤.

[يَحْذَرُ ٱلْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُواْ إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا ٱللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ

وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلعَظِيمُ ﴿٧٢﴾]

قوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوا ﴾

إن قلت: قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَافِقُونَ ... ﴾، تحكي عن أنّهم كانوا يخافون من ذلك على سبيل الجدّ، فلا يلائمه قوله أخيراً: ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوا ﴾، الحاكي عن أنّه كان منهم هزءاً وسخريّة.

قلت: ذكر القمّي وغيره في تفاسيرهم: أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه آله ـ لمّا خرج إلى تبوك كان جمع من المنافقين يتحدّثون بينهم ويقولون: أيرى محمّد أنّ حرب الروم مثل حرب غيرهم؟! لا يرجع منهم أحد أبداً، فقال بعضهم: ما أخلقه أن يخبرالله محمّداً بما كنّا فيه وبما في قلوبنا وينزل عليه بهذا قرآناً يقرأه الناس، وقالوا هذا على حدّ الاستهزاء،[١] انتهى.

فهذا ما كان من قولهم، غير أنّهم كانوا يخافون ظهور هذا الأمر منهم لمّا رأوا من نزول الوحي كلّما أحدثوا حدثاً أو أسرّوا دسيسة وفساداً، غير أنّهم لم يكونوا يرون أنّ ذلك مستند إلى أمر سماوي وإخبار إلهي حقيقة، فهم كانوا

---

١. تفسير *القمّي* ١: ٣٠٠؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤١٩؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٩٥، الحديث: ٣.

يخافون نزول سورة تظهر أمرهم وتهتك سترهم جدّاً وينسبون ذلك إلى الوحي استهزاءً، فقال الله سبحانه: ﴿ **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا** ﴾

قوله سبحانه: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ** ﴾

سيأتي ما يتعلّق بها من القصّة عند قوله تعالى: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا** ﴾ من هذه السورة.[١]

قوله سبحانه: ﴿ **إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ** ﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿ **لَا تَعْتَذِرُوا** ﴾ قال: هؤلاء قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا وشكّوا ونافقوا بعد إيمانهم، وكانوا أربعة نفر.[٢]

وقوله: ﴿ **إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ** ﴾

كان أحد الأربعة مخشي بن حُمَيِّر،[٣] فاعترف وتاب وقال: يا رسول الله! أهلكني اسمي، فسمّاه رسول الله عبد الله بن عبد الرحمن، فقال: يا ربّ، اجعلني شهيداً حيث لا يُعلم أين أنا، فقتل يوم اليمامة ولم يَعلم أحدٌ أين قُتل، فهو الذي عفي عنه.[٤]

---

١. التوبة (٩): ٧٤.

٢. *تفسير القمّي* ١: ٣٠٠.

٣. في بعض نسخ المصدر «مختبر بن الحمير» والصحيح ما في المتن، وهو مخشي بن حُمَيِّر الأشجعي، وكان من المنافقين من أصحاب مسجد الضرار، راجع: *أسد الغابة* ٤: ٣٣٨؛ *الإصابة* ٣: ٣٩١.

٤. *تفسيرالقمّي* ١: ٣٠٠؛ *تفسيرالصافي* ٣: ٤٣١؛ *البرهان في تفسيرالقرآن* ٤: ٤٩٥، الحديث: ٤.

قوله سبحانه: ﴿ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾
هذه الآية من الشواهد عَلى أنّ المنافقين كانوا عدّة مؤتلفة من رجال ونساء، وأنّهم كانوا هيئة متّحدة متّفقة النظر في أن يهدموا الدين ويفسدوا أمر الإسلام طمعاً في زخرف الدنيا، ولجاجاً مع رسول الله، وأنّ النساء كانت مع الرجال منهم في تشريك المساعي على نحوٍ مؤثّر.

قوله سبحانه: ﴿ بِخَلَاقِهِمْ ﴾
الخلاق: هو النصيب، والخوض: هو الدخول التامّ في شيء، والمراد الخوض في الباطل.

قوله سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾
في *الكافي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: إنّه سئل عن المؤتفكات، قال ـعليه السلام ـ: أُولئك قوم لوط ائتفكت عليهم أي[1] انقلبت.[2][3]

أقول: يعني ـعليه السلام ـ انقلاب ديارهم عليهم حيث جعل عاليها سافلها.

قوله سبحانه: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾
العدن: الإقامة والتوطّن، ظاهر السياق كون جنّات عدن غير الجنّات التي ذكرها سابقاً، وإلّا كان من وضع الظاهر موضع المضمر من غير نكتة ظاهرة،

---

١. في المصدر: ـ «أي»
٢. في المصدر: + «عليهم»
٣. *الكافي* ٨: ١٧٩، الحديث: ٢٠٢؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٣٤؛ *البرهان في تفسيرالقرآن* ٤: ٥٠٥.

فيمكن أن يكون لهم جنّات ثمّ يشرّفون بمساكن في جنّة هي أعلى منها، وهو مرسوم في تشريف الضيف وإكرامه، ويلائم ذلك الجملة التالية وهي قوله: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ﴾.

وفي *الفقيه* في حديث بلال: جنّة عدن في وسط الجنان سورها ياقوت أحمر، وحصائها[١] اللؤلؤ.[٢]

وفي *المجمع* عن النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـ: عدن: دار الله التي لم ترها عين، ولم تخطر على قلب بشر، لا يسكنها غير ثلاثة: النبيّين والصدّيقين والشهداء، يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك.[٣]

أقول: ولا منافاة بين عموم الآية، وتخصيص الرواية جنّة عدن بالطوائف الثلاث، فإنّ عموم المؤمنين حقّاً سيلحقون بهم، قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾.[٤]

وفي *تفسير العيّاشي* عن السجّاد ـعليه السلام ـ قال: إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل وليّ الله إلى جنّاته ومساكنه، واتّكأ كلّ مؤمن على أريكته، حفّته خدّامه وتهدّلت عليه الأثمار[٥] وتفجّرت حوله العيون وجرت من تحته الأنهار، وبسطت له الزرابيّ، ووضعت[٦] له النمارق، وأتته الخدّام بما شاءت هدبه[٧]

---

١. في المصدر: «حصاها»، وفي *تفسير الصافي*: «حصباؤها»

٢. من لا يحضره *الفقيه* ١: ٢٩٦، الحديث: ٩٠٥؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٣٥.

٣. مجمع *البيان* ٥: ٧٧؛ *جوامع الجامع* ٢: ٦٩؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٠٧.

٤. الحديد (٥٧): ١٩.

٥. في المصدر: «الثمار»

٦. في المصدر: «صففت»

٧. في المصدر: «شهوته»

من قبل أن يسألهم ذلك.

قال: ويخرج عليه الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله، ثمّ إنّ الجبّار يشرف عليهم، فيقول لهم: أوليائي وأهل طاعتي وسكّان جنّتي في جواري، ألا هل أُنبّئكم بخير ممّا أنتم فيه؟ فيقولون: ربّنا وأيّ شيء خير ممّا نحن فيه ممّا اشتهت أنفسنا ولذّت أعيننا من النعم في جوار الكريم؟ قال: فيعود عليهم القول فيقولون: ربّنا نعم، فأتنا بخير ممّا نحن فيه، فيقول لهم تبارك وتعالى: رضائي عنكم ومحبّتي لكم خيرٌ وأعظم ممّا أنتم فيه فيقولون: نعم، يا ربّنا رضاك عنّا ومحبّتك لنا خيرٌ وأطيب لأنفسنا.

ثمّ قرأ عليّ بن الحسين ـ عليه السلام ـ هذه الآية: ﴿ **وَعَدَ اللهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ** ﴾.[1]

وفي *ربيع الأبرار* للزمخشري عن جابر عن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، قال الله تعالى: تشتهون شيئاً فأزيدكم، قالوا: ربّنا وما خير مما أعطيتنا؟ قال: رضواني أكبر.[2]

*

______

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ٩٦، الحديث: ٨٨؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٠٦.

٢. *ربيع الأبرار* ١: ٢٤٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٠٨، الحديث: ٤.

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُنْ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴿٧٤﴾]

قوله سبحانه: ﴿ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ ﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: ﴿ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ ﴾ بإلزام الفرائض.(١)

أقول: وقوله: ﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ موضوع كالقرينة على أنّ المراد بالجهاد ليس هو القتال بالسيف.

قوله سبحانه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا ﴾

في *المجمع* نزلت الآيات في اثني عشر رجلاً، وقفوا على العقبة ليفتكوا

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٣٠١؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٣٦؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٠٨، الحديث: ٢.

برسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ عند رجوعه من تبوك، فأخبر جبرئيل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ بذلك وأمره أن يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلهم وعمّار كان يقود دابّة رسول الله وحذيفة يسوقها.

فقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم، فضربها حتّى نحّاهم، فلمّا نزل قال لحذيفة: من عرفت من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: إنّه[1] فلان وفلان حتّى عدّهم كلّهم، فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال: أكره أن يقول العرب لمّا ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم.

عن ابن كيسان قال: وروي عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ مثله، إلّا أنّه قال: ائتمروا بينهم وقال بعضهم لبعض: إن فطن نقل إنّما كنّا نخوض ونلعب، وإن لم يفطن نقتله.[2]

أقول: وقد سبقت القصّة في ضمن قصّة غزوة تبوك.

واعلم أنّ إشباع النظر في هذه الآيات من قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ عشر آيات، يكشف عن تحزّب سرّي واتّحاد باطنيّ بين جماعة من أصحاب رسول الله وأهل الاختصاص به كانوا قصدوا فيه هدم ما بناه وتخريب ما أسّسه حتّى انجرّ ذلك إلى التوطئة عليه وسوء القصد به ـ صلى الله عليه وآله ـ، فكشف الله عن سوء سرّهم وفاسد سريرتهم.

---

١. في نسخة: إنّهم، [منه ـ رحمه الله ـ].

٢. مجمع البيان ٥: ٧٠؛ جوامع الجامع ٢: ٧١؛ ونقل مضمونه الثعلبي في *الكشف والبيان* ٥: ٧٠؛ والفيض في تفسير *الصافي* ٣: ٤٣٨؛ والبحراني في *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٢.

[وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)» فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣) وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ

أحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أمْوَالُهُمْ وَأوْلَادُهُمْ إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴿٨٥﴾ وَإذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأذَنَكَ أُولُوا ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ ٱلقَاعِدِينَ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأنْ يَكُونُوا مَعَ ٱلخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأمْوَالِهِمْ وَأنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ ٱلخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلمُفْلِحُونَ﴿٨٨﴾ أعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ ٱلفَوْزُ ٱلعَظِيمُ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ ٱلمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلأعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى ٱلمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إذَا نَصَحُوا لِلهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى ٱلمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إذَا مَا أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أجِدُ مَا أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَناً ألَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴿٩٢﴾ إنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأذِنُونَكَ وَهُمْ أغْنِيَاءُ رَضُوا بِأنْ يَكُونُوا مَعَ ٱلخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إلَيْكُمْ إذَا رَجَعْتُمْ إلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأنَا ٱللهُ مِنْ أخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إلَىٰ عَالِمِ ٱلغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إذَا ٱنقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأعْرِضُوا عَنْهُمْ إنَّهُمْ

رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾]

قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ ﴾

في *الجوامع* هو ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً، فقال: يا ثعلبة، قليلٌ تؤدّي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه، فقال: والذي بعثك بالحقّ لئن رزقني مالاً لأعطينّ كلّ ذي حقّ حقّه، فدعا له فاتّخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، حتّى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، وبعث رسول الله ليأخذ الصدقة فأبى وبخل وقال: ما هذه إلّا أُخت الجزية.[١]

أقول: ورواه القمّي في تفسيره عن الباقر ـ عليه السلام ـ إجمالاً،[٢] وفي *المجمع* مرفوعاً.[٣]

قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾

في *تفسير القمّي*: جاء سالم بن عمير الأنصاري بصاع من تمر، فقال: يا رسول‌الله كنت ليلتي أجيراً لجرير[٤] حتّى عملت[٥] بصاعين من تمر، فأمّا

١. *جوامع الجامع* ٢: ٧٢.

٢. *تفسير القمّي* ١: ٣٠١؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٤٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥١٥؛ *الكشف والبيان* ٥: ٧٢.

٣. *مجمع البيان* ٥: ٨٠.

٤. الجرير: اسم رجل، لكن في *تفسير الصافي*: «أجرّ الجرير» اي كنت أجرّ الحبل الذي يجرّ به البعير، يريد أنّه استقى الناس على أجرة صاعين؛ وفي سائر المصادر: «أجرّ بالجرير».

٥. في المصدر: «نِلت»

أحدهما فأمسكته لعيالي،[١] وأمّا الآخر فأقرضته ربّي، فأمره رسول الله أن ينثره في الصدقات، فسخر منه المنافقون، فقالوا: والله، إن كان[٢] الله لغنيّاً[٣] عن هذا الصاع ما يصنع الله بصاع شيئاً، ولكنّ أبا عقيل أراد أن يذكّر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت.[٤]

أقول: وروي نظيره عن طريق العامّة.[٥]

قوله سبحانه: ﴿ إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾

«أو» الترديديّة تدلّ على التسوية بين طرفيها، فإذا تخلّل بين الأمر والنهي كان دالّاً على أنّ الفعل والترك متساويان لا يترتّب على شيء منهما أثر، فقوله سبحانه: ﴿ إسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يدلّ على أنّ الاستغفار وعدم الاستغفار سيّان في حقّ المنافقين لا يترتّب عليه أثر، ولذا أكّده ثانياً بقوله: ﴿ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ﴾، فبيّن أنّه كما أنّ الاستغفار لا ينفع، كذلك الإلحاح فيه والإصرار أيضاً لا ينفع، فالواحد والكثير منه سواء، ولفظ سبعين يؤتى به في هذه الموارد للتكثير.

وقوله سبحانه: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

تعليل للحكم بأنّ ذلك لا لبخل من ناحيته سبحانه وتعالى، بل لبطلان استعدادهم

---

١. في المصدر: ـ «لعيالي»

٢. في المصدر: ـ «كان»

٣. في المصدر: «يغني»، وفي *تفسير الصافي*: «لغنيّ»

٤. *تفسير القمّي* ١: ٣٠٢؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٤١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥١٥.

٥. *الكشف والبيان* ٥: ٧٦؛ *تفسير ابن كثير* ٢: ٣٤١؛ *الكشاف* ٢: ٢٩٤.

وقابليّتهم للمغفرة.

وفي *تفسير القمّي*: أنّها نزلت لمّا رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إلى المدينة، ومرض عبد الله بن أُبيّ وكان ابنه عبد الله مؤمناً، فجاء إلى النبيّ وأبوه يجود بنفسه.

فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمّي إن لم تأتِ أبي كان ذلك عاراً علينا، فدخل عليه رسول الله والمنافقون عنده، فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: يا رسول الله، استغفر له، فاستغفر له، فقال له عمر:[1] ألم ينهك الله يا رسول الله أن تصلّي عليهم أو تستغفر لهم؟!! فأعرض عنه رسول الله، فأعاد عليه فقال له: ويلك إنّي خيّرت فاخترت، إنّ الله يقول: ﴿ **ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ** ﴾.

فلمّا مات عبد الله جاء ابنه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله، ـ فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، إنّي رأيت أن تحضر جنازته، فحضر رسول الله وقام على قبره فقال له عمر: يا رسول الله، ألم ينهك الله أن تصلّي على أحد منهم مات أبداً أو تقوم على قبره؟!! فقال له رسول الله: ويلك، هل تدري ما قلت؟ إنّما قلت: اللهمّ احشُ قبره ناراً وجوفه النار وأصله ناراً، فبدا من رسول الله ما لم يكن يحبّ.[2]

أقول: وروت العامّة ما يقرب منه، وفي رواياتهم: أنّه لمّا اعترض عليه عمر، نزل قوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾، فكان تصديقاً لقوله.[3]

---

١. في المصدر: «الثاني»

٢. *تفسير القمّي* ١: ٣٠٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥١٦، الحديث: ١.

٣. *الكشف والبيان* ٥: ٧٩.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: إنّ النبيّ قال لابن عبد الله بن أُبيّ: إذا فرغت من أبيك فأعلمني، وكان قد توفّي فأعلمه، فأخذ رسول الله نعليه للقيام، فقال عمر: أليس قد قال الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾.

فقال له: ويحك أو ويلك، إنّما أقول: اللهمّ املأ قبره ناراً واملأ جوفه ناراً وأصله يوم القيامة ناراً.[1]

أقول: حقّ الكلام أن يقال: إنّ المستفاد من سياق الآيتين أعني قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَٱللهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.[2]

أنّ الآيتين لم تنزلا معاً لشهادة وحدة الذيل فيهما معاً بذلك، فكانت الآية الأُولى نزلت في الاستغفار للمنافقين، وليس فيه نهي، وإنّما الدلالة على أنّها غير نافعة بحالهم، وإنّما اشتبه الأمر على عمر فعدّ ذلك نهياً.

ففرق واضح بين قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وبين قولنا: لا تستغفر لهم، أو ليس لك أن تستغفر لهم، وأمّا قوله: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾، فهو وإن كان للتكثير، فلا ينفع لا سبعون ولا سبعون ألفاً.

غير أنّ الأخذ بذيل الرحمة والعناية الإلهيّة ممكن، فقوله ـ صلى الله عليه آله ـ: إنّي خيّرت فاخترت، وقوله: قد رخّص لي ربّي فسأزيد على

---

١. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٠١، الحديث: ٩٤.

٢. التوبه (٩): ٨٤.

السبعين من لطيف الاستفادة، ثمّ نزلت الآية الثانية: ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾.

ويظهر من جوابه ـ صلى الله عليه وآله ـ لعمر، أنّه ـ صلى الله عليه آله ـ استفاد من قوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ ﴾، النهي عن الدعاء، لا النهي عن صلاة الميّت، ولذا قال ـ صلى الله عليه وآله ـ: إنّما قلت: اللهمّ احشُ قبره ناراً.

وفي *المجمع*: إنّه كان إذا صلّى على ميّت يقف على قبره ساعة ويدعو له.[1]

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: كان رسول الله ـ صلى الله عليه آله ـ يكبّر على قوم خمساً، وعلى قوم آخرين أربعاً وإذا كبّر على رجل أربعاً اتّهم يعني بالنفاق.[2]

وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي* عنه ـ عليه السلام ـ: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إذا صلّى على ميّت كبّر وتشهّد، ثمّ كبّر وصلّى على الأنبياء، ثمّ كبّر ودعا للمؤمنين، ثمّ كبّر الرابعة ودعا للميّت، ثمّ كبّر وانصرف، فلمّا نهاه الله عن الصلاة على المنافقين كبّر وتشهّد، ثمّ كبّر وصلّى على النبيّين، ثمّ كبّر ودعا للمؤمنين، ثمّ كبّر[3] وانصرف ولم يدعُ للميّت.[4]

قوله سبحانه: ﴿ أُوْلُوا الطَّوْلِ ﴾

أي الفضل والسعة.

---

١. *مجمع البيان* ٥: ٨٧.
٢. *الكافي* ٣: ١٨١، الحديث: ٢.
٣. في المصدر: + «الرابعة»
٤. *الكافي* ٣: ١٨١، الحديث: ٣؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ١٠٢، الحديث: ٩٦؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥١٨، الحديث: ٦.

وقوله سبحانه: ﴿ مَعَ الخَوَالِفِ ﴾

كأنّه جمع خالفة.

في *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـعليه السلام ـ قال: مع النساء.[١]

قوله سبحانه: ﴿ وَجَاءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾

التعذير: إيهام ما ليس بعذر عذراً، والأعراب: أهل البدو.

قوله سبحانه: ﴿ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾

الفيضان: انبساط الماء المنصبّ دفعةً في الأرض، فالفيضان للدمع وأُسند إلى العين استعارة، و﴿ من ﴾ كما قيل: بيانيّة، فهو من الكناية.

وفي *تفسير القمّي*: وجاء البكّاءون إلى رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـوهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، قد شهد بدراً لا خلاف فيه، ومن بني واقف: هرمي بن عمير، ومن بني حارثة: عليّة بن يزيد وهو الذي تصدّق بعرضه، وذلك أنّ رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـأمر بالصدقة، فجعل الناس يأتون بها، فجاء عليّة، فقال: يا رسول الله، ما عندي ما أتصدّق به وقد جعلت عرضي حلّاً، فقال له رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ: قد قبل الله صدقتك، ومن بني مازن بن النجّار: أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، ومن بني سلمة: عمرو بن غنيمة، ومن بني زريق: سلمة بن صخر، ومن بني العزّ: ناصرة بن السارية السلمي.

---

١. *تفسير العياشي* ٣: ١٠٣، الحديث: ٩٧.

هؤلاء جاءوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يبكون فقالوا: يا رسول الله، ليس بنا قوّة أن نخرج معك، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ **لَيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى ٱلمَرْضَىٰ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ** ﴾.

وفي *تفسير العيّاشي* عنهما ـ عليهما السلام ـ: إنّ عبدالله بن يزيد بن الورقاء أحدهم.[1]

أقول: وروي في بعض التفاسير أنّهم ستّة.

*

---

١. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٠٤، الحديث: ١٠٠.

[ٱلأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٩٧) وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٩٨) وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ ٱلرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٩٩) وَالسَّابِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنصَارِ وَالَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ ٱلفَوْزُ ٱلعَظِيمُ(١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ ٱلأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ(١٠١) وَآخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى ٱللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٠٢) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ

ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾]

قوله سبحانه: ﴿ ٱلأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً ﴾

لأنّ أهل البدو أبعد عن الحضارة والعلم، فأُصول علوم الاجتماع وهي التي تنمو عليها الملكات المعتدلة الملائمة للاجتماع ليست في أيديهم ومعرض تلقّيهم حتّى يعتدلوا.

قوله سبحانه: ﴿ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً ﴾

المغرم: مصدر ميمي وهو الغرامة والخسران، والتربّص: الانتظار.

والدوائر: دوائر الزمان، فمن دائر للإنسان ومن دائر عليه، فتربّص الدوائر كناية عن انتظار فرصة الانتقام.

وقوله سبحانه: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾

دعاء عليهم بالمقابلة.

قوله سبحانه: ﴿ قُرُبَاتٍ عِنْدَ ٱللَّهِ وَصَلَوَاتِ ﴾

أي سبب قربات عندالله، وسبب صلوات الرسول، كذا قيل.

قوله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ ﴾

يريد سبحانه: الذين تأسّس عليهم وعلى جدّهم وجهدهم هذا الدين،

والتابعين: الذين تبعوهم بإحسان فأقاموا الدين بحقيقة أعمالهم وثبات أقدامهم.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: إنّ الله عزّوجلّ سبق بين المؤمنين كما سبق بين الخيل يوم الرهان.

قلت: أخبرني عمّا ندب الله المؤمن في الإسباق إلى الإيمان، قال: قول الله: ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ ٱلمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنصَارِ وَالَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثمّ ثنّى بالأنصار، ثمّ ثلّث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كلّ قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده.[1]

وعن بعض طرق العامّة: أنّها في عليّ وهو أسبق الناس كلّهم بالإيمان، وصلّى على القبلتين، وبايع البيعتين، بيعة بدر وبيعة الرضوان، وهاجر الهجرتين مع جعفر من مكّة إلى حبشة ومن الحبشة إلى المدينة.[2]

قوله سبحانه: ﴿ وَآخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾

في *المجمع* عن الباقر ـعليه السلام ـ: نزلت في أبي لبابة، وقد مرّت قصّته.[3]

قوله سبحانه: ﴿ عَسَى ٱللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـعليه السلام ـ قال: عسى من الله واجب،[4] الحديث.

أقول: ليس يعني ـعليه السلام ـ أنّ عسى قد استعملت في القرآن بمعنى

---

١. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٠٥، الحديث: ١٠٤.

٢. *لسان الميزان* لابن حجر ٢: ٢٢٧؛ *شواهد التنزيل* للحاكم الحسكاني ١: ٣٣٦، الحديث: ٣٤٦.

٣. *مجمع البيان* ٥: ١٠١؛ *تفسير القمي* ١: ٣٠٣.

٤. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٠٥، الحديث: ١٠٥؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٥٧.

التحقيق والوجوب، بل يعنى به المصداق.

وبيانه أنّ الكلام إنّما يطابق فيما يطابق الواقع الثابت، والثابت من حيث إنّه ثابت لا يقبل إلّا الثبات والتحقّق واللزوم والتعيّن، فكلّ تغيّر وتردّد وتزلزل ورجاء وتمنّ وغير ذلك إنّما يتحقّق في ظرف الإدراك والوهم، فالإبهام والتردّد والشكّ وغيرها فينا إنّما هي في ظرف إدراكنا لا في الخارج بما هو خارج.

وملاك الأمر إمكان المطابقة واللّامطابقة بين علمنا وبين الواقع وهو ظاهر.

وأمّا الله سبحانه وتعالى فحيث كان علمه تعالى بالخارجيّات عين تلك الخارجيّات لكمال الإحاطة وتمام القيوميّة، فلا يتصوّر في حقّه سبحانه تردّد وشكّ وإبهام، وكذلك تمنّ بـ«ليت»، ولا ترجّ بـ«لعلّ»، غير أنّ مجرّد الترديد وما يجري مجراها، وإن صحّ تعليق الكلام بذلك من حيث إنّه لفظ كاشف حاكٍ عن معنى، لكن لا يصحّ من حيث استدعاء الكلام فائدة يعبأ بها ويعتنى بشأنها عند العقلاء، فلا يعلّق الكلام على أيّ قيد ولا يتمنّى أيّ محال، ولا يرجىٰ أيّ ممكن، بل هذه المعاني إنّما يعلّق عليها أو يتقيّد بها الكلام إذا كان من طبع الكلام بحسب المقام أن يعتريه ذلك المعنى.

فإن كان المناسب حينئذٍ قيامه، أعني الترجّي والتمنّي والاستفهام والتعجّب وغيرها بالمتكلّم، كان قائماً به كما هو الغالب، وإن كان المناسب قيامه بالمخاطب قام به، وإن كان المناسب قيامه بطبع المقام قام به فقط، كخطابات القرآن على ما تشتمل عليه من المعاني الإنشائيّة، كقوله تعالى: ﴿ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ ﴾،[1] وقوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً

ــــــــــــــ

(١) المائدة (٥): ١١٦.

﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ ،[١] وقوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ ،[٢] وقوله: ﴿ قُتِلَ ٱلإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ ،[٣] وقوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾[٤] إلى غير ذلك.

فهذه الألفاظ جميعاً مستعملة في معانيها المعروفة المعهودة، ومعانيها جميعاً قائمة بطبع المقام من الكلام لا بنفس المتكلّم تعالى عن ذلك وتقدّس، فهذا ما يرجع إلى الاستعمال.

وأمّا بحسب المغزى، فالاحتمال وهو جواز وجود الشيء هناك مساوق لوجوده أوّلاً معنى، للتردّد هناك كما عرفت، فرجاء أمرٍ ما يلازم وقوعه كقوله: ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾[٥]

ومن هنا كان النفي والنهي في القرآن ربّما يؤمي بالجواز والوقوع، كما مرّ في قوله سبحانه: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ،[٦] وكذلك موارد النهي، وكذلك موارد التأكيد فترى أنّ النهي في كلامه يدلّ على الوقوع، والتشديد والتأكيد يدلّ على المساهلة من السامع المقصود كقوله: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ،[٧] وقوله: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾[٨] مع ما انجرّ إليه أمر المسلمين في اُلفتهم واختلاطهم معهم، وما أورثت ذلك من انحطاط سيطرة الدين واستيصال الملّة، وكذا قوله سبحانه: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ

---

١. طه (٢٠): ٤٤.
٢. التوبة (٩): ٩٨؛ الفتح (٤٨): ٦.
٣. عبس (٨٠): ١٧.
٤. مريم (١٩): ٣٨.
٥. الإسراء (١٧): ٨.
٦. البقرة (٢): ٥٧؛ الأعراف (٧): ١٦٠.
٧. الممتحنة (٦٠): ١.
٨. المائدة (٥): ٥١.

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾،[١] مع ما تعقّبته الحوادث ممّا كان من أمر بعض أزواج النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـ، وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ لا أسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾،[٢] مع ما جازته الأُمّة في رهطه وعترته من أهل بيته من فعالٍ ما جوزي بمثله نبيّ ولا رسول، وهذا المعنى كثير الوقوع والنظائر في القرآن، وهو مسلك أهل البيت في بياناتهم في تفسير الآي.

قوله سبحانه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

في *الكافي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: لمّا نزلت هذه الآيه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾ أُنزلت في شهر رمضان، فأمر رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـمناديه، فنادى في الناس: إنّ الله فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة، ففرض الله عزّوجلّ عليهم من الذهب والفضّة، وفرض الصدقة من الإبل والبقر والغنم ومن الحنطة والشعير والتمر والزبيب، فنادى بهم بذلك في شهر رمضان وعفى لهم عمّا سوى ذلك.

قال: ثمّ لم يفرض بشيء من أموالهم حتّى حال عليهم الحول من قابل، فصاموا وأفطروا، فأمر مناديه فنادى في المسلمين: أيّها المسلمون زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم.

قال: ثمّ وجّه عمّال الصدقة وعمّال الطسوق.[٣]

وفي *المجمع* عن النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـ: إنّه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم،

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. الشورى (٤٢): ٢٣.

٣. *الكافي* ٣: ٤٩٧، الحديث: ٢.

قال: اللهمّ صلّ عليهم.[١]

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق -عليه السلام-: إنّه سئل عن هذه الآية، أجارية هي في الإمام بعد رسول الله؟ قال: نعم.[٢]

أقول: وقد مرّ تفسير الصلاة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ﴾[٣] من سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾

أي ما يسكن إليه ويستقرّ.

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾

التوبة هو الرجوع، والرجوع لا يتحقّق إلّا بمستقرّ ينتهي إليه الرجوع، فالتوبة تنتهي إليه تعالى، وهو يقبل التوبة عن عباده لا واسطة فيه في الحقيقة.

قوله سبحانه: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَاتِ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق -عليه السلام- في حديث قال -عليه السلام-: إنّ الله لم يخلق شيئاً إلّا وله خازن يخزنه إلّا الصدقة، فإنّ الربّ تبارك وتعالى يليها بنفسه، وكان أبي إذا تصدّق بشيء وضعه في يد السائل ثمّ ارتجعه منه، فقبّله وشمّه، ثمّ ردّها في يد السائل، وذلك أنّها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد

---

١. *مجمع البيان* ٥: ١٠٣؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٥٨.

٢. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٠٦، الحديث: ١١١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٣٨، الحديث: ٤.

٣. البقرة (٢): ١٥٧.

السائل، فأحببت أن أُقبّلها إذ ولّاها الله ووليّتها،[١] وإنّ صدقة الليل تطفئ غضب الربّ، وتمحو الذنب العظيم، وتهوّن الحساب، وصدقة النهار تنمي المال وتزيد في العمر.[٢]

وفي *تفسير العيّاشي* أيضاً عنه ـعليه السلامـ قال: ما من شيء إلّا وكّل به ملك، إلّا الصدقة، فإنّها تقع في يد الله.[٣]

أقول: الأخبار بهذا المضمون وما يقرب منه في باب الصدقة كثير،[٤] وقد ورد نظير هذا المعنى في صلاة الليل، وإنّ الله لا يوكل عليه من يكتبه من الكرام الكاتبين.

وكذا ورد أنّ الله لا يوكّل الرقيب والعتيد إلّا بما ظهر من أقوال الإنسان، وأمّا خطرات القلب فيحفظه بنفسه ويستره عن غيره، ونظائره غير نادرة.

فالحصر الذي في قوله ـعليه السلامـ: ما من شيء إلّا وكّل به ملك إلّا الصدقة، الحديث، حصر إضافي لا حقيقي، ومن الدليل على كونه إضافيّاً لا حقيقيّاً، أنّ قبول التوبة وأخذ الصدقة موضوعان في الآية معاً وواقعان تحت الحصر، فتخصيص الحصر بأخذ الصدقة دون قبول التوبة إضافي.

ومن هنا يظهر أنّ سوق الكلام إنّما هو ناظرٌ إلى المراتب، فإنّ الوسائط الموكّلة لسائر الأفعال من الواجبات والمستحبّات مثلاً ليست واسطة في أخذ

---

١. في المصدر: «وليها أبي»

٢. *تفسير العيّاشي* ١: ١٠٧، الحديث: ١١٤؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٣٩، الحديث: ٧؛ *وسائل الشيعة* ٩: ٤٣٤.

٣. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٠٨، الحديث: ١١٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٣٩، الحديث: ٨؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٥٩.

٤. *وسائل الشيعة* ٩: ٣٦٧ـ٤١٢؛ *مستدرك الوسائل* ٧: ١٥٣ـ١٥٩.

الصدقة وما يشبهه ممّا لا واسطة له، وإن كان له وسائط بالنسبة إلى ما هو فوقه، فإنّ ارتفاع الواسطة بينه وبين شيء من مخلوقاته ممّا لا مطمع فيه.

وفي *النهج* في بعض خطبه ـ عليه السلام ـ: جعل على كلّ شيء رقيباً.[١]

قوله سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾

إتيان صورة الأمر في هذه الموارد للتعميم، وربما أكّدت بتعميم في متعلّقه، فيقال: اعمل ما شئت، واعملوا ما شئتم، والمعنى على أيّ حال: كلّ ما عملتموه من عمل خير أو شرّ ﴿ فَسَيَرَى ٱللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، وهذا كناية عن الحثّ على الأعمال الصالحة، فمعناه هذّبوا أعمالكم وأصلحوا فإنّها بمعرض مشاهدة الله ورسوله والمؤمنين.

ومن هذا البيان يظهر أنّ المراد بالرؤية ليس هو الرؤية الحسّية والمشاهدة الدنيويّة، فإنّ المرئي من الأعمال للرسول وللمؤمنين بحسب النشأة الدنيويّة ليس إلّا بعضها دون كلّها، بل العمل من حيث إنّه خير أو شرّ متقوّم بصورة النيّة والشوب والخلوص، وهي معنى قلبي وأمر معنوي لا يفي لإدراكه الإحساسات الدنيويّة والمشاعر الحسّيّة، بل المراد الرؤية الباطنيّة بصورة غير دنيويّة، فهو ارتفاع أعمال العباد إلى الله، فيشاهده إذ ذاك رسول الله ـ صلى الله عليه آله ـ والمؤمنون.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: تعرض على رسول الله أعمال العباد[٢] كلّ صباح، أبرارها وفجّارها، فاحذروها وهو قول الله: ﴿ وَقُلِ

---

١. لم نجده في *نهج البلاغة*.
٢. في المصدر: «أمّته»

اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.[١]

أقول: وهذا المعنى مرويّ عنهم مستفيضاً.[٢]

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية قال ـ عليه السلام ـ: هم الأئمّة.[٣]

أقول: يريد ـ عليه السلام ـ تفسير المؤمنين، والرواية بذلك مستفيضة أيضاً.

وفي *البصائر* عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: إنّ الأعمال تعرض على نبيّكم كلّ عشيّة الخميس، فليستحيي أحدكم أن يعرض على نبيّه العمل القبيح.[٤]

وفي *البصائر* أيضاً عن حفص عن غير واحد، قال: تعرض أعمال العباد[٥] يوم الخميس على رسول الله وعلى الأئمّة.[٦]

وفي *أمالي* الشيخ مسنداً عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: قال رسول الله وهو في نفر من أصحابه: إنّ مقامي بين أظهركم خيرٌ لكم من مفارقتي، وإنّ مفارقتي إيّاكم خيرٌ لكم، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال: يا رسول الله، أمّا مقامك بين أظهرنا فهو خير لنا فكيف يكون مفارقتك إيّانا خيراً لنا؟

---

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ١٠٩، الحديث: ١٢٣؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٦٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٤٠، الحديث: ١؛ *معاني الاخبار*: ٣٩٢، الحديث: ٣٧.

٢. تفسير *العياشي* ٢: ١٠٨، الحديث: ١١ـ١٢٧.

٣. *الكافي* ١: ٢١٩، الحديث: ٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٤١، الحديث: ٢؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٦٠؛ تفسير *العياشي* ١: ١٠٩، الحديث: ١٢٥.

٤. بصائر *الدرجات*: ٤٢٦، الحديث: ١٤؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٦١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٤٣، الحديث: ١٢؛ تفسير *القمي* ١: ٣٠٤.

٥. في المصدر: ـ «العباد»

٦. بصائر *الدرجات*: ٤٢٦، الحديث: ١٦؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٤٣، الحديث: ١٤.

فقال: أمّا مقامي بين أظهركم خيرٌ لكم، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ،[١] يعني يعذّبهم بالسيف. فأمّا مفارقتي إيّاكم فهو خير لكم لأنّ أعمالكم تعرض عليّ كلّ اثنين وخميس، فما كان حسناً حمدت الله تعالى عليه، وما كان من سيّء استغفرت لكم.[٢]

وفي *الكافي* مسنداً عن جميل قال: روى لي غير واحد من أصحابنا، قال: لا تتكلّموا في الإمام، فإنّ الإمام يسمع الكلام وهو في بطن اُمّه، فإذا وضعته كتب الملك بين عينيه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ ﴾ ،[٣] فإذا وقع بالأمر وضع[٤] له في كلّ بلدة منار من نور[٥] ينظر منه إلى أعمال العباد.[٦]

وفي *الكافي* أيضاً عن محمّد بن عيسى بن عبيد قال: كنت أنا وابن فضّال جلوساً، إذ أقبل يونس فقال: دخلت على أبي الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ فقلت له: جعلت فداك، قد أكثر الناس في العمود، قال: فقال لي: يا يونس، ما تراه؟[٧] عموداً من حديد يرفع لصاحبك؟ قال: قلت: ما أدري، قال: لكنّه ملك موكّل بكلّ بلدة يرفع به أعمال تلك البلدة، قال: فقام ابن فضّال، فقبّل رأسه وقال: رحمك الله يا أبا محمّد لا تزال تجيء بالحديث الحقّ الذي يفرّج الله به عنّا.[٨]

---

١. الأنفال (٨): ٣٣.
٢. *الأمالي*، الطوسي: ٤٠٨، الحديث: ٦٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٤٦، الحديث: ٢٥.
٣. الأنعام (٦): ١١٥.
٤. في المصدر: «رفع»
٥. في المصدر: ـ «من نور»
٦. *الكافي* ١: ٣٨٨، الحديث: ٦؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٤٢، الحديث: ٨.
٧. في المصدر: + «أتراه»
٨. *الكافي* ١: ٣٨٨، الحديث: ٧؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٤٢، الحديث: ٩.

قوله سبحانه: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ ﴾
الإرجاء: التأخير.

في *الكافي* و *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـعليه السلامـ، وفي *تفسير القمّي* عن الصادق ـعليه السلامـ في هذه الآية: قوم كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة وجعفراً وأشباههما من المؤمنين، ثمّ إنّهم دخلوا في الإسلام فوحّدوا الله وتركوا الشرك ولم يعرفوا الإيمان بقلوبهم، فيكونوا من المؤمنين فتجب لهم الجنّة، ولم يكونوا على جحودهم فيكفروا فتجب لهم النار، فهم على تلك الحال إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم.[١]

أقول: ويظهر من الرواية أنّ الملاك في وجوب الجنّة والنار الإيمان والجحود، وهو كذلك كما عرفت في محلّه.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـعليه السلامـ في قوله: ﴿ عَسَى ٱللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾،[٢] قوم اجترحوا ذنوباً مثل قتل حمزة وجعفر الطيّار ثمّ تابوا، ثمّ قال: ومن قتل مؤمناً لم يوفّق للتوبة إلّا أنّ الله لا يقطع طمع العباد فيه ورجائهم منه.[٣]

أقول: وهذا لا ينافي ما مرّ أنّ ﴿ عَسَىَ ﴾ من الله سبحانه واجب، فإنّ شمول التوبة والمغفرة لبعض الجماعة واجب، وهو مصحّح للرجاء بالنسبة إلى كلّ واحد واحد، فافهم.

*

١. *الكافي* ٢: ٤٠٧، الحديث: ١؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ١١١، الحديث: ١٣٢؛ *تفسير القمّي* ١: ٣٠٤؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٦٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٤٩، الحديث: ١.
٢. التوبة (٩): ١٠٢.
٣. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٠٥، الحديث: ١٠٦.

[وَالَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلحُسْنَىٰ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي ٱلقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)]

قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً ﴾

قرئ بالواو، فهو عطف لسائر قصص المنافقين المذكورة قبلها، وقرئ بإسقاط الواو لكونها قصّة مستقلّة كما قيل.

والمصادر الأربعة أعني قوله سبحانه: ﴿ ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً ﴾، مفعولات مطلقة تدلّ على نوع الفعل وهو الاتّخاذ،

فالمعنى: إنّهم أخذوا مسجداً ليضارّوا عدّة من المؤمنين اتّخذوا مسجداً، وقد كفروا بهذا الاتّخاذ لما نووا في ذلك وليفرّقوا جماعة المؤمنين بنقض وحدتهم واجتماع أنفسهم وأنفاسهم، ولينتظروا من حارب الله ورسوله من قبل.

وقد روى جمع من المفسّرين: أنّ قوماً من الأنصار وهم بنو عمرو بن عوف بنوا مسجد قبا بالمدينة، وأتاه النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ وصلّى فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف نفاقاً وقالوا: نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله فيأتيه ويصلّي فيه، ويصلّي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، وكانوا يقصدونه خارج المدينة ليكون مكاناً يجتمع فيه المنافقون لبعض شأنهم وإنفاذ مقاصدهم في إفساد الأمر على رسول الله وإلقاء الخلاف بين المسلمين.

وقد وعدهم أبو عامر الراهب أن سيقوّيهم وينصرهم بمن يجلب إليه من جنود قيصر من بلاد الروم، فبنوا مسجداً بجنب مسجد قبا وقالوا للنبيّ: بنينا مسجداً لذي العلّة والحاجة والليلة الممطرة والشاتية ونحن نحبّ أن تأتيه وتصلّي فيه وتدعو لنا بالبركة.

وكان ـ صلى الله عليه وآله ـ عازماً للخروج إلى تبوك، فقال ـ صلى الله عليه آله ـ: إنّي على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله تعالى صلّينا فيه.

ولمّا قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت الآيات عليه، فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عديّ ونفر معهم، فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد فاهدموه وأحرقوه ففعل، وأمر أن يتّخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة.[١]

---

١. *جوامع الجامع* ٢: ٨٤؛ *جامع البيان* ١١: ١٨؛ *الكشف والبيان* ٥: ٩٢؛ *تفسير ابن كثير* ٢: ٣٥٣؛ *الكشاف* ٢: ٣٠٩؛ *تفسير القرطبي* ٨: ٢٥٣؛ *الدر المنثور* ٣: ٢٧٦؛ *تفسير القمي* ١: ٣٠٥؛ *مجمع البيان* ٥: ١٠٨؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٦٣؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٥٢.

قوله: ﴿ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ ﴾

الإرصاد هو الانتظار والإعداد.

وقوله: ﴿ لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾

هو أبو عامر الراهب.

في *الجوامع*: إنّه كان قد ترهّب في الجاهليّة ولبس المسوح، ولمّا قدم النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـ المدينة حسده وحزّب عليه الأحزاب، ثمّ هرب بعد فتح مكّة وخرج إلى الروم وتنصّر، وكان هؤلاء يتوقّعون رجوعه إليهم، وأعدّوا هذا المسجد ليصلّي فيه ويظهر على رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ،[1] وأنّه كان يقاتل رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـفي غزواته إلى أن هرب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـومات بقنسرين وجداً.[2]

وروى بعض المفسّرين من العامّة: أنّه الذي سمّاه رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـالفاسق، وقد تنصّر في الجاهليّة وترهّب وطلب العلم، فلمّا هاجر رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـعاداه لأنّه زالت رئاسته، وقال: لا أجد قوماً يقاتلونك إلّا قاتلتك معهم، ولم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلمّا انهزمت الهوازن خرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدّوا بما استطعتم من قوّة وسلاح، وابنوا لي مسجداً فإنّي ذاهب إلى قيصر وآتٍ من عنده بجند، فأخرج محمّداً وأصحابه، فبنوا مسجد الضرار وكانوا ينتظرون قدومه، فمات بأرض الشام.[3]

---

١. *جوامع الجامع* ٢: ٨٤.

٢. *تفسير الصافي* ٣: ٤٦٣.

٣. *الكشف والبيان* ٥: ٩٣؛ *جامع البيان* ١١: ٢٠.

أقول: فالقصّة تشهد كظاهر سياق الآية أنّ قوله: ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ متعلّق بقوله: ﴿ حَارَبَ ﴾، لا بقوله: ﴿ آتَّخَذُوا ﴾، كما ذكره بعضهم.[١]

قوله: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ﴾

نهى عن الصلاة فيه بطريق آكد، وهذه الجملة يمكن أن تكون خبراً لقوله: ﴿ وَالَّذِينَ آتَّخَذُوا ﴾ لو كان مبتدءاً، ويمكن أن يكون قوله: ﴿ وَالَّذِينَ آتَّخَذُوا ﴾، مبتدءاً لخبر مقدّر، أي: ومنهم ﴿ وَالَّذِينَ آتَّخَذُوا ﴾، ويمكن أن يكون منصوباً بالاختصاص.

قوله: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى آلتَّقْوَى ﴾

في *الكافي* و *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: يعني مسجد قبا.[٢]

وفي رواية *العيّاشي*: وأمّا قوله: ﴿ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ قال ـعليه السلام ـ: يعني من مسجد النفاق.[٣]

قوله: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـعليه السلام ـ: هو الاستنجاء بالماء.[٤]

وفي *المجمع* عن الباقر والصادق ـعليهما السلام ـ: يحبّون أن يتطهّروا بالماء عن الغائط والبول.[٥]

---

١. *جوامع الجامع* ٢: ٨٥.
٢. *الكافي* ٣: ٢٩٦، الحديث: ٢؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ١١١، الحديث: ١٣٦.
٣. تفسير *العيّاشي*: نفس المصدر؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٦٧.
٤. تفسير *العيّاشي* ٢: ١١٢، الحديث: ١٣٧.
٥. مجمع *البيان* ٥: ١١١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٥٥، الحديث: ١١.

وعن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ أنّه قال لأهل قبا: ماذا تفعلون في طهركم؟ فإنّ الله قد أحسن عليكم الثناء، قالوا: نغسل أثر الغائط، فقال: أنزل الله فيكم: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾.[١]

أقول: وفي هذه المعاني روايات أُخرى.[٢]

قوله سبحانه: ﴿على شفا جُرُفٍ هارٍ فَأنهار﴾

الشفا مقصوراً: الشفير، والجرف: ما تجرّفته السيول وأكلته من الأرض، أنـهار الجرف أي: إنهدم.[٣]

*

١. تفسير *الصافي* ٣: ٤٦٨.

٢. *الكشف والبيان* ٥: ٩٤.

٣. *جوامع الجامع* ٢: ٨٦؛ *الكشاف* ٢: ٣١٢.

[إِنَّ اللهَ آشْتَرَىٰ مِنَ ٱلمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ وَٱلقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلفَوْزُ ٱلعَظِيمُ (١١١) ٱلتَّائِبُونَ ٱلعَابِدُونَ ٱلحَامِدُونَ ٱلسَّائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ ٱلسَّاجِدُونَ ٱلآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنْ ٱلمُنكَرِ وَٱلحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللهِ وَبَشِّرِ ٱلمُؤْمِنِينَ (١١٢) مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥) إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١١٦) لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنصَارِ الَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى

ٱلثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أنْ لا مَلْجَأ مِنَ ٱللهِ إلَّا إلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إنَّ ٱللهَ هُوَ التَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴿١١٨﴾ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴿١١٩﴾ ما كَانَ لِأَهْلِ ٱلمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ ٱلأَعْرَابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أجْرَ ٱلمُحْسِنِينَ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ ٱلمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴿١٢٢﴾ يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَآعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ ٱلمُتَّقِينَ﴿١٢٣﴾]

قوله سبحانه: ﴿ إنَّ اللهَ آشْتَرَىٰ ﴾

تمثيل يمثّل به جهاد المؤمنين بأنفسهم في سبيل الله وإعطائه إيّاهم الجنّة بذلك.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: أنّه سئل عن هذه الآية، فقال: يعني في الميثاق، الحديث.[١]

---

١. *تفسير العيّاشي* ٢: ١١٢، الحديث: ١٤٠؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٧٢.

قوله سبحانه: ﴿ ٱلتَّائِبُونَ ٱلعَابِدُونَ ﴾

في *الكافي* عن أبي بصير عن الباقر ـعليه السلام ـ قال: قرأت عنده ـعليه السلام ـ ﴿التائبون العابدون﴾ فقال: لا، إقرأ: «التائبين العابدين، إلى آخرها، فسئل عن العلّة في ذلك فقال: اشترى من المؤمنين التائبين العابدين».(١)

وفي *المجمع* عنهما ـعليهما السلام ـ: إنّهما جرّا على الصفة للمؤمنين.(٢)

وفي *الكافي*: لقى عباد البصري عليّ بن الحسين ـعليه السلام ـ في طريق مكّة، فقال له: يا عليّ بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينته؟! إنّ الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلجَنَّةَ ﴾، فقال له عليّ بن الحسين: أتمّ الآية، فقال: ﴿ ٱلتَّائِبُونَ ٱلعَابِدُونَ ﴾، فقال له عليّ بن الحسين ـعليه السلام ـ: إذ رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم أفضل من الحجّ.(٣)

وفي *الكافي* أيضاً عن الصادق ـعليه السلام ـ: لمّا نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قام رجل إلى النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـ فقال: يا نبيّ الله! أرأيتك الرجل يأخذ سيفه فيقاتل حتّى يقتل إلّا أنّه يقترف من هذه المحارم، أشهيدٌ هو؟ فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله: ﴿ ٱلتَّائِبُونَ ٱلعَابِدُونَ ﴾، ففسّر النبيّ ـصلى الله عليه وآله ـ المجاهدين من المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم بالشهادة والجنّة.

---

١. *الكافي* ٨: ٣٧٧، الحديث: ٥٦٩؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٧١.

٢. مجمع *البيان* ٥: ١١٢.

٣. *الكافي* ٥: ٢٢، الحديث: ١؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٧١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٧٧، الحديث: ١.

فقال: التائبون من الذنوب العابدون الذين لا يعبدون إلّا الله ولا يشركون به شيئاً، الحامدون الذين يحمدون الله على كلّ حال في الشدّة والرخاء، السائحون الصائمون، الراكعون الساجدون، الذين يواظبون على الصلوات الخمس، الحافظون لها، والمحافظون عليها بركوعها وسجودها والخشوع فيها وفي أوقاتها، الآمرون بالمعروف بعد ذلك والعاملون به، والناهون عن المنكر والمنتهون عنه.

قال: فبشّر من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنّة، الحديث.[١]

أقول: وقد فسّر السياحة بالصوم لقوله ـ صلى الله عليه وآله ـ: سياحة أُمّتي الصيام، كذا قيل.[٢]

وفي *تفسير العيّاشي* قال ـ عليه السلام ـ: هم الأئمّة.[٣]

أقول: معناه أنّ حقائق هذه الصفات وكمالها فيهم، كما في رواية القمّي.[٤]

قوله سبحانه: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾

ما مرّ من النهي عن الاستغفار كان متعلّقاً بالمنافقين وهذا راجع إلى المشركين.

وقوله سبحانه: ﴿ **مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾

كالتعليل للنهي وإرشاد إلى ملاكه، إذ الاستغفار طلب لشمول المغفرة، ومن

---

١. *الكافي* ٥: ١٥، الحديث: ١؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٧١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٦٠، الحديث: ٢.

٢. *أنوار التنزيل* ١: ٤٣٤؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٧١؛ *النهاية* لابن الأثير ٢: ٤٣٣؛ تفسير ابن كثير ٢: ٣٥٧.

٣. تفسير *العيّاشي* ٢: ١١٣، الحديث: ١٤٢؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٧٢.

٤. تفسير *القمّي* ١: ٣٠٦.

المحال شمول المغفرة لمن حقّت عليه كلمة العذاب، وقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[1]

وأمّا تبيّن كونهم من أصحاب الجحيم فبموتهم على الشرك أو بوحي من الله سبحانه كقوله: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]

والإتيان بلفظ التبيّن مقابلة لما يتلوه من قوله: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾

قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾

استدراك ودفع دخل لما حكاه الله سبحانه في كلامه من استغفار إبراهيم ـعليه السلام ـ لأبيه، قال سبحانه حكاية عنه وعن أبيه: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِى يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيّاً * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيّاً * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّى عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيّاً ﴾[3]

والآيات كما ترى تشعر بأنّه ـعليه السلام ـ إنّما قال ذلك عند موادعة أبيه فيما ألزمه بالهجرة والبعد عنه رجاء منه في إيمانه، وتطميعاً له في مغفرة الله سبحانه، ثمّ قال سبحانه حكاية عنه ـعليه السلام ـ: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ ٱلأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ * الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ إلى أن قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ﴾ إلى أن قال:

---

١. النساء (٤): ٤٨ و ١١٦.

٢. البقرة (٢): ٦.

٣. مريم (١٩): ٤٦ ـ ٤٨.

﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾[1]

وهذا كلام قاله ـ عليه السلام ـ خطاباً لأبيه وقومه، ولمّا ينفصل عنهم وينقطع رجائه، فالدعاء وإن كان مطلقاً غير مقيّد بشيء على حسب ما جرى على لسانه مطلقاً غير مقيّد، لكنّه لمّا كان مع رجاء منه في أبيه تقيّد قهراً بإيمانه، وإنّما لم يقيّده ـ عليه السلام ـ وفاءً لما جرى على لسانه من الإطلاق على ما هم الكاملين من أهل التوحيد والولاية، وقد تقدّم تمام بيانه في قوله: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ ﴾ الآية من سورة البقرة.[2]

ثمّ قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ ،[3] وهذه براءته من أبيه.

وقال سبحانه أيضاً: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾[4]

فالآيات كما ترى تقضي أنّه ـ عليه السلام ـ وعد أباه الاستغفار تطميعاً له ورجاءً في إيمانه، ثمّ استغفر له ولمّا ينقطع رجاءه منه، حتّى إذا تبيّن أنّه عدوّ لله وانقطع رجاؤه منه تبرّأ منه وذهب إلى ربّه، وهذا هو الذي ينبئ عنه إجمالاً قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾.

---

١. الشعراء (٢٦): ٧٥ ـ ٨٦.
٢. البقرة (٢): ١٥٦.
٣. الزخرف (٤٣): ٢٦ ـ ٢٧.
٤. الصافّات (٣٧): ٩٩ ـ ١٠١.

فقوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ﴾

إشارة إلى انقطاع رجاءه منه، فما لم ينقطع رجاؤه كان يحتمل اهتدائه، فلم يتبيّن عداوته لله، فإذا تبيّن تبرّأ منه وقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾، تعليل لاستغفاره، وإنّه كان دعاءً لله حليماً كثير الاحتمال للأذى في جنب الله، لا يبادر إلى الدعاء على أحد ولا يسرع على الإعراض كما يظهر ذلك في مجادلته الملائكة المبعوثين إلى عذاب قوم لوط، قال سبحانه: ﴿ذَهَبَ عَنْ أَبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾،[١] وكما يظهر من دعائه: ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.[٢]

وفي *تفسير القمّي*: إنّ إبراهيم قال لأبيه: إن لم تعبد الأصنام استغفرت لك، فلمّا لم يدع الأصنام تبرّأ منه.[٣]

أقول: قوله: ﴿ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾،[٤] ينبغي أن يحمل على حكاية الحال كما مرّ بيانه، وما ورد في بعض الروايات أنّ أبا إبراهيم وعده الإسلام فاستغفر له ينبغي أن يحمل أيضاً على حكاية الحال إن قيل ذلك، وإلّا فالآيات تخالفه.

وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: الأوّاه: الدعاء.[٥][٦]

---

١. هود (١١): ٧٤.
٢. إبراهيم (١٤): ٣٦.
٣. تفسير *القمّي* ١: ٣٠٦.
٤. الصافّات (٣٧): ٨٥.
٥. في المصدر: *الكافي*: «الأوّاه هو الدعّاء» وتفسير *العيّاشي*: «الأوّاه دعّاء».
٦. *الكافي* ٢: ٤٦٦، الحديث: ١؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ١١٤، الحديث: ١٤٧؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٧٤.

قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ﴾

هذه هي الهداية الظاهريّة التي ربّما تتحقّق في بعض النفوس كالوميض الأُفقي، ثمّ تزول عن قريب، فإنّ للهداية والضلالة مراتب.

فمنها: ما هو بحسب الظاهر هداية أو ضلالة، ويلزمه أثره بحسب الغالب لا بحسب الدوام والبتّ ويصاحب هذه الهداية الأُمور المقارنة للخير غالباً، كخيرات الأفعال وصالحات الأعمال من عبادات وأخلاق زكيّة، ويصاحب هذه الضلالة ما يقابل ما يصاحب مقابلها كالشرور وطوالح الأعمال ورذائل الأخلاق.

وهاتان الهداية والضلالة ربما تتخلّفان فتتبدّل إحداهما بالأُخرى.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ،[1] وقال: «إنّ هذا القرآن يهدي إلى صراط مستقيم».[2]

ومنها: ما هو بحسب الحقيقة هداية أو ضلالة، ويلزمه أثره لزوماً ضروريّاً بتّيّاً لا ينفكّ عنه البتّة، والذي يصاحب إحداهما من الأعمال واللوازم لا يلزم أن يكون ما هو في الغالب خير أو صلاح، أو ما هو بحسب الغالب شرّ أو فساد، فربّما صادفنا رجلاً متّقياً صالحاً جيّد العبادة ونقيّ الزهادة، آل آخر أمره إلى الشقاء، وربّما وجد شقيّاً فاسقاً فاسداً لا يلوي في شرّه على شيء انقلب أمره إلى الحسنى.

فالرجل الأوّل سالك من أوّله مسلك الشقاء، وإن كنّا بحسب ما يلوح لنا نحكم بكونه طريقاً من طرق السعادة، وكذا الرجل الثاني سعيد سالك مسلك السعادة وإن كان بحسب ما نشاهده ونحكم عليه مسلك الشقاء.

---

١. الشورى (٤٢): ٥٢.

٢. اشارة إلى الآية: ﴿ إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ، الاسراء (١٧): ٩.

قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾،[١] وقال سبحانه: ﴿ فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ ﴾،[٢] وهذه المرتبة هي التي يترتّب ظهور حكمها في عـاقبة الأمـر قال ـ صلى الله عليه وآله ـ: إنّما الأُمور بخواتيمها.[٣]

ثمّ إنّ الآية كالتوطئة للآية التالية أعني قوله: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ ﴾، فإنّها في مقام الامتنان، بعدما كان من الجائز الممكن أن يضلّ أُولئك الأشخاص بسوء أعمالهم ويزيغ قلوبهم فتاب الله عليهم.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

تعليل لكونه هو يهدي ويضلّ، فهو المالك المحييّ المميت، يتصرّف في مـلكه كيف يشاء ويحيي بالهداية من يشاء ويميت بالإضلال من يشاء.

قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾

في *الكافي* و*التوحيد* و*تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: حتّى يعرّفهم ما يرضيه وما يسخطه.[٤]

قوله: ﴿ الَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾

في *الجوامع*: والعسرة حالهم في غزوة تبوك كان يتعقّب العشرة على بعير واحد،

---

١. آل عمران (٣): ٧٣.

٢. النحل (١٦): ٣٧.

٣. *بحار الأنوار* ٩: ٣٣٠.

٤. *الكافي* ١: ١٦٣، الحديث: ٣ و ٥؛ *التوحيد*: ١١٤، الحديث: ٤؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ١١٥، الحديث: ١١٥.

وكان زادهم الشعير المسوّس والتمر المدوّد والإهالة السنخة،[1] وبلغت الشدّة بهم أن اقتسم الثمرة اثنان، وربما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء وكانوا في حمّارة القيظ وفي الضيقة الشديدة من القحط وقلّة الماء.[2]

قوله: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: هم كعب بن مالك،[3] ومرارة بن الربيع، وهلال بن أُميّة.[4]

وفي *المجمع* عن السجّاد والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ: أنّهم قرأوا: «وخالفوا».[5]

وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: لو كان خلّفوا لكانوا في حال طاعة.[6]

قوله سبحانه: ﴿ وَظَنُّوا أنْ لَا مَلْجَأ ﴾

قيل: الظنّ هيهنا بمعنى اليقين وله نظائر في كلامهم، وقد سبق في قوله: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ من سورة البقرة،[7] فيه وجه فارجع.

---

١. المسوس: الطعام الذي أكله السوس، وكذا المدوّد ما أكله السوس، وهو دود يأكل الصوف الطعام، والإهالة والودك: اسم اللحم، والسنخة: السمن الفاسد، وحمّارة القيظ، بفتح الحاء وتشديد الميم: شدّة الحرّ [منه ـ رحمه الله ـ].

٢. *جوامع الجامع* ٢: ٩٠؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٧٧.

٣. في المصدر: ـ «بن مالك»

٤. تفسير *العيّاشي* ٢: ١١٥، الحديث: ١٥١.

٥. مجمع *البيان* ٥: ١١٨؛ *جوامع الجامع* ٢: ٩١.

٦. *الكافي* ٨: ٣٧٧، الحديث: ٥٦٨؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ١٥٢، الحديث: ١٥٢.

٧. البقرة (٢): ٤٦.

قوله: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾

قد مرّ معنى التوبة في سورة البقرة وأنّها من الله سبحانه قبول ومن العبد رجوع، فتكرّر التوبة في الآية لكون الأُولى توبة عامّة لهم ولغيرهم، والثانية خاصّة بهم.

وفي *تفسير القمّي* في قصّة تبوك: وقد كان تخلّف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قوم من المنافقين وقوم من المؤمنين مستبصرين، لم يعثر عليهم في نفاق، منهم كعب بن مالك الشاعر، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أُميّة الواقفي، فلمّا تاب الله عليهم، قال كعب: ما كنت قطّ أقوى منّي في ذلك الوقت الذي خرج رسول الله إلى تبوك، وما اجتمعت لي راحلتان إلّا في ذلك اليوم، فكنت أقول: أخرج غداً وأخرج بعد غدٍ فإنّي مقوّى، وتوانيت وبقيت بعد خروج النبيّ أيّاماً أدخل السوق ولا أقضي حاجة.

فلقيت هلال بن أُميّة ومرارة بن الربيع وقد كانا تخلّفا أيضاً، فتوافقنا أن نبكّر إلى السوق ولم نقضِ حاجة، فما زلنا نقول: نخرج غداً وبعد غد حتّى بلغنا إقبال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فندمنا.

فلمّا وافى رسول الله استقبلنا نهنّئه بالسلامة، فسلّمنا عليه، فلم يردّ علينا السلام، فأعرض عنّا وسلّمنا على إخواننا فلم يردّد علينا السلام، فبلغ ذلك أهلينا فقطعوا كلامنا، وكنّا نحضر المسجد، فلا يسلّم علينا أحد ولا يكلّمنا.

فجاءت نساءنا إلى رسول الله فقلن: قد بلغنا سخطك على أزواجنا أفنعتزلهم، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: لا تعتزلنّهم ولكن لا يقربوكنّ.

فلمّا رأى كعب بن مالك وصاحباه ما قد حلّ بهم، قال: ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلّمنا رسول الله ولا إخواننا ولا أهلونا فهلمّوا نخرج إلى هذا الجبل فلا نزال

فيه حتّى يتوب الله علينا أو نموتَ.

فخرجوا إلى ذباب[1] جبل بالمدينة، فكانوا يصومون، وكان أهلوهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية، ثمّ يولّون عنهم فلا يكلّمونهم، فبقوا على هذه الحالة أيّاماً كثيرة، يبكون بالليل والنهار ويدعون الله أن يغفر لهم، فلمّا طال عليهم الأمر، قال لهم كعب: يا قوم، قد سخط الله علينا، ورسوله قد سخط علينا، وإخواننا سخطوا علينا، وأهلونا سخطوا علينا فلا يكلّمنا أحد، فلم لا يسخط بعضنا على بعض، فتفرّقوا في الليل وحلفوا أن لا يكلّم أحد منهم صاحبه حتّى يموت أو يتوب الله عليه.

فبقوا على هذه ثلاثة أيّام كلّ منهم في ناحية من الجبل لا يرى أحد منهم صاحبه ولا يكلّمه، فلمّا كان في الليلة الثالثة، ورسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في بيت أُمّ سلمة نزلت توبتهم على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ.[2]

أقول: فقوله: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ يعني مالكاً ومرارة وهلالاً.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾

أي المدينة بسبب سخط رسول الله وإخوانهم وأهليهم عليهم.

﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾

حيث طال وقوفهم بالجبل، فحلفوا أن لا يكلّم بعضهم بعضاً.

---

١. في المصدر: «ذناب»، وهو اسم وادٍ لبني مرّة، والصحيح هنا: «ذباب»، قال ياقوت: «ذِباب»، بكسر أوله وباءين: جبل بالمدينة له ذكر في *المغازي*، راجع: معجم *البلدان* ٣: ٣، *المغازي* ٣: ٩٩٥، في قصة المتخلّفين المعذّرين.

٢. تفسير *القمّي* ١: ٢٩٦؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٧٩؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٤٧١؛ *الكشف والبيان* ٥: ١٠٥ - ١٠٨؛ *السيرة النبوية* ٥: ٢١٣ - ٢٢٠؛ تفسير *ابن كثير* ٢: ٣٦٠ - ٣٦٣؛ مجمع *البيان* ٥: ١٢١.

﴿ وَظَنُّوا أنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ ٱللهِ إلَّا إلَيْهِ ﴾
لانقطاعهم من غيره سبحانه ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ بإنزال الآية بقبول توبتهم ﴿ لِيَتُوبُوا ﴾ ويرجعوا إلى ربّهم.

وعلى هذا يمكن أن يكون التوبة الأُولى منه تعالى ما أوجبت خروجهم إلى الجبل وانقطاعهم إلى الله تعالى، والتوبة الثانية ما أوجبت رجوعهم الأخير إلى الله بعد التضرّع والابتهال في أيّام كثيرة، فتدبّر.

قوله سبحانه: ﴿ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾
الصدق: مطابقة الخبر للخارج المخبر عنه، ثمّ توسّع فعدّ كلّ ما يحكي عن معنى صادقاً إذا كان مطابقاً لما يحكي عنه، وهذا هو الصدق الخبري في مقابل الكذب الخبري وهو مطابقة الخبر لما في الخارج من غير دخل لاعتقاد المخبر في ذلك.

ثمّ أخذ الصدق الذي هو وصف الخبر وصفاً للمخبر لكون الخبر قائماً، ثمّ أخذ اعتقاد المخبر فيه فكان صدق الإنسان أن يكون إخباره مطابقة لاعتقاده، وكذبه كون إخباره غير مطابقة لاعتقاده، فأوجب التوسّع في القول والفعل أن يكون الصدق أن يقول الإنسان ما يعتقده، وأن يفعل ما يعتقده ولا يفعل ولا يقول ما لا يعتقده.

فأنتج ذلك كلّه الملازمة بين القول والفعل وجوداً وعدماً.

والمراد بالقول الاعتقاد، فما يقول به يفعله، وما يفعله يقول به، وما لا يفعله لا يقول به، وما لا يقول به لا يفعله، فهذا ملاك الصدق.

فلو كان بالنسبة إلى بعض الأُمور كان الصدق بالنسبة إلى ذلك البعض،

لو فرض على الإطلاق كان الصدق مطلقاً، فالأمر بالكون مع الصادقين أمر بملازمة صفة الصدق في جميع الموارد.

وفي *تفسير القمّي* مضمراً، وفي *الكافي* عن الرضا قال ـ عليه السلام ـ: هم الأئمّة.[١]

أقول: والروايات في هذا المعنى مستفيضة،[٢] والتدبّر في الآية يؤيّد ذلك، فإنّ الصادقين مأخوذ مطلقاً من غير تقييد، فلا يكون المراد كلّ من يصدق عليه أنّه صادق بوجه، ولو كان كاذباً بوجه آخر.

فإن قلت: ما المانع من كون المراد بالصادقين المهاجرون والأنصار، كما فسّر، أو السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار؟

قلت: عامّتهم أو معظمهم لا يتّصف بالصدق المطلق، وفيهم من ابتلي بالفرار من الزحف والنفاق واُمور اُخر تنافي الصدق المطلق.

فإن قلت: لفظ الصادقين جمع محلّى باللام، فيفيد العموم فينتج وجوب الكون مع كلّ من يصدق عليه الصادق سواء كان مطلقاً أو بوجه.

قلت: إطلاق الصادق وعدم تقييده بوجه دون وجه يأبى عن عموم اللفظ لكلّ صادق كيف كان.

---

١. تفسير *القمّي* ١: ٣٠٧؛ *الكافي* ١: ٣٠٨، الحديث: ٢؛ تفسير *الصافي* ٣: ٤٨١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٧٥.

٢. روى الثعلبي في تفسيره بأسناده عن ابن عباس في تفسير قوله: ﴿ **وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ** ﴾ قال: مع علي بن أبي طالب وأصحابه [*الكشف والبيان* ٥: ١٠٩] وانظر ايضاً: *نظم درر السمطين*: ٩١؛ *شواهد التنزيل* ١: ٣٤٢؛ *فرائد السمطين* ١: ٣٧٠؛ روى الحسكاني بأسناده عن ابن عباس أنّ الآية نزلت في علي بن أبي طالب خاصّة، راجع: *شواهد التنزيل* ١: ٣٤٢، الحديث: ٣٥١.

فإن قلت: قوله سبحانه في سورة الحشر ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾،[١] يعرّف الصادقين ويعيّن أنّهم المهاجرون، على أنّ الجملة مشتملة على الحصر.

قلت: المهاجرون أنفسهم ظهر منهم أُمورٌ لا يساعد على كونهم الصادقين بنحو الاتّصاف مطلقاً، فقوله سبحانه: ﴿ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾، أي الصادقين في هجرتهم ونصرتهم لا مطلقاً، ومنه يظهر أنّ قوله: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾ للتأكيد لا للحصر.

وبالجملة: إطلاق الصادقين يوجب أن يكون هؤلاء رجالاً ليس معهم إلّا الصدق، مع أنّ قوله: ﴿ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾،[٢] حيث لم يقل وأصدقوا مع الصادقين، وما يشبه ذلك يدلّ على وجوب تبعيّة الصادقين ومصاحبتهم في جميع ما عندهم من القول والفعل، كما يشهد به قوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللهَ عَلَيْهِ ﴾،[٣] وليس هذا شأن غير أهل البيت الذين شهد عليهم الكتاب والسنّة بالعصمة والطهارة والله الهادي.[٤]

وفي *المجمع* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: أنّه قرأ من الصادقين.[٥]

---

١. الحشر (٥٩): ٨.
٢. التوبة (٩): ١١٩.
٣. الأحزاب (٣٣): ٢٣.
٤. روي الثعلبي في تفسير الآية عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ أنّه قال: «مع آل محمد» ـ عليهم السلام ـ [*الكشف والبيان* ٥: ١٠٩].
٥. مجمع *البيان* ٥: ١٢٢.

قوله: ﴿ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾

الظمأ: العطش، والنصب: التعب، والمخمصة: المجاعة، والوادي المسيل شاع استعماله في الأرض.

قوله سبحانه: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾

إيجاب للتفقّه في الدين، ومنه يظهر أنّ وجوبه كفائي، وأنّ غاية التفقّه يجب أن يكون إنذار الناس وتبليغ الدين، وأنّ الفقه مطلق المعارف الدينيّة أُصولاً وفروعاً.

وفي *العلل* عن عبد المؤمن الأنصاري قال: قلت لأبي عبد الله ـ عليه السلام ـ: إنّ قوماً رووا أنّ رسول الله قال: اختلاف أُمّتي رحمة، فقال: صدقوا، فقلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ قال: ليس حيث تذهب وذهبوا، إنّما أراد قول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾، فأمرهم الله أن ينفروا إلى رسول الله ويختلفوا إليه فيتعلّموا ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم، إنّما أراد اختلافهم من البلدان لا الاختلاف في الدين، إنّما الدين واحد.[١]

في *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ وقد سئل إذا حدث على الإمام حدث كيف يصنع الناس؟ فقال: أين قول الله عزّ وجلّ ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾، قال: هم في عذر ما داموا في الطلب، وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر حتّى يرجع إليهم أصحابهم.[٢]

---

١. *علل الشرائع* ١: ٨٥، الحديث: ٤؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٨٣؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٨٣، الحديث: ٦.

٢. *الكافي* ١: ٣٧٨، الحديث: ١؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٨٣؛ *البرهان في تفسيرالقرآن* ٤: ٥٧٩.

أقول: والأخبار في هذا المعنى كثيرة جدّاً.

وفي *المجمع* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: كان هذا حين كثر الناس، فأمرهم الله سبحانه أن ينفر منهم طائفة ويقيم طائفة للتفقّه، وأن يكون الغزو نوباً.(١)

قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾

في *التهذيب* و*تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: الديلم.(٢)

وفي *تفسير القمّي* قال: قال: يجب على كلّ قوم أن يقاتلوا من يليهم ممّن يقرب من بلادهم من الكفّار، ولا يجوزوا ذلك الموضع.(٣)

*

---

١. *مجمع البيان* ٥: ١٢٦.
٢. *تهذيب الأحكام* ٦: ١٧٤، الحديث: ٢٣؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٣.
٣. *تفسير القمّي* ١: ٣٠٧؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٨٤.

[وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٧) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)]

قوله سبحانه: ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾

في *الكافي* عن أبي عمرو الزبيري عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث طويل قال ـ عليه السلام ـ: فمن لقي الله حافظاً لجوارحه، موفياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض الله عزّ وجلّ عليها، لقي الله مستكملاً لإيمانه وهو من أهل

الجنّة، ومن خان في شيء منها أو تعدّى ما أمر الله عزّ وجلّ فيها، لقي الله ناقص الإيمان، قال: قلت: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه فمن أين جاءت زيادته؟

فقال: قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾، وقال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً ﴾،[١] ولو كان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر ولاستوت فيه النعم ولاستوى الناس وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزيادة في الأعمال[٢] تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرّطون النار.[٣]

أقول: وقد مرّ بعض الكلام في درجات الإيمان في ما مرّ.

قوله سبحانه: ﴿ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾

في *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ يقول: شكّاً إلى شكّهم.[٤]

قوله سبحانه: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾

أي يشقّ عليه عنتكم ولقائكم المكروه أو جحودكم وإنكاركم.

وفي *تفسير العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: ﴿ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ ﴾

---

١. الكهف (١٨): ١٣.

٢. في المصدر: «في الإيمان»

٣. *الكافي* ٢: ٣٦، الحديث: ١؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٨٦؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٥٩٠.

٤. *تفسير العيّاشي* ١: ٦٣، الحديث: ١١٥.

قال: فينا، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ قال: فينا، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، قال: فينا، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قال: شركنا المؤمنون في هذه الرابعة وثلاثة لنا.[1]

أقول: ورواه غيره أيضاً، وهو أخذٌ بالأكمل.

قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾

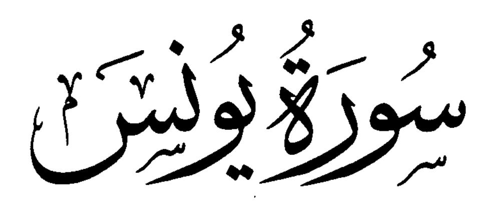
أمره سبحانه لرسوله أن يكتفي به لو تولّوا ولم يطيعوه من ألطف اللطف والرحمة، ولذا قال بعضهم: إنّ الآية أرجأ آية في كتاب الله.

تمّ والله المعين يوم السبت الخامس عشر من شهر رمضان ١٣٦٩ الهجري القمري

---

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٥.




سُورَةُ يُونُسَ



[بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَافِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢) إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِكُمُ ٱللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ ٱللهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ بِٱلْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللهُ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِى ٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللهُ فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولٰئِكَ مَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم

بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لله رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾]

قوله تعالى: ﴿الَر﴾

غرض السورة على ما يظهر ـ بالتدبّر فيما استطلع به السورة وفي رجوع البيان مرّة بعد مرّة إلى اثبات المعاد، وإلى القضاء والحكم الفصل بين الأنبياء وأعدائهم إلى غير ذلك، هو وعد النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والمؤمنين بالقضاء الفصل بينهم وبين أعدائهم بنجاة المؤمنين وإهلاك المشركين في الدنيا وفي الآخرة، وما سوى ذلك من مداليل الآيات مقصودة بالتبع لا على سبيل الاستقلال.

قوله تعالى: ﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾

في توصيف الكتاب بالحكيم إشعار بأنّ مقاصد بيانات السورة غير قابلة للتغيير ولا مظنّة للبداء والمحو وهو كذلك، فإنّ المعاد والفصل بين الحقّ والباطل ممّا لا يقبل التبديل والتغيير، والآيات في ذلك كثيرة.

قوله تعالى: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

كأنّه كناية عن المكانة عند الله سبحانه، فإنّه لمّا كان استقرار الإنسان وثباته في مكان يطلبه إنّما يكون بأن يطأه ويثبّت قدمه عليه وضع القدم موضع مكان القدم بهذه العناية، فقيل: إنّ لفلان قدماً في محلّ ـ كذا ـ ثمّ نزّل المعاني منزلة

الأجسام، فقيل: «إنّ لفلان قدماً عند فلان» أي سابقة وفضلاً ومكانةً يصلح بها شأنه ويتمّ بها أمره وينجح بها طلبته، وإضافة القدم إلى الصدق لكون أمر المكانة عند الله ـ سبحانه ـ دائراً مدار الصدق فحسب، قال تعالى: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[1].

وفي *الكافي* و*تفسيري العيّاشي* و*القمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: هو رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ.[2]

وفي *المجمع*، عنه ـ عليه السلام ـ: إنّ معنى قدم صدق شفاعة محمّد وآله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ[3].

وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي* عنه ـ عليه السلام ـ: ولاية أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ.[4]

أقول: لا اختلاف بين الروايات لما عرفت أنّ الكلمة كناية عن سابقة يستصلح بها شأنهم، وساحة القرب منه تعالى ساحة الحقائق والواقعيّات، وهؤلاء المؤمنون بصدق إيمانهم هيّأوا لنفوسهم ارتباطاً واقعيّاً، ونسبة حقيقيّة مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وهو عند ربّه، وهذه الرابطة هي شفاعته واصلاحه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لشأنهم عند الله ـ سبحانه ـ، وهذه الرابطة بعينها إذا نسبت إلى الله ـ سبحانه ـ صارت هي الاتصال الباطني به

---

١. المائدة (٥): ١١٩.

٢. *الكافي* ٨: ٣٦٤، الحديث: ٥٥٤؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ١٢٠، الحديث: ٥؛ *تفسير القمّي* ١: ٣٠٨.

٣. مجمع *البيان* ٥: ١٥٣.

٤. *الكافي* ١: ٤٢٢، الحديث: ٥٠؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ١١٩، الحديث: ٣ و ٤، و فيه: «أميرالمؤمنين (ع)».

سبحانه على ما مرّ من معنى الولاية في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ﴾[١].

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾

قد مرّ الكلام في آية السخرة من سورة الأعراف[٢].

قوله سبحانه: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾

وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[٣] ويستفاد منهما جميعاً أنّ إذنه تعالى قبل الشفاعة ومعها، فالإذن بمنزلة المادّة من الشفاعة متّحد معها، وقد عرفت في الكلام على آية الكرسي من سورة البقرة[٤]، وآية العرش من سورة الأعراف[٥] أنّ هذه الشفاعة، شفاعة في التكوينيات، وهي اقتضاء المقتضيات وسببيّة الأسباب لمسبّباتها، فإذنه تعالى في شفاعة شافع وسببيّته سبب يرجع إلى رابطة السببيّة والمسببيّة، وهي أيضاً بوجه نفس التدبير الإلهي العامّ، وإن كان الإذن مقابلاً للتدبير وناقضاً للقضاء بوجه آخر، فالتدبير للّه والشفاعة أيضاً له، قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ﴾[٦]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ﴾[٧].

---

١. المائدة (٥): ٥٥.
٢. الأعراف (٧): ٥٤.
٣. البقرة (٢): ٢٥٥.
٤. البقرة (٢): ٢٥٥.
٥. الأعراف (٧): ٥٤.
٦. القصص (٢٨): ٧٠.
٧. الزمر (٣٩): ٤٤.

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللهِ حَقّاً﴾

لمّا بيّن تعالى أنّه هو الربّ دون ما يعبدونه من دونه كان لازم ذلك أنّه مرجعهم جميعاً، لأنّه الربّ ولا مرجع للمربوب إلّا ربّه، إلّا أنّ الكفّار لا يفهمون من هذه الكلمة إلّا المرجع في أُمور الدنيا لعدم إذعانهم بدار غير دار الدنيا والغرض غيره، ولذا أكّد البيان ثانياً بقوله تعالى: ﴿وَعْدَ اللهِ حَقّاً﴾ وهو الوعد الثابت، وأكّد هذا الوعد الثابت بقوله: ﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ إلى آخر الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ﴾

في الآيات استدلال على ثبوت المعاد، وهو استدلال واحد.

بيان ذلك: أنّ الإنسان بحكم الغريزة والفطرة يحكم بأنّ كلّ سبب يفيض على مسبّبه أمراً فذلك الأمر ينتهي إلى السبب لا يتجاوزه ولا يتعدّاه، هذه النار تعطي لما يتّصل بها حرارة تبتديء منها وتنتهي إليه، وإذا رجعنا وسرنا قهقرى إنتهى بنا السير إلى النار لا نتعدّاها، فالنار على هذا هي المبدأ للحرارة وهي المُبتدئة منها، ثمّ إذا نظرنا إلى الحرارة وقد انصبّت من النار إلى المحلّ وانفصلت منها وملكها المحلّ إنقطعت النار واستقلّ المحلّ في حرارته، لكنّ السبب لو لم ينقطع عن مسبّبه، وآية ذلك أن لا يستقل المسبّب عن سببه ولا يملكه، قضينا ثانياً بحكم الغريزة على أنّ السبب لم ينقطع عن مسبّبه ولم يرفع اليد عن أثره، فالأثر الموجود هو أثره وإعطائه، وفقدان المحلّ للأمر أخذ من السبب للأثر وهو المالك لأثره في الحالين جميعاً معطياً وآخذاً، واعتبر ذلك من مثال السفينة المتحركة والمحرّكة لجالسها، فحركة الجالس وسكونه للسفينة، منها تبتديء وإليها تنتهي، هذا هو الذي يحكم به الإنسان بفطرته.

فإذا وجدنا أنّ الموجودات تبتديء من الله ـ سبحانه ـ، ووجدناها لا تملك لأنفسها حدوثاً ولا بقاء ولا حياةً ولا فناء، وبالجملة: أنّ الأشياء لا تستقلّ فيما لها من الوجود، فلنحكم بالفطرة بأنّ وجود الأشياء لله ومن الله، وعدمها لله وإلى الله، أي أنّ وجودها إعطاء منه تعالى، وعدمها أخذ منه تعالى لما أعطاه، والوجود في الحالين جميعاً بيده وتحت حيطة قدرته، على أنّ كلّ ما نجده من الموجودات في عالمنا المشهود نجده أنّه يبتديء في الوجود بعد عدم، ثمّ يسير في مراحل وجوده من الضعف إلى القوّة، ولا يزال على ذلك حتّى ينتهي إلى أوج قوّته وشدّته على ما رزقه الصنع والإيجاد، ثمّ يأخذ في الضعف والانحطاط حتّى ينتهي به الأمر إلى ما بدأ منه، فالعود عين البدء.

فلنحكم بأنّ العود إنّما هو إلى ما كان منه البدء وهو الله ـ سبحانه ـ، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِىءُ وَيُعِيدُ﴾[1] إلى آخر الآية.

وهو حجّة برهانيّة وقعت في عدّة مواضع من كتاب الله تعالى، وأمّا ما ذكره بعضهم أنّ المشركين لا يقولون بالمعاد، فذكر الإعادة من جهة استلزام قولهم ذلك، فوجه بعيد عن الآية بمراحل.

وأمّا قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

فهو يفيد أنّ الغاية في هذه الإعادة جزاء المحسنين، وذلك أنّ العدل يقتضي أن لا يبطل الأعمال الصالحة التي يأتي بها الصالحون من العباد، وهذه المجازات لم تقع في الدنيا فهي لا محالة في نشأة أُخرى، يجد الصالحون فيها جزاء

---

١. البروج (٨٥): ١٣.

أعمالهم الصالحة، ويمتازوا بها عن الطالحين، ولهذا عقّب[1] تعالى هذه الجملة بقوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾
غيّر سبحانه سياق الكلام ولم يقل: «ويجزي الذين كفروا»، لأنّ الاستدلال إنّما هو بما يقتضيه العدل، والعدل إنّما يقتضي مجازات المحسن بإحسانه، وأمّا مجازات المسيء بإسائته فلا يوجبها ولا يقتضيها ولا عدمها.

فإن قلت: الانتقام من المسيء للمحسن ممّا يقتضيه العدل فعذاب الكافر ممّا لا يتمّ العدل بدونه.

قلت: هذا من شعب جزاء المحسن بإحسانه، وقد ذكره تعالى لا جزاء للمسيء بإسائته.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
وهذه الآية تشتمل على بيان ثانٍ لكون المعاد بالحقّ، وذلك أنّ هذه الموجودات على عظمتها وكثرتها لا تخلو عن غاية صحيحة، فليحكم بأنّ الإعادة الكلّيّة إلى يوم المعاد ليست باطلة غير ذات غاية، بل هي بالحقّ وعلى غاية صحيحة، فحاصل الحجّة على ما ظهر أنّ ايجاده تعالى للخلق استقرّ على إعطاء الوجود منه وأخذه إليه وهو المعاد، ولا يكون إلّا لغاية، لأنّ العدل يحكم بالجزاء وهو غاية، ولأنّ الخلقة والإيجاد بالحقّ لا على سبيل العبث والباطل.

وقد جعل تعالى هذين المعنيين ـ أعني مضمون قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ إلى آخر

---

١. في نسخة «تمّم» [منه ـ رحمه الله].

الآية، ومضمون قوله: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ﴾ إلى آخر الآية، حجّتين مستقلتين في سورة ص، قال تعالى: ﴿وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا بٰاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّٰارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّٰارِ﴾(١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾

الآيات الثلاث في مقام التعليل لقوله: ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ﴾ إلى آخر الآية. والمراد باللقاء يوم الرجوع إلى الله تعالى. اختار التعبير باللقاء جرياً على ما جرى به قوله تعالى في أوّل السورة حيث قال: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فإنّه الحضور والحضور يشعر باللقاء.

وقوله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

يشير إلى ركونهم بالحياة الدنيا بعد يأسهم من الآخرة، فإنّ كلّ إنسان بل كلّ موجود بما أودع الله تعالى فيه من الغريزة والفطرة متعلّق القلب بالوجود لايتعداه إلى غيره، إلّا أنّ الله ـ سبحانه ـ أخبر رسوله في كتابه: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾(٢)، وأنّها ﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٣)، وأنّها وهم يتوهّمه الإنسان كسراب ظاهر للظمآن، وأنّ الدار الآخرة هي الحياة حقيقة، فلو يأس الإنسان من الآخرة وانقطع عمّا عند الله ـ سبحانه ـ تعلّق قلبه لا محالة إلى الحياة الدنيا

---

١. ص (٣٨): ٢٧ ـ ٢٨.

٢. الحديد (٥٧): ٢٠.

٣. الحديد (٥٧): ٢٠.

واستند إلى غير سناد، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ وإنّما خلق الله الدنيا وما فيها آيات دالّة على وحدانيّته ليعتبر بها المعتبرون ويسلك بها السالكون، لا ليقف عندها نفوسهم ويركد دونها حواسّهم.

فالآيس عمّا عند الله ـ سبحانه ـ لا ينظر إلى هذه الآيات من حيث إنّها آيات، بل من حيث إنّها مستقلّات، فهو غافل عن آيات الله ـ سبحانه ـ كالمعترف بالشيء من حيث إنّه ينكره؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾، فهذه الجملة كالمفسّرة لقوله: ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، فهؤلاء بحسب التمثيل كمن يوقد على نفسه وماله ناراً تعدمه وتفنيه، وبحسب الحقيقة يكتسب سيّئات تدخله نار جهنم خالداً فيها.

وفي بعض الروايات: أنّ الآيات هي الأئمّة [ـ عليهم السلام ـ][1].

أقول: وهو من قبيل عدّ المصداق كما مرّ أنّ الآية هي علامة الشيء الدالة عليه فلها مراتب مختلفة، ولكلّ شيء بحسب وجوده دلالة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وصف الكفّار بأنّ نفوسهم واقفة على الدنيا لا يتعدّونها مع كونها آية، فالصالحون من المؤمنين بالوصف المقابل هم الذين تعلّقت قلوبهم بما عند الله ـ سبحانه ـ وهو الإيمان، فبإيمانهم خرقت هذه الأسباب ونفذت في داخل الآيات وهديهم

---

١. *الكافي* ١: ٢٠٧، الحديث: ١؛ ١: ٤٣٥، الحديث: ٩٢؛ *بصائر الدرجات*: ٢٠٧، الحديث: ١٧؛ *تفسير القمي* ١: ١٤٠؛ *كمال الدين* ١: ١٨؛ ١: ٣٠؛ ٢: ٣٣٦.

إلى ما عند الله ـ تعالى ـ وهي[١] الجنّة، وهؤلاء بحسب التمثيل كمن يسير ومعه في مسيره وتحت أقدامه أنهار تروي غليله[٢]، وترفع عطشه وتسكن حرّ كبده في جنّات النعيم، وبحسب الحقيقة ستحلّون دار كرامة الله تعالى وجنّات نعمته، وسيجدون ما كانوا يطلبونه بحسب الفطرة الإلهيّة ممّا يرضون به ويطمئنّون به.

قوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾

إنّما خصّ بالذكر من بين جميع صفاتهم وأحوالهم ونعمهم في الجنّة هذه الخصال الثلاث: ﴿دَعْوَاهُمْ﴾، ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾، ﴿آخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾، فبيّن أنّها التسبيح والسلام والحمد؛ لأنّها المناسب لما بيّن من شأنهم في هذه الحياة الدنيا، فإنّهم بانقلاعهم عن الحياة الدنيا وعدم ركونهم وطمأنينتهم عليها تنزّهوا عنها ونزّهوا ربّهم، وكان كلّ شيء من هذه الآيات سلاماً عليهم غير ضارّ بهم، وآخر تنزّههم وترفّعهم أدّى بهم إلى نعم خالصة غير مختلطة ولا مشوبة بنقمة، ليس فيها إلّا ما يثني به على الله ـ تعالى ـ ويحمد له، فدعواهم في جنّات النعيم تسبيح ربّهم وتحيّتهم فيها سلام، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقد روي عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أنّه قال: كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون[٣].

وفي *الكافي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ، عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث: وإنّ المؤمن ليكون له من الجنان ما أحبّ واشتهى، فيتنعمّ[٤] فيهنّ

---

١. في الأصل: «وهو»

٢. في الأصل: «غلوله»

٣. *عوالي اللئالي* ٤: ٧٢، الحديث: ٤٦.

٤. في المصدر: «يتنعمّ»

كيف شاء[١] وإذا أراد المؤمن شيئاً[٢] يقول: سبحانك اللّهُمّ، فإذا قالها تبادرت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم و أمر به، وذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهم وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ يعني الخدّام ـ قال: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣] عند ما يقضون من لذّاتهم من الجماع والطعام والشراب، يحمدون الله عزّ وجلّ عند فراغهم[٤][٥].

وفي *الاختصاص* للمفيد بإسناده عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ عليهم‌السلام ـ، عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث طويل مع يهوديّ سأله عن مسائل قال النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: إذا قال العبد سبحان الله سبّح كلّ شيء معه ما دون العرش فيعطي قائلها عشر أمثالها؛ وإذا قال: الحمد لله، أنعم الله عليه بنعيم الدنيا حتّى يلقاه بنعيم الآخرة، وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنّة إذا دخلوها، والكلام ينقطع في الدنيا[٦] وذلك قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[٧][٨].

أقول: وروي هذا الحديث باختلاف يسير في *الاختصاص* والصدوق في *المعاني* عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ[٩]، والروايات كما

---

١. في المصدر: «يشاء»

٢. في المصدر: + «أو اشتهى إنّما دعواه فيما إذا أراد أن»

٣. في المصدر: + «يعني بذلک»

٤. في المصدر: «فراغتهم»

٥. *الكافي* ٨ : ٩٥، الحديث: ٦٩.

٦. في المصدر: + «ما خلا الحمد»

٧. الأحزاب (٣٣): ٤٤.

٨. *الاختصاص*: ٣٤.

٩. لم نعثر عليه في *معاني الأخبار* لكن ذكره في *الأمالي* الصدوق: ١٨٧، المجلس الخامس ←

ترى تحكم بالمحاذات بين خصالهم في الدنيا وخصالهم في الجنّة. والأحاديث مع ذلك تشتمل على معانٍ عالية أرجو أن يمرّ بك بيان بعضها فيما يستقبلك إن شاء الله تعالى.

وفي *تفسير العيّاشي*، عن الصادق ـ عليه السلام ـ سئل عن التسبيح، فقال: اسم من أسماء الله تعالى ودعوى أهل الجنّة[1].

*

← والثلاثون، الحديث: ١؛ *علل الشرائع* ١: ٢٥٠ ـ ٢٥١، الحديث: ٨.

١. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٢٠، الحديث: ٩.

[وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾]

قوله تعالى: ﴿وَ لَوْ يُعَجِّلُ الله لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾

شروع في الإنذار على ما لوّح فيه في صدر السورة، وتعميم له لعذاب الآخرة والدنيا جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ﴾

أي لا نعجّل لهم بالشرّ، بل نمهلهم حتّى يتيهوا منتهى تيههم، ويأتوا بآخر ما عندهم من الفساد.

فإن قلت: هذا ينافي ما يدلّ من الآيات على أنّ الله سريع الحساب.

قلت: لا منافاة فإنّ الشرّ الذي يحسبه الناس شرّاً وهو هلاك الدنيا أو نار الآخرة، آخر ما ينتهي بهم إليه سلوكهم هذا الطريق المهلك من الشرّ، وكلّ منازل الطريق شرّ وهلاك، فإنّما يتقلبون من هلاك إلى هلاك، وينقلبون من بوارٍ إلى بوار، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَ إِنْ يُهْلِكُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ﴾[2].

*

١. الأعراف (٧): ١٨٢ - ١٨٣.
٢. الأنعام (٦): ٢٦.

[وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ٱئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَايَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ ٱللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ ٱللهِ قُلْ إِتُنَبِّؤُنَ ٱللهَ بِمَا لَا يَعلَمُ فِي ٱلسَّماوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ للهِ فَٱنتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ (٢٠) وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ ٱللهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١) هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ

عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا ٱللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَتَاعَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّماءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ ٱلأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلأَيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلامِ وَيَهْدِى يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾]

قوله تعالى: ﴿لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾

يفيد أنّ تلاوته بمشيئة الله محضاً لا يشوبه مشيئة النبيّ، فلو شاء ما تلوته عليكم ولا أعلمكم به، والشاهد عليه قوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ﴾.

وحاصل الكلام: إنّ معاشرتي معكم وتقلّبي في أطوار الحياة فيكم سنين من عمري يدلّكم على أنّ هذا الذي أتلوه عليكم من كتاب الله تعالى على ما هو عليه من عجيب الأمر لا ينتهي إلى نفسي واختياري وتدبيري، بل إنّ هذا الأمر إلى الله محضاً، فلو شاء ما تلوته عليكم ولو شاء ما دريتم به، فلو غيّرت شيئاً منه من تلقاء نفسي لكنت أظلم الناس، كما أنّكم إن كذّبتموه صرتم أظلم الناس لظلمكم في جنب الله ـ سبحانه ـ، والظلم يعظم بعظم ما يتعلّق به.

قوله تعالى: ﴿بِمٰا لاٰ يَعْلَمُ فِي السَّمٰاوٰاتِ﴾

كناية عن عدم الوجود وهي كناية شائعة، وفي *تفسير القمّي*، قال: قال: كان قريش[١] يعبدون الأصنام ويقولون: إنّما نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى، فإنّا لا نقدر على عبادة الله، فرّد الله عليهم وقال: قل لهم يا محمّد: ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللّٰهَ بِمٰا لاٰ يَعْلَمُ﴾، أي: ليس يعلم فوضع حرفاً، مكان حرف أي: ليس له شريك يعبد[٢].

أقول: معنى الحديث أنّ الكلام وضع موضع المقابلة بالمثل، فإنّهم قالوا: إنّا لا نعبد ما لا ندركه بوجه، بل نعبد ما ندركه ليقرّبنا إليه، فأجيبوا بأنّكم تعبدون ما لا يعلم الله به فكيف يقربّكم إليه وهو لا يعلم به؟!

قوله تعالى: ﴿وَ مٰا كٰانَ النّٰاسُ إِلاّٰ أُمَّةً وٰاحِدَةً﴾

الآية تشير إلى حال الإنسان الأوّلي في بدء الخلقة لم يكن بينهم اختلاف في دنيا ولا دين، بل كانوا على الفطرة المفطورة، ثمّ نشأ فيهم الاختلاف، فأخّر سبحانه القضاء الفصل بينهم لكلمة قالها فيهم عند إهباط آدم ـ عليه السلام ـ من الجنّة، وهي قوله: ﴿وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتٰاعٌ إِلىٰ حِينٍ﴾[٣]، وبعث فيهم الأنبياء وأنزل إليهم الكتاب، وقد مرّت نظيرة الآية في سورة البقرة فارجع إليها[٤].

قوله سبحانه: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾

يدلّ على إمكان نزول ما كانوا يقترحونه من الآيات وترقّب نزوله، وهو الشر

---

١. في المصدر: «كانت قريش»

٢. تفسير *القمّي* ١: ٣١٠.

٣. البقرة (٢): ٣٦.

٤. البقرة (٢): ٢١٣.

الذي كانوا يستعجلونه من القضاء الفصل بين النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والاُمّة، وسيعود هذا الرّجاء وعداً محتوماً في أواسط السورة عند قوله تعالى: ﴿وَ إِمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلىٰ ما يَفْعَلُونَ﴾[١] إلى تمام عشر آيات.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً﴾

وإنّما كان أسرع مكراً لأنّ المكر الذي يمكرون به هو بعينه مكر من الله بهم وهو أقرب إليهم من أنفسهم، فمكره بهم أسرع وصولاً إليهم من مكرهم في آيات الله تعالى، كما قال تعالى في الآية التالية: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾.

ويدلّ أيضاً على ما ذكرنا جميع ما ورد في القرآن من آيات الاستدراج ونحوها.

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رُسُلَنا يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ﴾

سيجيء معنى كتابة الملائكة للأعمال في سورة الجاثية عند قوله تعالى: ﴿هٰذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[٢]، وإنّ كتابة الملائكة نفس الأعمال الخارجيّة لا رسوم مأخوذة منها نظير الكتابة المعمولة عندنا، وعلى هذا يستقيم كون مكر الله تعالى أسرع بكتابة الرسل لأعمالهم فلا تغفل.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ﴾

لمّا بيّن أنّ لهم مكراً في آيات الله سبحانه، وأنّ الله تعالى يقلب مكرهم إليهم،

---

١. يونس (١٠): ٤٦.
٢. الجاثية (٤٥): ٢٩.

قرّر تعالى ذلك بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾، وهو نظير ما هو المعمول عندنا من بيان الحكم الكلّي ثمّ المثال بشيء من جزئيّاته، فهو بيان بوجه وتعليل بوجه، ولذلك جاء بالفصل من وصل.

وقوله تعالى: ﴿وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾

التفات من الخطاب إلى الغيبة لفائدة التعجب، فالمقام مقام من يحسن كلّ الإحسان إلى بعض المحتاجين إليه المرتزقين منه، وهو يلتجىء إليه في وقت الشدّة وينساه في موسم الرخاء، فيخاطبه بتقرير كرامته له وخيانته إيّاه، وإعمال نفوذه، وبسط اقتداره، وإنّ غدره يعود إليه لا محالة ولا يتعدّاه إلى غيره، فيخاطبه بقصصه حتّى إذا وصل إلى أعجب محلّ من أنبائه تركه ورجع في حديثه إلى بعض السامعين فقصّه بموضع العجب من القصّة ليتعجّب من أمرهم ثمّ يعود إلى ما كان عليه من الخطاب أوّلاً، فهو تعالى يخاطب هؤلاء الماكرين بقصصهم الّتي تُنبيء عن ذلك، حتّى إذا بلغ موضع غفلتهم عن ربّهم، حيث لا يذكرون الله ولا يرقبون زوالاً لنعمتهم، وافتقاراً إلى منعمهم، تركهم وتحوّل في الخطاب لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ليقضي من أمرهم العجب، ولذلك لم يقع الإلتفات من أوّل الآية بل أخّر إلى وسطها، حيث يبلغ الحديث مبلغ العجب وهو جريان الريح الطيّبة وفرحهم بها، كأنّهم قد ملكوها وانقادت لهم أسباب الأمن والسلامة.

قوله تعالى: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾

أي شديدة الهبوب، وقوله لهم تعالى: ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ كنّى بالإحاطة عن الهلاك.

قوله تعالى: ﴿لَمْ تَغْنَ﴾
أي لم تقم على ساق.

قوله تعالى: ﴿وَ اللهُ يَدْعُوا إِلىٰ دٰارِ السَّلاٰمِ﴾
السلام والأمن متقاربا المفهوم، غير أنّ السلام معنى وجـوديّ والأمـن مـعنى عدميّ، فإنّ كونك في أمن من الشيء أن لا يضرّك بوجه، وكونه سلاماً عليك أن يلائم شأنك ويفيدك، فالسّلام يستلزم الأمن بوجه، والإنسان وهو فـي الدنـيا لايواجه السلام المطلق أبداً، فإنّ هذه الأسباب الّتي تحفّ بنا وتحيط بنا مـن جميع الجهات لايلائمنا إلّا شطر يسير منها، ولانستفيد إلّا من أقلّ قـليل مـن بينها، وإذا أخذت هذه الكلمة الّتي وصف الله سبحانه بها داره الّتي يدعو إليها أخذاً على الحقيقة تحصّل عندك معنى دار الله وهي الجنّة والزلفىٰ.

وفي *المعاني* عن الباقر ـ عليه السلام ـ في هذه الآية قال ـ عليه السلام ـ: إنّ السلام هو الله عزّوجلّ، وداره التي خلقها لعباده ولأوليائه هو الجنّة[1].

*

---

١. *معاني الاخبار*: ١٧٦ ـ ١٧٧، الحديث: ٢، وفيه: «التي خلقها لأوليائه الجنّة».

[لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا ٱلسَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِنَ ٱللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ ٱللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)]

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾

الحسنى خلاف السوأى واللام للجنس، فإذا كان لهم جنس الحسنى من غير أن يتقيّد بعدد معيّن كالواحد بالواحد أوالعشرة بالواحد دلّ على زيادة العناية في حقّهم، قد قال تعالى في غيرهم: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ ومن هنا يعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَ زِيَادَةٌ﴾، هو من غير جنس الحسنى المذكور، فإنّ جنس الحسنى لايخرج منه شيء من جنسه حتّى يكون هو الزيادة وهو ظاهر، وفي *أمالي*

الشيخ عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ فيما كتبه لمحمّد بن أبي بكر ليقرأ على أهل مصر، وفيه قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيادَةٌ﴾ فأمّا الحسنىٰ فهي الجنّة والزيادة هي الدنيا[١].

أقـول: وفي هذا المعنى روايات أُخر، والرواية تؤيّد ما ذكرناه أنّ الزيادة من غير جنس الحسنى، وأمّا كون الإحسان وصالح العمل يهيّيء للإنسان حياة طيّبة آمنة مطمئنّة دون السيّئات فممّا لايحتاج إلى بيان. وفي *نهج البيان* عن عليّ بن إبراهيم، قال: قال ـ عليه السلام ـ: الزيادة هبة الله عزّوجلّ[٢].

أقـول: ومراده ـ عليه السلام ـ أنّه أمر وراء ما يقابل العمل ويريده الإنسان بكسبه، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ﴾[٣]. فإنّ ظاهره أنّ هذا المزيد غير ما يشاءونه وغير ما يمكن أن تتعلق به المشيئة، فهو من غير جنس ثواب الأعمال، ومن غير سنخ ما تدركه العقول ويريده الإنسان، وسيجيء بقيّة الكلام فيه في قوله: ﴿لَهُمْ ما يَشاؤُنَ﴾[٤].

وفي *الصافي* عن القمّي، قال: الزيادة هي النظر إلى رحمة الله[٥]. وفي *المجمع* عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب[٦].

---

١. *الأمالي* للطوسيّ: ٢٤، الحديث: ٣٠.
٢. لم نعثر عليه في *نهج البيان* المطبوع، ولكن نقله البحراني عنه في *البرهان في تفسير القرآن* ٤: ٢١، الحديث: ٥.
٣. ق (٥٠): ٣٥.
٤. الزمر (٣٩): ٣٤؛ الشورى (٤٢): ٢٢.
٥. تفسير *الصافي* ٢: ٤٠٠؛ تفسير *القمّي* ٢: ٣٢٦.
٦. مجمع *البيان* ٥: ١٧٩.

أقـول: لعلّ معنى الروايتين راجع إلى ما رواه في *نهج البيان*[١].

قوله تعالى: ﴿قَتَرٌ﴾

القترة: غبرة لها سواد.

قوله تعالى: ﴿جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها﴾

الجملة خبر للموصول ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ﴾ جزاء سيئة واحدة منهم كائن بمثلها، أو التقدير: والذين كسبوا السيّئات ليعلموا أنّ السيّئة الواحدة تجزي بمثلها، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ﴾

غشيه الشيء إذا أحاط به من كلّ جانب، وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي*، عن الصادق ـ عليه السلام ـ: أما ترى البيت إذا كان الليل كان أشدّ سواداً[٢] فكذلك هم يزدادون سواداً[٣][٤].

قوله تعالى: ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾

إلى آخر الآيات الثلاث من غرر الآيات القرآنية، تبيّن حقيقة البعث على ألطف

---

١. *نهج البيان* ٣: ٦٣.

٢. في المصدرين: + «من خارج»

٣. في تفسير *العياشي*: «وجوههم تزداد سواداً»

٤. *الكافي* ٨: ٢٥٢، الحديث: ٣٥٥؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ١٢٢، الحديث: ١٧؛ *بحار الانوار* ٧: ١٨٦، الحديث: ٤٥.

بيان ممكن، وتشير إليها على أدقّ إشارة وإيماء، وهي كالشرح لإجمال قوله تعالى: ﴿الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[1].

قوله: ﴿مَكَانَكُمْ﴾

أي: الزموا مكانكم ولاتعدوه.

وقوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ .

أي فرّقنا بينهم، كناية عن بطلان الروابط الدنيويّة التي زيّنها في أبصارهم والأوهام، فيعود كلّ شيء فرداً منفرداً ليس معه إلّا نفسه وما كسبته نفسه والله المالك القاهر، فيقول: ﴿شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾.

وهذا الكلام معهم كلام من غير مجرى العادة، فإنّ الروابط قد تزيّلت والأسباب قد تقطّعت، ثمّ يؤكّده أويفسّره قوله تعالى: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

وهاتان الجملتان أعني قولهم: ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾، ثمّ قولهم: ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ يبيّن بأتمّ البيان أنّ عبادة المشركين لشركائهم ليس إلّا في ظرف وهمهم ووعاء زعمهم، فكان النفي له والغفلة عنه سيّين كما تشاهد في الجملتين بوضع إحداهما في جنب الأُخرى، فالشركاء يقولون: ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ فينفون عبادتهم، ثمّ يعطفون على ذلك بفاء التعليل قولهم: ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ فمؤدّىٰ الجملتين بمجموعهما هو قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا

---

١. الانفطار (٨٢): ١٩.

تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾[١].

ثمّ قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾، بيان لما ينجرّ إليه أمرهم عندئذٍ برفع الأسباب ومزايلة البين.

فإنّ هذه الارتباطات إذا زالت وبطلت لم يبق للإنسان إلّا نفسه، وما كسبته نفسه، فتبلو نفسه وتختبر ما أسلفت وقدّمت ليومه، ذلك وليس يملك هذه النفس ولا ما كسبته إلّا الله سبحانه فهو مولاه ووليّه وهو قوله تعالى عقيب هذه الجمل: ﴿وَ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاٰهُمُ الْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ فهذا ما يفيده ظاهر هذه الآيات، وقد مرّ بعض الكلام في هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾[٢].

وفي *تفسير القمّي* في قوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ قال: قال ـ عليه السلام ـ: يبعث الله ناراً فتزيل[٣] بين الكفّار والمؤمنين[٤].

أقول: وهو اشارة إلى ما بيّناه من زوال الروابط.

*

---

١. النجم (٥٣): ٢٣.

٢. الأنعام (٦): ٩٣.

٣. في المصدر: «تزيل»

٤. *تفسير القمّي* ١: ٣١١.

[قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنَ ٱلسَّماءِ وَٱلأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذٰلِكُمُ ٱللهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ ٱللهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُم مَنْ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾]

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ﴾

أمر سبحانه رسوله أن يحاجّهم في التوحيد بأُمور أربعة:

أوّلها: توجّه الرزق إليهم من كلّ جانب من السماء والأرض، وهو يستلزم رازقاً.

ثانيها: السمع والأبصار، وكلّ ذي سمع وبصر لايملك من هاتين الحاستين الحيويتين شيئاً لا وجوداً ولا عدماً، ولا بقاءاً ولا زوالاً فلهما مالك.

ثالثها: إرتباط الحياة بالممات، وهو خروج الحيّ من الميّت، والميّت من الحيّ، وفوق ذلك رابط مخرج.

رابعها: تدبير أمر هذه الثلاثة، وتأليف النظام الجاري بينها وهو يستدعى مدبّراً، والإنسان مضطر مفطور على أن يسند هذه الأمور إلى غير عالم الطبيعة وهو الله عزّ اسمه، وهو قوله: ﴿**فَسَيَقُولُونَ اللهُ**﴾، ثمّ استنتج من قولهم الله سبحانه: ﴿**فَذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ**﴾ ثمّ استنتج قوله تعالى: ﴿**فَمٰاذٰا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلاٰلُ**﴾ فتمّ القول: إنّ المشركين في عبادتهم الأصنام على الضلال.

قوله تعالى: ﴿**كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ**﴾

كأنّها إشارة إلى قوله تعالى في آخر الآية السابقة: ﴿**فَأَنّٰى تُصْرَفُونَ**﴾ فإنّ الحجّة السابقة أفادت أنّهم مع اعترافهم اعترافاً فطرياً اضطرارياً أنّ الله هو ربّهم مشركون، فهم منكرون في عين أنّهم معترفون، وليس ذلك إلّا بصرف إلهيّ كما قال تعالى: ﴿**أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلىٰ عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلىٰ سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشٰاوَةً**﴾[1] فحقّت عليهم كلمة الله ـسبحانه ـ أنّ الفاسقين لايؤمنون، وقد تكرّر في كلامه تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ**﴾[2].

---

١. الجاثية (٤٥): ٢٣.

٢. المائدة (٥): ٥١؛ الانعام (٦): ١٤٤؛ القصص (٢٨): ٥٠؛ الإحقاف (٤٦):١٠؛ ومثلهم في: البقرة (٢): ٢٥٨؛ آل عمران (٣): ٨٦؛ التوبة(٩): ١٩ و ١٠٩؛ الصف (٦١): ٧؛ الجمعة (٦٢): ٥.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾

إلى آخر الآيتين، وهاتان الآيتان مشتملتان على حجّتين أخريين تشتملان على أخصّ صفات الله سبحانه ممّا يدلّ عليه نظام الخلق والبعث، وليسا في شركائهم من الأصنام.

إحداها: إدارة البدء والعود في الأشياء.

والثانية: الهداية إلى الحقّ.

فقانون الإبداء والإعادة على ما مرّ بيانه في صدر السورة ممّا يستند إلى ربّ العالم وهو لا يستند إلى الأصنام، فإنّها بنفسها واقعة تحته محكومة بحكمه، والهداية إلى الحقّ أيضاً مستند إليه وليس مستنداً إلى الأصنام، لأنّها لا تملك لأنفسها شيئاً، ولذا غيّر سياق هاتين الحجّتين عن سياق الحجّة السابقة، فالحجّة الأُولى في سياق السؤال عمّن يرزقهم؟ وعمّن يملك السمع والبصر؟ وعمّن يخرج الحيّ والميّت؟ وعمّن يدبّر الأمر كائناً من كان؟ وجواب المشركين: أنّه الله.

والحجّتان الأخيرتان في سياق السؤال عن أنّ شركائهم هل فيهم من يبدء ويعيد؟ وهل فيهم من يهدي إلى الحقّ؟ ولا جواب للمشركين في ذلك. ولذلك يقول سبحانه: ﴿قُلِ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿قُلِ اللهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾.

فلا يقال: ما الفرق بين السؤال الأوّل بقوله: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ وحيث أردفه بقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾ فذكر الجواب عن قبل المشركين، وبين السؤال الثاني والثالث بقوله: ﴿مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وبقوله: ﴿مَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ﴾

حيث أردفهما بقوله: ﴿قُلِ الله يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وبقوله: ﴿قُلِ الله يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ فأجاب هو تعالى نفسه لا عن قبل المشركين، مع أنّ هذه المعاني على نسقٍ واحد، فلوكان الأوّل فطرياً فالثاني والثالث أيضاً كذلك.

لأنّا نقول: إنّ الأمر كما ذكر، فالجميع معانٍ معلومة بالفطرة، إلّا أنّ البيان مسوق سوقاً مختلفاً، فالحجّة الأولىٰ مسوقة للكشف عن ربٍّ واحدٍ هو الله سبحانه، ولذلك تمسّك بالفطرة، والحجّتان الأُخيرتان للكشف عن بطلان ربوبيّة الشركاء، ولا جواب للمشركين في ذلك كما بيّناه آنفاً فتدبّر.

وأمّا ما ذكره بعضهم في الآية: أنّه تعالى جعل الإعادة كالإبداء لظهور برهانها، وإن لم يساعدوا عليها فهو معنى بعيد عن الآية بمراحل.

قوله تعالى: ﴿أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاٰ يَهِدِّي﴾

أصل قوله: «﴿يَهِدِّي﴾»، «يهتدي» قلب «التاء»، «دالاً» ثمّ أدغم إحدى الدالين في الأُخرى، وتقييد قوله: ﴿«لايَهِدِّي﴾ بقوله: ﴿إلّا أَنْ يُهدىٰ﴾ يدلّ على أنّ المعنى لايهتدي بنفسه إلّا أن يهديه غيره، وحينئذٍ فالمقابلة بين قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وقوله: ﴿مَنْ لاٰ يَهِدِّي﴾ يدلّ على أنّ من يهدي إلى الحقّ يجب أن يهتدي بنفسه، وأيضاً أنّ من يهتدي بغيره لايهدي إلى الحقّ، فهو سبحانه لايسمّى هادياً إلّا من لايحتاج في كونه مهتدياً إلى غيره، ومن احتاج في إهتدائه إلى هداية الغير فليس بهادٍ.

وهذه الآية تدلّ على عصمة الإمام فإنّه هادٍ، والهادي يجب أن يكون مهتدياً بنفسه فلايكون ضالّاً، وكلّ من اقترف معصيةً أو ظلماً ضالٌّ غير مهتدٍ، وقد ورد

في عدّةٍ من روايات أهل البيت ـ عليهم السلام ـ التمسّك بهذه الآية[1].

*

١. *الكافي* ٧: ٢٤٩، الحديث: ٤؛ *تفسير القمّي* ١: ٣١٢؛ *الامالي* للصدوق: ٦٧٧، المجلس السابع والتسعون، الحديث: ١؛ عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ١: ٢٢٠، الحديث: ١؛ *كمال الدين* ٢: ٦٧٨، الحديث: ٣٢؛ الاحتجاج ١: ١٥٠؛ ٢: ٤٣٦؛ *بحار الأنوار* ٩: ٢١٣، الحديث: ٩١؛ *تفسير الصافى* ٢: ٤٠٢.

[وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾]

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾

الضمير للقرآن، وهذا يدلّ على تحقّق الإعجاز بسورة واحدةٍ، كسورة العصر وسورة الكوثر، وإرجاع الضمير إلى نفس هذه السورة، ـ أعني سورة يونس ـ ممّا يشمئز منه الطبع، فضلاً عن كلام الله فقد تقدّست ساحته عن أمثال هذه الاحتمالات.

قوله تعالى: ﴿وَ لَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

قد مرّ الكلام في التأويل والتنزيل في أوائل سورة آل عمران، وذكرنا هناك أنّ التأويل ليس من قبيل المعاني والمفاهيم، بل من قبيل الأمور الخارجيّة التي نسبتها إلى أمور أُخر نسبة اللبّ إلى القشر، ونسبة الممثّل إلى المثال، ويشهد بذلك قوله تعالى في هذه الآية: **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾** والروايات أيضاً تشهد بذلك ففي *تفسير العيّاشي*، عن الباقر ـ عليه السلام ـ أنّه سئل عن الأمور العظام من الرجعة وغيرها، فقال: إنّ هذا الذي تسألوني عنه لم يأت أوانه، قال: الله تعالى: **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾**[١].

أقول: وروى هذا المعنى أيضاً فيه، وفي *بصائر الدرجات* عن الصادق ـ عليه السلام ـ[٢].

وفي *الكافي* وتفسيري *المجمع* و*العيّاشي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ إنّ الله خصّ هذه الأُمّة[٣] بآيتين من كتابه: لا يقولون ما لا يعلمون، وأن لا يردّوا ما

---

١. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٢٢، الحديث: ٢٠؛ *بحار الانوار* ٢: ٧٠، الحديث: ٢٦.
٢. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٢٢، الحديث: ١٩؛ *مختصر بصائر الدرجات*: ٢٤.
٣. في *الكافي*: «عباده»

لا يعلمون[١][٢]، ثمّ قرأ عليهم: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[٣] وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾

وعيد بالعذاب، والآيات كما ترى مسوقة للوعيد، متدرّجة من التلويح إلى التصريح.

كقوله أوّلاً: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله ثانياً: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

وقوله ثالثاً: ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾.

وقوله رابعاً: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ﴾.

وقوله خامساً: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾[٥] حتّى ينتهي إلى قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾[٦] إلى آخر الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

في *الكافي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: إنّ الله الحليم العليم إنّما غضبه على من لم يقبل منه رضاه، وإنّما يمنع من لم يقبل منه عطاه، وإنّما يضلّ من لم يقبل منه هداه[٧].

---

١. في *الكافي*: «أن لا يقولوا حتّى يعلموا ولا يردّوا ما لم يعلموا»

٢. في تفسير *العياشي*: «ألا يقولوا»

٣. الأعراف (٧): ١٦٩.

٤. *الكافي* ١: ٤٣، الحديث: ٨؛ *مجمع البيان* ٥: ١٩٠؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ١٢٣، الحديث: ٢٢.

٥. يونس (١٠): ٤٦.

٦. يونس (١٠): ٤٧.

٧. *الكافي* ٨: ٥٢، الحديث: ١٦، رسالة أبي جعفر(ع) إلى سعد الخير.

أقـول: وهذه استفادة لطيفة من الآية فإنّ هذه ـ الآية ـ أعني قوله تعالى: ﴿إنَّ الله لاٰ يَظْلِمُ النّٰاسَ شَيْئاً وَ لٰكِنَّ النّٰاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ واقعة في خلال آيات العذاب الّتي توعد هذه الأُمّة بإرسال العذاب، وإنفاذ القضاء الفصل بين النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وبينهم، وفيها استئصالهم بـالانقطاع عـن الحـياة الدنيويّة ومزايا نعمها، وهلاك أرواحهم بإضلال الله ـ سبحانه ـ إيّاهم عن صراط الهداية وسبيل الفلاح، فلمّا نفى ـ سبحانه ـ عن نفسه في هذا المقام أنّه لايظلم الناس شيئاً، دلّ ذلك على أنّ حرمان الشخص من الإنسان أو أُمّة من الأُمـم الإنسانيّة عن شيءٍ من النعم الظاهرة الجسمانيّة أو الباطنة الروحيّة لايستند إليه تعالى، بل إنّما يستند إلى نفسه كما مرّ بيانه في قوله تعالى: ﴿مٰا أَصٰابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله وَ مٰا أَصٰابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[1].

وتحصّلت من هاهنا قاعدة كلية وهي أنّ الله سبحانه لايفيض عنه إلّا الخير، وأمّا الشّر كائناً ما كان فهو لقصور المستفيض القابل، وردّه وعدم قبوله لعوائد الفضل ورشحات الجود.

فإن قلت: الأمر لايتمّ بما ذكرت فما المانع من أن نقول: إنّ الله يفيض خيراً وشراً ورضاً وغضباً وهدايةً وإضلالاً لكنّه يخصّ كلّاً من الخير والشرّ بواحدٍ من الفريقين فيرسل الخير والرضـا والهـدايـة بأهـل الصـلاح، والشـر والسـخط والإضلال بأهل الفسوق والفساد.

قلت: يأبى عن ذلك ظاهر الآية فإنّها تـدلّ عـلى أنّ أمـثال هـذه البـلايا والنقمات ظلم، غير أنّها لاتستند إليه تعالى بل إلى أنفسهم، فهم يعملون أعمالاً

---

١. النساء (٤): ٧٩.

تنتج ما يستقبلهم من المحن والخسرانات فلا يقبلون فلاحاً ولا هداية، ويسمى ذلك منهم بالمنع الإلهي والاضلال الإلهي، وبالجملة بالغضب والسخط الإلهي فتدبّر.

فإن قلت: هب إنّ الأمر في الفرد من الإنسان كذلك، فما معنى ذلك في الأُمّة والقوم، وليس الأُمّة إلّا الأفراد، فالمواجهة مع الأمم في هذه الأُمور مجاز من غير حقيقة.

قلت: سيتبيّن أنّ الأمر ليس كذلك.

قوله تعالى: ﴿**كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً**﴾

سيجيء الكلام في معنى الآية في آخر السورة.

*

[وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرّاً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ ٱللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ أَلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لله مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾]

قوله: ﴿وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾

أنت إذا تصفّحت أحوال الإنسان، وتأمّلت وأجلت الفكر إجالة جيّدة في هذا النوع، وكذلك سائر الأنواع في هذا العالم الطبيعي، وجدت كلّ فرد من أفراده ذا خواصّ وآثار وأحوال تكوينيّة وغير تكوينيّة وهو ظاهر، وإذا تعدّيت الفرد إلى الشعب والقبائل، وبالجملة إلى الاجتماعات القوميّة، وخاصّة الوحدات النسليّة والنسبيّة، وجدت كلّ جامعة قوميّة كالجسم الفردي ذات خواصّ وآثار مختصّة بها متميّزة عن غيرها، وهي مبادىء أخلاق وآداب ورسوم لا تتجاوزها إلى غيرها.

ولا ننسى مع ذلك أنّ للجهات الطبيعيّة من القطر والمحيط تأثيراً في ذلك، وأنّ الأمر في جميع ذلك يدور على الغالب لا الدائم، فالأحكام الغالبة في الاجتماعيات كليّات البتّة.

فهذه أُمّة الصين، وهذه أمّة الهند، وهذه [أُمّة] العرب، وهذه أمّة العجم، وهذه أُمم الغرب تصدّق بوجودها ما ذكرناه، وليست هذه الخصائص التكوينيّة في كلّ أُمّة إلّا مستندة إلى وحدة حقيقيّة خارجيّة، وطبيعة موجودة سارية في الأفراد هي المبدأ وهي السبب لتلك الخصائص الخُلقيّة والخَلقيّة، والآثار الجسميّة والروحيّة، وكذلك الحكم في الشعب الصغيرة المنشعبة من الأمم الكبار، كالقبائل والبطون والأحياء حتّى ينتهي الأمر إلى الفرد، ولازم ذلك أن يكون لكلّ اجتماع هويّة ذات آثار وأحكام، نظير الفرد في كونه ذا هويّة صاحبة آثار وأحكام. نعم هذه الأحكام والآثار يتقدّر في كلّ منهما على حسب ما يناسبه ويقتضيه.

وعند ذلك ربّما يختلف الحُكمان ـ أعني حكم الفرد وحكم الاجتماع ـ فترىٰ وصفاً في الفرد ممدوحاً بقياسه إليه، مذموماً بالقياس إلى النوع والأُمّة أو بالعكس، أو تجد الفرد مستحق الخير لسعادة في نفسه والأمّة لاتستحقه وبالعكس، وهذه حقيقة ثابتة لاينبغي الإرتياب فيها، ولايزال الإنسان يزيد اعترافاً بهذه الحقيقة حيناً بعد حين وعصراً بعد عصر.

ثمّ إنّك إذا تدبّرت كلامه تعالى وجدته يؤيد هذه الحقيقة، ويعتني بشأنه اعتناء بالغاً، فكما أنّه بيّن للفرد صلاحه وفساده وما يتبعهما من سعادة وشقاء، ثمّ جمع ذلك كلّه في مثل قوله: ﴿وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾[1]. وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2] وقوله: ﴿وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلاّٰ مٰا سَعىٰ﴾[3]، كذلك بيّن أنّ لكلّ أمّة موتاً وحياةً، وسعادةً وشقاءً، وأجلاً وكتاباً، وصلاحاً وفساداً إلى آخر الأحكام الفرديّة.

فقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ فَلاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لاٰ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتٰابٌ﴾[4] وقال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعىٰ إِلىٰ كِتٰابِهَا﴾[5] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ﴾[7] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاّٰ نَحْنُ مُهْلِكُوهٰا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ أَوْ

---

١. الأنعام (٦): ١٦٤.
٢. المدّثّر (٧٤): ٣٨.
٣. النجم (٥٣): ٣٩.
٤. الرعد (١٣): ٣٨.
٥. الجاثية (٤٥): ٢٨.
٦. الاسراء (١٧): ٧١.
٧. الرعد (١٣): ٧.

مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرىٰ وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ﴾[٣].

وفي القرآن آيات كثيرة في ذلك، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا الله وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[٥].

ويستنتج من هذا أنّ لكلّ أُمّة حياة دنيويّة مؤجّلة ربّما سعدت في آخرها بما أسلفته في أوّلها، وربّما شقيت بما كسبته في حين من أحيان عمرها، ويوم من أيّام حياتها حيناً آخراً ويوماً آخر، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ﴾[٦]، كما أنّ الفرد من الإنسان يجني في شيبه ما قد غرسه في شبابه، ويحصد يوماً ما قد زرعه يوماً.

وبالجملة فهذا حكم جارٍ في الفرد والأُمّة على حدٍّ سواء، وإن كان هناك بعض الفروق والمميّزات بحسب ما يليق بموضوع الحكم، كما أنّ وصف الفرد وصف نفسه، ووصف الأُمّة وصف الشايع الغالب من أفراده، وكما أنّ الفرد ربّما لم يتّصف بوصفين متقابلين كالسعادة والشقاء والمدح والذم، والأُمّة قد تتّصف

١. الاسراء (١٧): ٥٨.
٢. هود (١١): ١٠٢.
٣. الأعراف (٧): ٩٦.
٤. النساء (٤): ٩.
٥. الشورى (٤٢): ٣٠.
٦. آل عمران (٣): ١٤٠.

بالوصفين المتقابلين، بمعنى أنّ بعض أفراده يتّصفون بالسعادة وبعضهم بالشقاء.

فإن قلت: هل هذا إلّا تحميلاً لما لا يستحقّه؟ فإنّ أبناء أُمّةٍ إذا أُخذوا بفعال آبائهم كان ذلك تحميل وازرة وزر أُخرى، وهو منفيٌّ بالعقل وصريح كلامه تعالى.

قلت: هذا خلط بين الأحكام الفرديّة والأحكام النوعيّة، فالأحكام النوعيّة ما كان موضوعها الجهة السارية في طبيعة الأفراد، وهي التي يترتّب عليها إتّحاد الآثار التكوينيّة من شكل ولون وسائر خصوصيّات الأمزجة، ويتفرّع عليها في المرتبة الأخلاق النوعيّة والغرائز الموروثة، لتمايل الأبناء إلى ما كان عليه آبائهم من الغرائز والأخلاق والشيم والأحكام الفرديّة ما كان موضوعها الجهة المختصّة بالفرد، لاتتعدّاه إلى غيره فلا يتعدّىٰ حكمه إلى غيره، بخلاف الجهة العامّة السارية في الأفراد على تعاقبها، فما كان منها في السابقين فهو بشخصه وعينه في اللاحقين.

فالوراثة التكوينيّة في الجهات الجسمانيّة؛ كصحة الأبدان وعلّتها، والسمن والهزال، والطول والقصر، والأشكال والألوان وأضرابها لابحث فيها، والوراثة التي في باب السعادة والشقاوة من ظلم وجور، أو ابتلاء أو هلاك، أو عذاب أو غضب، أو رحمة أو هداية أو ضلال فإنّها ربّما تتحقّق في اللاحق بدل السابق؛ إذا اشتركا في منشئها كالتفريط في جنب الله أو الطغيان.

وبالجملة في المنشأ الذي كان منشأً في الأولين إذا كان موجوداً في الآخرين، وإلى هذا يرجع ما أجاب به بعض الأئمّة ـ عليهم السلام ـ حيث سئل كيف يؤاخذ الله تعالى ذريّة قوم بفعال آبائهم فأجاب ـ عليه السلام ـ بأنّهم رضوا

بفعالهم ومن رضي بفعلٍ كان كمن فعله[١]. وربّما تحقّق في السابق معصيةً أوجبت آثاراً تكوينيّة كعلةٍ أو مرضٍ أو عدمٍ أو نقصٍ فسرى في النسل وبرز حيثما يجب أن يبرز على حسب اقتضاء نظام الطبيعة أو ناموس الكون، وربّما كان بغير ذلك من علل وأسباب متشتّتة لايحصيها إلّا من لايعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

غير أنّ الله ـ سبحانه ـ في كلّ حال يحقّ الحقّ بكلماته؛ ولا يحقّ باطلاً ولا يبطل حقّاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٣].

وجملة القول في جميع ذلك أنّ النوع كالفرد ذو حياة طبيعية ذات أحكام وآثار، هذا وأعلم أنّ هاهنا في لحوق العمل بالعامل قانوناً آخر ربّما لحق به حكم فرد بفردٍ آخر قد بحثنا عنه في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[٤]، فارجع إلى هناك.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾

من هذه الآية إلى تمام تسع آيات وعيد بالعذاب لهذه الأُمّة وفيها تحقيق بعد تحقيق لوقوعه:

---

١. *علل الشرائع* ١: ٢٢٩، باب: ١٦٤، الحديث: ١؛ *عيون أخبار الرضا(ع)* ١: ٢٧٣، الحديث: ٥؛ *ثواب الأعمال*: ٢١٧.

٢. يونس (١٠): ١٠٣.

٣. الغافر (٤٠): ٥١.

٤. الأنفال (٨): ٣٧.

فأوّلها قوله: ﴿وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ إلى آخر الآية.

وثانيها قوله: ﴿وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ﴾.

وثالثها قوله: ﴿وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ﴾.

ورابعها قوله: ﴿إلَا إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ﴾.

وفي *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: هذا عذابٌ ينزل في آخر الزمان على فسقة أهل القبلة وهم يجحدون نزول العذاب عليهم.[١]

وفي *المجمع* ما في معناه[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾

أمر رسوله أن يجيبهم بأنّه ليس إليه شيء يملكه حتّى يحتم لهم بتاريخ وقوعه وإلّا ما يعلّمه الله ويوحي إليه، والذي أوحى إليه أنّ لكلّ أُمّة أجلاً لاتتعدّاه ولا تزول عنه إلى بعد وقبل.

قوله تعالى: ﴿وَ أَسَرُّوا النَّدٰامَةَ لَمّٰا رَأَوُا الْعَذٰابَ﴾

في *المجمع* و*تفسيري العيّاشي والقمّي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ: إنّه سئل ما ينفعهم أسرار الندامة وهم في العذاب، قال: كرهوا شماتة الأعداء[٣].

وفي عدّة من الأخبار أنّ الآيات في ولاية عليّ ـ عليه السلام ـ،[٤]

١. تفسير *القمّي* ١: ٣١٢.

٢. مجمع *البيان* ٥: ١٩٧.

٣. مجمع *البيان* ٥: ١٩٨؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ١٢٣، الحديث: ٢٦؛ *تفسير القمّي* ١: ٣١٣.

٤. أنظر تفسير *القمّي* ١: ٣١٢؛ *مناقب آل أبي طالب* ٣: ٦١؛ *شواهد التنزيل* ١: ٢٦٧،٣٦٣ و ٣٦٤.

ولاضير فيها فإنّ الولاية ـ على ما مرّ من تفسيرها ـ هي بالنسبة إلى الدّين بمنزلة الامتثال بالنسبة إلى الأمر.

قوله تعالى: **﴿أَلا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾**
بمنزلة التعليل لقدرته تعالى على إنزال العذاب؛ وإنّهم غير معجزين.

*

[يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِى ٱلصُّدُورِ
وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ آللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا
هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَا أَنزَلَ آللهُ لَكُم مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ
مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى آللهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ
يَفْتَرُونَ عَلَى آللهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ آللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا
تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن
رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّماءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا
أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ آللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا
وَفِى ٱلآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ آللهِ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا
يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ للهِ مَنْ
فِى ٱلسَّماوَاتِ وَمَن فِى ٱلأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ آللهِ
شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

ٱللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِنْ سُلْطَانٍ بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾]

قوله تعالى: ﴿وَ شِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ﴾

في حديث الاهليلجة عن الصادق ـ عليه السلام ـ: إنّه شفاءٌ من أمراض الخواطر ومشتبهات الأُمور.(١)

وفي *الكافي* في الحديث القدسي: من نفث الشيطان(٢).

أقـول: ويستفاد هذا المعنىٰ من كلامه سبحانه، حيث دلّ على أنّ الوسوسة تكون في الصدور وأنّ الشكّ والنفاق من أمراض القلب.

قوله تعالى: ﴿بِفَضْلِ الله وَ بِرَحْمَتِهِ﴾

في *المجمع* و*الجوامع* عن النبيّ [ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ]: فضل الله: رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ورحمته: عليّ بن أبي طالب [ـ عليهما السلام ـ](٣).

---

١. مع تفاوة راجع: *بحار الأنوار*٣ : ١٥٢، باب: ٥؛ تفسير *الصافي*٢ : ٤٠٧؛ تفسير *نور الثقلين* ٢ : ٣٠٧، الحديث: ٧٩.

٢. *الكافي*٨ : ٤٢، الحديث: ٨.

٣. مجمع *البيان* ٥ : ٢٠١؛ جوامع *الجامع* ٢ : ١١٧ و فيهما: عن أبي جعفر(ع).

أقـول: وهذا المعنى مروي في عدّة كتب: كتفسيري *القمّي* و*العيّاشي* و*الكافي* و *مجالس* الصدوق و*أمالي* الشيخ، وهو من باب عدّ أفضل المصاديق[١].

قوله تعالى: ﴿وَ مٰا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مٰا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾

كان الضمير المجرور راجع إلى الشأن والمعنى: إنّ جـميع الأعـمال بـعين الله سبحانه وفي شهوده، لا بعلم سابق منطبق، بل بحضوره تعالى عند كلّ عـمل، وحضوره بعينه بين يديه، وإفراده رسوله بالذكر وحده، وتميّزه من بـينهم مـع اشتراكهم معه في الحكم اختصاص تشريفي كما في غير هذا المورد من كلامه تعالى، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاٰ يُخْزِى الله النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢] وقوله تـعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٣] إلى غير ذلك كما إنّ إفـراد تلاوة القرآن من بين سائر شؤون رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بالذكر مع دخوله في عموم قوله: ﴿وَ مٰا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ كما يدلّ عليه قوله: ﴿مِنْهُ﴾ اختصاص تشريفي، وإنّما أخّر تلاوة القرآن في الذكر ليدلّ على أنّه من جملة شؤون رسوله وأعظم شؤونه، إذ لو قدّم فات شأن الضمير فافهم.

وفي *تفسير القمّي* مرسلاً، وفي *المجمع* عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إذا قرأ هذه الآية بكى بكاءاً شديداً[٤].

---

١. تفسير *القمّي* ١: ٣٤٢؛ تفسير *العيّاشي* ٢: ١٢٤، الحديث: ٢٩؛ *الكافي* ١: ٤٢٣، الحديث: ٥٥؛ *الامالي* للصدوق: ٤٩٤، المجلس الرابع والسبعون، الحديث: ١٣؛ *الامالي* للشيخ الطوسي: ٢٥٤، المجلس التاسع، الحديث: ٤٥٧.

٢. التحريم (٦٦): ٨.

٣. البقرة (٢): ٢٨٥.

٤. تفسير *القمّي* ١: ٣١٣؛ مجمع *البيان* ٥: ٢٠٣.

قوله تعالى: ﴿وَ مٰا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾

العزوب: الغيبة والزوال، ولفظ الآية يدلّ على أنّ الأشياء حاضرة عنده سبحانه بأنفسها، وهوياتها الخارجيّة لا بصورها العلمية على حدّ علومنا الحصوليّة، كما إنّ قوله تعالى في الجملة السابقة: ﴿إِلاّٰ كُنّٰا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، يدلّ على ذلك، حيث قيدّ الكلام بقوله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، ثمّ إنّ قوله: ﴿وَ لاٰ أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْبَرَ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ﴾، يدلّ على أنّ الأصغر والأكبر في الكتاب، وهذا اللفظ وأمثاله يدلّ على أنّ مثقال الذرّة وهو الذي أُخذ وسطاً يُقاس إليه الأصغر والأكبر أيضاً في الكتاب، فإنّ الكلام مسوق للإستيعاب والإستغراق، فمعناه أنّ كلّ شيء مشهود له تعالى حاضر لديه، حتّى مثقال الذرّة كائناً ما كان، فالأكبر من مثقال الذرّة أيضاً مشهود حاضر.

فإذن يفهم منه أنّ كلّ شيء حاضرٌ عنده تعالى بوجوده وعينه، وأنّ كلّ شيء في الكتاب المبين بوجوده وعينه، فالكتاب المبين مرتبة عين الأشياء، كما أنّ علمه تعالى المذكور في هذه الآية مرتبة عينها، فالكتاب المبين هو علمه تعالى بالأشياء في مرتبة أعيانها وأنت إذا تحصّلت هذه الحقيقة القرآنيّة وتمكّنت من فهمها ثمّ أخذتها معك موجّهاً وجهك إلى أُفق حقائقها لم تزل تستطلع نجماً بعد نجم وتستشرق لمعاً بعد لمعٍ، والله ـ سبحانه ـ هو الهادي.

قوله تعالى: ﴿أَلاٰ إِنَّ أَوْلِيٰاءَ اللهِ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾

قد مرّ من الكلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ﴾[1].

---

١. المائدة (٥): ٥٥.

ما يظهر به معنى هذه الآية، فأولياء الله تعالى هم الذين يباشر الله سبحانه تدبير أمرهم، فليس لهم من الأمر شيء، فكلّما لهم من الشأن فهو للّه سبحانه، والخوف من مكروه، متوقع مترقّب، والحزن من مكروه متحقّق إنّما يتصوران إذا توجّه المكروه إلى ما يملكه الإنسان، فأمّا إذا لم يملك شيئاً فلا يخاف ولا يحزن، إذ لا يرتبط به المكروه ولا يماسّه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ﴾

ظاهر السياق أنّه تفسير لأولياء الله في الآية السابقة، وإن احتمل الاستئناف، وعلى أيّ حال فقوله: ﴿وَكانُوا﴾، يدلّ على كون إيمانهم مسبوقاً بتقوى مستقرّ مستمّر منهم، فليس هو الإيمان البدوي، فإن التقوىٰ يجب أن تكون أيضاً مسبوقة بإيمان، والإيمان نفسه مسبوق بالإسلام البدوي الحاصل بالشهادتين، قال تعالى: ﴿قالَتِ الأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلاٰ وَ رَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ﴾[3].

والآيتان كما ترى تدلان على أنّ الإيمان من المؤمن لا يخلص حتّى يتحقّق التسليم التامّ لله ورسوله، فهذا الإيمان أيضاً مسبوق بإسلام بعد الإيمان السابق عليه، فالإيمان المذكور في هذه الآية مرتبة من الإيمان يسبقه إسلام، وقبله

---

١. الحجرات (٤٩): ١٤.

٢. النساء (٤): ٦٥.

٣. يوسف (١٢): ١٠٦.

إيمان، وقبله إسلام.

ولمّا كان الإيمان الأوّل نزول الإسلام الأوّل، وهو التسليم اللفظي إلى القلب وسريانه وانتشاره في الجوارح وإعمالها، كان هذا الإيمان الخالص نزول التسليم الحقيقي في القلب وسريانه في جميع الأفعال والأعمال.

فهذه المرتبة من الإيمان اذعان بالعبودية قلباً، وتمكّن معنى العبودية في جميع الأعمال والأفعال، بحيث يحكي كلّ فعل من العبد معنى عبوديته وصفة مملوكيّته حكاية حقيقة وعيان، لاحكاية تكلّف وتعسّف.

هذا وفي *الجوامع* عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: إنّه سئل عن أولياء الله فقال: الذين يذكّر الله برؤيتهم(١).

وفي *الكافي* عن الصادق ـ عليه السلام ـ، عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعفا نفسه بالصيام والقيام ـ قالوا: بآبائنا وأُمّهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله ـ؟، قال: إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي كُتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب(٢).

أقول: ومعنى الروايتين ظاهر من البيان السابق.

وقوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب» كناية عن المحبّة، فإنّها الصفة المحفوظة بالخوف والرجاء، فإنّ الصفات

---

١. *جوامع الجامع* ٢: ١١٩.
٢. *الكافي* ٢: ٢٣٧، الحديث: ٢٥.

الإدراكيّة تختلف باختلاف إدارك المدركين، فإنّ التلذّذ بالحضور على مائدة العظماء تختلف باختلاف الحاضرين، فمنهم من التذاذه اشباع بطنه فحسب، ومنهم من يتلذّذ بلذائذ طعوم الوان الطعام، ومنهم من يتلذّذ بشرف الحضور ولذّة القرب إلى غير ذلك، وكذلك الأمر في الحضور الباطني فمنهم من يريد النجاة من النار، ومنهم من يبتغي التنعّم بنعيم الجنّة، ومنهم من لا يريد إلّا الله ـ سبحانه ـ، ولا يبتغي غير القرب منه ورضاه عنه وهو المحبة، فخوفه من النار وشوقه إلى الجنّة إرادة منه إلى قربه وهو حاصلٌ بالجنّة دون النار، فيشتاق إلى هذا ويخاف من ذلك بالتبع، وإلى الله الرجعى.

وفي *تفسير العيّاشي* عن أميرالمؤمنين ـعليه‌السلام ـ في الآية: هم نحن وأتباعنا، ممّن تبعنا من بعدنا، طوبى لنا وطوبى لهم، وطوبا هم أفضل من طوبانا، قيل: ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا؟ ألسنا نحن وهم على أمرٍ؟ قال: لا، إنّهم[١] حُمِّلوا مالم تُحمَّلوا وأطاقوا ما لم تُطيقوا[٢].

أقول: والأخبار في هذه المعاني كثيرة[٣].

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرىٰ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ﴾

لو كان قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ﴾ في مقام التفسير لأولياء الله لم يبعد أن يكون بشراهم في الدنيا والآخرة نفس قوله تعالى: ﴿فلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤] فإنّه سلام عامّ وراحة كبرى يستتبع من الله ـ سبحانه ـ كلّ مزيد،

---

١. في المصدر: «لأنّهم»
٢. تفسير *العيّاشي* ٢: ١٢٤، الحديث: ٣٠.
٣. أنظر بحار *الأنوار* ٦٨: ٣٤، الحديث: ٧٢؛ ٦٩: ٢٧٧، الحديث: ١٠.
٤. البقرة (٢): ٢٧٤.

لكن الظاهر من نظائر الآية: أنّ البشرىٰ غير انتفاء الخوف والحزن، بل هي الجنّة والفوز، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاٰئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِى الآخِرَةِ﴾[1].

فالآيات كما ترى واردة مورد الولاية، وهي تخاطب أوّلاً: بنفي الخوف والحزن، ثمّ تبشّر ثانياً: بالجنّة، فقوله تعالى: ﴿أَلاَّ تَخَافُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا﴾ بمنزلة إعطاء الأمان للمتزلزل المضطرب، حتّى يتهيّأ لتلقّي البشرى، وكيف كان فهي تُعطي البشرىٰ بما دون نفي الخوف والحزن، ونظيرها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

ومن هنا يظهر أنّ قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرىٰ﴾ ليس إنشاءاً للبشارة، بل إخباراً وحكاية عن البشارة، على أنّ اللفظ أيضاً لا يلائمه، فإنّ إنشاء البشارة إنّما يكون بغير هذا اللّفظ كقوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾، وقوله تعالى: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ﴾[3].

وقد تحصّل من جميع ما ذكرنا أنّ الآية تُخبر عن تحقق بشارة لهم في الدنيا وفي الآخرة، ويُستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ﴾ ـإلى قوله ـ ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[4]، أنّها بشارة الآخرة بشارة بالجنّة، وهي

---

١. فصّلت (٤١): ٣٠ ـ ٣١.

٢. الاحقاف (٤٦): ١٣ ـ ١٤.

٣. الحديد (٥٧): ١٢.

٤. فصّلت (٤١): ٣٠.

حين الموت لظهور قوله: ﴿كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في انقضاء أيّام الحياة الدنيا حين بلوغ البشارة، وكذا يستفاد من قوله تعالى: ﴿بُشْرٰاكُمُ الْيَوْمَ جَنّٰاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا﴾[١] أنّها البشرى الثانية: بشرى الآخرة، والبشارة الاولى: بشارة البرزخ، والثانية: بشارة يوم القيامة، ونظير الآيتين قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ فِى رَوْضٰاتِ الْجَنّٰاتِ لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * ذٰلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللهُ عِبٰادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوٰانٍ وَجَنّٰاتٍ لَهُمْ فِيهٰا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[٣].

وفي *تفسير العيّاشي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: إنّما أحدكم حين تبلغ[٤] نفسه هاهنا، ينزل[٥] عليه ملك الموت، فيقول له: أما ما كنت ترجو فقد أعطيته، وأما ما كنت تخافه فقد أمنت منه، ويفتح له بابٌ إلى منزله من الجنّة، ويقال له: انظر إلى مسكنك من الجنّة، وانظر هذا رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ رفقاؤك، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ كٰانُوا يَتَّقُونَ﴾[٦].

أقول: والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً[٧].

---

١. الحديد (٥٧): ١٢.
٢. الشورى (٤٢): ٢٢ـ٢٣.
٣. التوبة (٩): ٢١.
٤. في المصدر: «يبلغ»
٥. في المصدر: «فينزل»
٦. *تفسير العيّاشي* ٢: ١٢٤، الحديث: ٣٢، وفيه بدل أمير المؤمنين: عليّ؛ *بحار الأنوار* ٦: ١٧٧، الحديث: ٥.
٧. انظر *الكافي* ٣: ١٢٨، الحديث: ١.

وفي تفسير *القمّي* قال: قال ـ عليه السلام ـ: البشرى في الحياة الدنيا: الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيُبشّر بها في دنياه، وفي الآخرة عند الموت، وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [١][٢].

أقـول: ويقرب منها روايات أُخر في هذا المضمون [٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾

في التعليل به وعد لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بالنصرة.

قوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكاءَ﴾

التقدير وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء، حذف أحد اللفظين لدلالة الكلام عليه، والمعنى أنّ الذين يسمّونهم شركاء ليسوا بشركاء حقيقةً، بل بحسب ظنّهم فهم لايتبعون الشركاء وإنّما يتبعون الظّن، فالآية في مساق قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَما تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [٤].

*

---

١. النحل (١٦): ٣٢.

٢. تفسير *القمّي* ١: ٣١٣.

٣. أنظر *الكافي* ٨: ٩٠، الحديث: ٦٠؛ من لا يحضره *الفقيه* ١: ٧٩، الحديث: ٣٥٦؛ مجمع *البيان* ٥: ٢٠٥.

٤. النجم (٥٣): ٢٣.

[وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَقَامِى وَتَذْكِيرِى بِآيَاتِ ٱللهِ فَعَلَى ٱللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبلُ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾]

قوله تعالى: ﴿وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾

ستأتي قصته ـ عليه السلام ـ في سورة هود، وأنت إذا تدبّرت في آيات السورة وجدتها مدار الوعد بنصرة الرسول والإنتقام من الكفّار تصريحاً أو تلويحاً، حتّى آل الأمر في التصريح إلى أن قال تعالى: ﴿كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴾ (١)، ثمّ أوعد بالعذاب الصريح بقوله: ﴿وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ

١. يونس (١٠): ٣٣.

﴿وَ قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (١)، ثمّ بقوله في آخر قصص الأنبياء ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢)، إلى غير ذلك.

وعلى هذا فما ذكره من قصص الأنبياء، إنّما ذكره لأن يستشهد به على ثبوت العذاب والهلاك القطعي لكلّ قوم وإنجاء المؤمنين منهم، وإنّ ذلك من جهة أنّ الكلمة حقّت عليهم أنّ الفاسقين لا يفلحون، ولذلك لخصّ قصص الأنبياء المذكورين في هذه السورة، وأورد منها ما يدلّ على امتناعهم من الإيمان ونزول العذاب بهم، وعاقب الجميع بإستثناء قوم يونس ـ عليه السلام ـ.

فيتحصّل من جميع هذه البيانات والقصص المبنيّة والشواهد المذكورة معها ما هو كالنخبة والفهرس لحياة بني آدم في الدنيا وتقلّبهم في أديم الأرض، وهو أنّ الاجتماع الإنساني إنّما يحيي الحياة الناجية الآمنة بالإيمان والعمل الصالح، حتّى تنشأ فيهم طبقة عاتية طاغية، ولا تزال هذه الطبقة تعيش قاصدة إلى أجلها المضروب لها، حتّى إذا بلغته أخذها العذاب الإلهي، فميزها عن المؤمنين فأهلكها، ونجّى الله الذين آمنوا بإيمانهم، ومحى المشركين ببغيهم. ثمّ لا يزال المؤمنون على طيب الحياة، حتّى يعود بهم الحال إلى ما كانوا عليه من الشرك والبغي، فتعود العادة الالهية إلى ما كانت عليه من أخذ المشركين وترك المؤمنين، وإذا كان الحال هذا فالدنيا محفوظة بإيمان المؤمنين، والبقاء النوعي مرهون الاخلاص لله سبحانه لما يشاهد في الدنيا بحسب سير حياتها أنّ أهل الإيمان والصلاح باقون ببقائها، وأنّه كلّما نشأت طائفة معتدية باغية سار بهم بغيهم إلى البوار، وانتهى طغيانهم إلى الهلاك والفناء.

---

١. يونس (١٠): ٥٣.

٢. يونس (١٠): ٩٦.

فالنظام الإنساني ـ بحسب حياته ـ في هذه الحياة الدنيا مدبّرة متحوّلة تحت تدبير أربع كلمات من كلمات الله سبحانه، ذكرها في هذه السورة:

الأولى: ما يعنيه بقوله: ﴿وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾[١]، وهو قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٢].

والثانية: قوله تعالى: ﴿كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٣] وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٤] ويرتبط به قوله تعالى: ﴿وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاّ بِإِذْنِ الله وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[٥].

والثالثة: قوله تعالى: ﴿وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[٦] إلى أن قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٧].

والرابعة: قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨]، وهذه الكلمات الأربع إذا انضمّت واجتمعت لم تنتج إلاّ ما سمعت.

قوله سبحانه: ﴿إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي﴾

---

١. يونس (١٠): ١٩.
٢. يونس (١٠): ٤٩.
٣. يونس (١٠): ٣٣.
٤. يونس (١٠): ٩٦.
٥. يونس (١٠): ١٠٠.
٦. يونس (١٠): ٤٧.
٧. يونس (١٠): ٥٥.
٨. يونس (١٠): ١٠٣.

هذا تحدّ منه ـ عليه السلام ـ بالتوكّل ومفاده أنّ الذي يسمّى ربّاً إلٰهاً يجب أن ينصر من اعتصم به لأنّ الأمر بيده، فاعتصموا بأربابكم وشركائكم وضمّوا إليه ما عندكم من قوّة، وأنا أعتصم بالله تعالى بتوكّلي واستعاذتي به من شرّكم، فإن لم تقدروا علي ما يسؤني فاعلموا أنّ الله هو ربّي وربّكم، وأنّ ما تدعون من دونه الباطل، ومن الممكن أن يكون هذا هو المراد من قوله ـ سبحانه ـ حكاية عن نوح في سورة هود: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾[١].

قوله: ﴿أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾

يقال أمرٌ غمة: أي مبهم ملتبس.

قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً﴾

المراد بهم الرسل الذين كانوا بين نوح وموسى، سواءً كانوا ممّن أُهلك قومهم بعذاب فاصل من عند الله تعالى كهود وصالح ولوط وشعيب، أولم يهلك قومهم بعذاب فاصل كإدريس وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط، فهؤلاء لم يهلك أقوامهم الذين بعثهم الله إليهم، أو لم يخبرنا في كتابه بذلك، فالجميع مقصودون في هذه الآية، والشاهد أنّه قصّر بقوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾، فذكر تماديهم في الكفر واعتدائهم، ولم يذكر ما صنع بهم من عذاب أو غيره.

و من هاهنا يظهر أنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢]، أنّ مجيء الرسول إلى الأُمّة هو

---

١. هود (١١): ٢٨.

٢. يونس (١٠): ٤٧.

الموجب للقضاء بينهم، وأمّا أنّ هذا المسمّى هل هو واحد أو كثير، فالكلام غير متعرّض به، بل ربّما يظهر من كلامه تعالى أنّه في بعض الأُمم رسول واحد كمحمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ. قال تعالى: ﴿وَ لٰكِنْ رَسُولَ الله وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (١)، حيث تدلّ على ختم باب الرسالة بعد النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ثمّ قال: ﴿وَلِكلّ أُمّةً رَسُولَ﴾ (٢)، فأوعد بالعذاب، وفي بعضها رسل كثيرون ينزل العذاب ويتم القضاء بالأخير من الرسل، كعاد وثمود، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ * إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ ـ إلى أن قال تعالى ـ: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (٤).

فتبيّن من جميع ما مرّ أنّ لكلّ أُمّة أجلاً ورسولاً ومجيء الرسول يوجب تميّز الفاسد من أجزائها، وهم الذين حقّ عليهم القول أنّهم لا يؤمنون، ويؤدّي ذلك إلى إفناء الله إيّاهم واستخلاف المؤمنين مكانهم.

*

١. الأحزاب (٣٣): ٤٠.

٢. يونس (١٠): ٤٧.

٣. فصّلت (٤١): ١٣ ـ ١٤.

٤. يس (٣٦): ١٣ ـ ٢٩.

[ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً

وَأَقِيمُوا ٱلصَّلاةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱلَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾]

قوله سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾

مقول القول محذوف، أي إنّه لسحر ويدلّ عليه قوله: ﴿أَسِحْرٌ هٰذَا﴾، وهو قول لموسى فإنّهم إنّما قالوا: ﴿إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ فبتّوا القول.

قوله سبحانه: ﴿أَ سِحْرٌ هٰذَا وَ لاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾

قال ـ عليه السلام ـ: في مقام التعجب والتسجيل، يعني إنّي ما آتيتكم إلّا الحقّ والذي لا يأتيه الباطل فكيف أكون ساحراً: ﴿وَ لاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[1]،

---

١. طه (٢٠): ٦٩.

﴿إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ﴾.

قوله سبحانه: ﴿عَلىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾

قيل الضمير في ﴿وَمَلَائِهِم﴾ إلى قوم آل فرعون سبق ذكرهم.

والملأ، وملاء القوم: أشرافهم، وقيل الضمير إلى الذّريّة، وملائهم أشراف بني إسرائيل وهو الأنسب، والفتنة: الإبتلاء والعذاب.

قوله سبحانه: ﴿رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَةً﴾

في *تفسير القمّي* عن الباقر ـ عليه السلام ـ: إنّ قوم موسى استعبدهم آل فرعون وقالوا: لو كان لهؤلاء على الله كرامة كما يقولون ما سلطنا عليهم، فقال موسى: ﴿يٰا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ﴾ إلى آخرها[1].

وفي *المجمع* و*تفسير العيّاشي*، عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ: لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا[2].

أقول: مآل الروايتين واحد، والمعنى أنّهم لو سلّطوا علينا لامتحنوا بنا وهم ظالمون، فلا تجعلنا محنة لهم، يمتحنون بظلمنا، وتصديق الروايتين قوله تعالى: ﴿وَقٰالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قٰالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنٰاءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِسٰاءَهُمْ وَ إِنّٰا فَوْقَهُمْ قٰاهِرُونَ﴾[3].

---

١. تفسير *القمّي* ١: ٣٤٣.

٢. مجمع *البيان* ٥: ٢١٧؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ١٢٧، الحديث: ٣٨؛ *بحارالأنوار* ٥: ٢١٦، الحديث: ٢.

٣. الأعراف (٧): ١٢٧.

قوله سبحانه: ﴿وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾

القبلة ما تستقبله، والمراد المصلّى، ويدلّ عليه قوله تعالى بعده: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاٰةَ﴾.

في *تفسير القمّي* عن الكاظم ـ عليه السلام ـ: لمّا خافت بنو إسرائيل جبابرتها أوحى الله إلى موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ: ﴿أَنْ تَبَوَّءٰا لِقَوْمِكُمٰا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: أُمروا أن يُصلّوا في بيوتهم[١].

قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلىٰ أَمْوٰالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ﴾

هذه شهادة منه ـ عليه السلام ـ في صورة الدعاء، كقوله تعالى فيما حكى عن نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿رَبِّ لاٰ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰافِرِينَ دَيّٰاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبٰادَكَ وَ لاٰ يَلِدُوا إِلاّٰ فٰاجِراً كَفّٰاراً﴾[٢]، فإنّه ـ سبحانه ـ يخبر في كلامه أنّ هاهنا شهداء يشهدون حقائق الأعمال وشهادتهم دعاء من وجه.

قوله سبحانه: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمٰا﴾

في *الكافي* عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: دعا موسى ـ عليه السلام ـ وأمّن هارون ـ عليه السلام ـ، وأمّنت الملائكة فقال الله [تبارك وتعالىٰ]: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمٰا﴾، ومن غزا في سبيل الله أُستجيب له كما أُستجيب لكما يوم القيامة[٣].

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٣١٤
٢. نوح: (٧١): ٢٦ ـ ٢٧.
٣. *الكافي* ٢: ٥١٠، الحديث: ٨؛ *تفسير الصافي* ٢: ٤١٥.

أقـول: يؤيّده أنّه تعالى ذكر الدعاء لموسى والإستجابة لهما معاً، ومن أمّن في دعاءٍ كان كمن دعا به، وقوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يوم القيامة قيد لقوله: «استجيب له» أي استجيب له يوم القيامة كما استجيب لكما، وهذا من شواهد ما ذكرناه آنفا أنّ دعاءه كان شهادة، فإنّ المجاهدين في الله من المؤمنين سيلحقون يوم القيامة بالشهداء، قال تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1].

وليس من البعيد أن يُستفاد معنى قوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ومن غزا إلى آخره، من قوله تعالى: عقيب هذه الجملة: ﴿فَاسْتَقِيمَا وَ لاٰ تَتَّبِعٰانِّ﴾، أي فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والمجاهدة.

وفي *الكافي* و*تفسيري المجمع* و*العيّاشي* عن الصّادق ـ عليه السلام ـ كان بين قوله الله: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمٰا﴾ وبين أخذ[2] فرعون أربعون[3] سنة[4][5].

أقـول: ويؤيده أنّ ظاهر هذه الآيات أنّها قصصه ـ عليه السلام ـ في أوّل الدعوة منه.

قوله سبحانه: ﴿قٰالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرٰائِيلَ﴾

أراد بقوله: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ﴾، أن يتساوىٰ حاله مع بني إسرائيل فيخلص كما خلصوا

---

١. الحديد (٥٧): ١٩.

٢. في تفسير *العياشي*: «أن أخذ»

٣. في المصدرين: «أربعين»

٤. في *الكافي*: «عاماً»

٥. *الكافي* ٢: ٤٨٩، الحديث: ٥؛ *مجمع البيان* ٥: ٢٢١؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ١٢٧، الحديث: ٤٠؛ *الاختصاص*: ٢٦٦.

من الغرق، ولذلك عقّبه بقوله: ﴿وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

يريد التسليم والإنقياد لما كان يدعوه إليه موسى من إطلاق بني إسرائيل ورفع اليد عن رقابهم، فمحصّل مراده التسليم لدعوة موسى والرجوع عن التمادي في الإستكبار والإستعلاء، والإيمان على حد إيمان بني إسرائيل، ليجري مجرىٰ الواحد منهم، ولذلك قال: ﴿إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ﴾، ولم يقل إلّا الله.

ومن هاهنا يظهر أنّ هذا القول لم يكن منه توبة إلى الله سبحانه بالحقيقة من وجهين:

أحدهما: إنّه قال ما قال عند إدراك الغرق ورؤية البأس، ولا توبة حينئذٍ، لأنّه ليس رجوعاً إلى الله ـ سبحانه ـ بحسن اختياره، بل إرجاع أرجعه إليه البأس، ودفعه إليه الخوف وهول ما شاهده، وأين الإرجاع من الرجوع؟

والثاني: إنّ كلامه يعطي أنّه أراد به المساواة مع بني إسرائيل والورود في صفّهم للنجاة، ولم يرد به الإيمان بالله أهلكه أو أنجاه، فهو تمايل منه ورجوع إلى موسى دون الله ـ سبحانه ـ، وهو ـ سبحانه ـ وإن سمّى نفسه قابل التوب، ولم يقيدّه بشيءٍ غير شمول هذا الإسم يحتاج:

أوّلاً: إلى وجود التوبة.

وثانياً: إلى كون التوبة إليه تعالى لا إلى غيره، وشيء من الأمرين لم يتحقق في المورد.

وفي *العيون*، عن إبراهيم بن محمد الهمداني، قال: قلت لأبي الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ: لأيّ علّةٍ أغرق الله [عزّ وجلّ] فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال: «لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى في السلف والخلف، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا

بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[1]. وقال عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[2] وهكذا فرعون لمّا ﴿أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فقيل له: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد قد لبسه على بدنه، فلما غرق ألقاه الله على نجوة من الأرض ببدنه، ليكون لمن بعده علامة، فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الأرض، وسبيل الثقيل أن يرسب ولا يرتفع، فكان ذلك آية وعلامة، ولعلّة أُخرى أغرق الله فرعون وهو أنّه: استغاث بموسى لمّا أدركه الغرق ولم يستغث بالله، فأوحى الله تعالى إليه، يا موسى لم تغث فرعون، لأنّك لم تخلقه، ولو استغاث بي لأغثته»[3].

أقول: وكأنّ العلّتان المذكورتان في الرواية مستفادتان من الجهتين اللتين ذكرناهما.

وفي القصة روايات أُخر لايتجاوز حدود ما قصّته الآيات الّا في بعض الجزئيّات غير المهمّة وسننقل بعضها إن شاء الله العزيز.

وفي بعض الروايات أنّ جبرئيل لم يزل مهموماً منذ قال: لفرعون: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾، وقد كان قاله من غير أنّه مرددٌ له بذلك حتّى إذا نزلت الآية اطمئنّت نفسه وسرّ بذلك، فالرواية مخالفة للكتاب على الظاهر[4].

---

١. غافر (٤٠): ٨٤ ـ ٨٥.
٢. الأنعام (٦): ١٥٨.
٣. عيون *أخبار الرضا(ع)* ٢: ٧٧ ـ ٧٨، الحديث: ٧.
٤. أنظر مجمع *البيان* ٥: ٢٢٣ .

وفي *تفسير العيّاشي* مرفوعاً قال: «لمّا صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيّب[١] فرس فرعون أن يدخل البحر، فتمثّل له جبرئيل ـ عليه السلام ـ على رمَكَةَ[٢] فلمّا رأى الفرس[٣] الرَّمَكَةَ أتبعها، فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا»[٤].

أقول: وروى هذا المعنى المفيد في *الاختصاص* عن الرّضا ـ عليه السلام ـ[٥].

*

---

١. في الأصل: «فبهت»

٢. الرمَكَةَ: الفرس التي تتخذ للنسل، أنظر *لسان العرب* ١٠: ٤٣٤ مادة رمك.

٣. في المصدر: «فرس فرعون»

٤. تفسير *العيّاشي* ٢: ١٢٧، الحديث: ٤١؛ *بحارالأنوار* ١٣: ١٤٠، الحديث: ٥٦؛ قريب منه في *تفسير مجمع البيان* ٥: ٢٢٣.

٥. *الاختصاص*: ٢٦٦.

[فَإِن كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ (٩٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلأَلِيمَ (٩٧) فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْآيَاتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُم مِنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)]

قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾

الخطاب للنبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ولم يكن شاكاً في أمر الوحي، وإنّما هو أخذ بالنصفة وتأكيداً لصحة الحكاية، وهو شايع في اللّسان، وبهذا المضمون وردت روايات، وفي *المعاني* عن أحدهما ـ عليهما السلام ـ في الآية قال: قال: رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لا أشكّ[١][٢].

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾

بمنزلة النتيجة لقصّة فرعون أوّلها ولما قبلها، وهو مع ذلك عود بعد عود لإثبات صدق الكلمة.

قوله سبحانه: ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾.

لو لا للتحضيض دخلت على قوله: ﴿كَانَتْ﴾، وخبر كان أيضاً فعل ماضٍ فأفادت مثل معنى العتبى، وحاصله: ألم يوجد من بين هذه القرى على كثرتها قرية تؤمن إيماناً ينفعها، بل لم تؤمن ولا واحدة منها، لأنّ الكلمة الإلهية حقت عليهم، وقوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾، كأنّه استثناء عن مؤدّى التحضيض لاشتماله على معنى النفي كما عرفت.

قوله سبحانه: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا﴾

---

١. في *علل الشرائع*: + «لا أسأل»

٢. لم نعثر عليه في *معاني الأخبار* ولكن ذكره في *علل الشرائع*: ١٣٠، باب ١٠٧، الحديث: ٢.

وقوع الاستثناء بعد جملة: ﴿آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾، يدلّ على أنّ قوم يونس آمنوا إيماناً نافعاً، فقد كان إيمانهم قبل نزول العذاب ورؤية البأس، ولو لم يكن كذلك لم يكن ينفعهم، كما لم ينفع غيرهم بعد رؤية البأس كما تدلّ عليه الروايات أنّ القوم ندموا على بعد غيبة يونس على ما فعلوا، واجتمعوا للتوبة والالتجاء حينما رأوا مقدمات العذاب، فقُبلت منهم وأُعطوا الأمان، وستأتي قصّتهم في سورتي الأنبياء والصّافات.

قوله سبحانه: ﴿وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ﴾

كأنّه لدفع الدخل، فإنّما مرّ من البيان كان يعطي أنّ هؤلاء لم يؤمنوا فصدق قوله ـ سبحانه ـ أنّهم لا يؤمنون، فربّما سبق أنّ ذلك كان منه ـ سبحانه ـ على سبيل العلم السابق، مع استقلالهم فيما أرادوا من الشرك على سبيل ما نتغرس الحوادث قبل وقوعها، من غير أن نملك زمام الأمر فيها، فدفع الدخل بأن ذلك لم يكن لكونهم معجزين في الأرض، بل إيمان المؤمن يتوقّف ولا يحصل إلّا بإذن إلهي، فلو شاء الله لآمن من في الأرض، وإذا لم يشأ الله ذلك منهم فلا تطمع في هديهم، وتسلّ بما قدّره الله.

قوله سبحانه: ﴿وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلّا بِإِذْنِ الله﴾

الإذن كما مرّ بيانه مراراً هو رفع المانع، وإذا كان شيء من الأشياء لا يملك من نفسه وأفعاله شيئاً فلا يترتّب فعل على فاعل، ولا أثر على مؤثر، وهذا مانع إلهي في جميع موارد ما يحكم به العقل، أو يدركه الإدراك أنّ سبباً ما يفعل فعلاً ما فإذا ترتب أثر على مؤثّره، أو فعل على فاعله فقد أذن الله ـ سبحانه ـ في أمره

وشاء أن يكون، وقد رفع بذلك المانع العامّ عن المورد، وبقي الباقي تحت المنع الإلهيّ العام، وحينئذٍ فكلّ إيمان فإنّما هو بإذن من الله ـ سبحانه ـ يرفع به المانع عن إيمان المؤمن، وأمّا المشرك فقد بقي تحت حكومة المنع الإلهيّ.

ومن الآية يتبيّن أنّ الشرك أمر عدمي لايتوقّف على إرادة من الله ـ سبحانه ـ، وإنّما يتوقّف على عدم إرادة الإيمان، وعلى عدم الإذن فقط، وبهذا المعني ينتسب إليه تعالى، وعلى هذا النحو الضلال والكفر، والفسوق وسائر ما يقابل السعادات العامّة والخاصّة، وقد مرّت إشارات متفرّقة إليه فيما مرّ مراراً.

ومن هاهنا يظهر أيضاً أنّ المراد بجعل الرجس في قوله: ﴿وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾، وضع الشرك في قلوبهم، وقد عرفت أنّ معنى وضع الشرك عدم وضع الإيمان الذي هو طهارة.

في *العيون* عن الرضا ـ عليه السلام ـ: إنّه سأله المأمون عن الآية فقال: حدثني أبي عن آبائي، عن أمير المؤمنين ـ عليهم السلام ـ قال: إنّ المسلمين قالوا لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوتنا على عدوّنا، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ما كنت لألقي الله [عزّ وجلّ] ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً، وما أنا من المتكلّفين، فأنزل الله تعالى عليه: يا محمّد: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ على سبيل الإلجاء والإضطرار في الدنيا، كما يؤمن[1] عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا منّي ثواباً ولا مدحاً، ولكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير

---

١. في بعض نسخه: «يؤمنون» [منه ـ رحمه الله ـ].

مضطرّين، ليستحقوا منّي الزلفى والكرامة، ودوام الخلود في جنّة الخلد: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وأمّا قوله[تعالى]: ﴿وَ مٰا كٰانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللهِ﴾ فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلّا بإذن الله، وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت متكلّفة[1] متعبّدة، وإلجاؤه[2] إياها إلى الايمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها، فقال المأمون: فرّجت عنّي[يا اباالحسن] فرّج الله عنك[3].

أقول: صدر الحديث يوجب أن تكون الآية ذات شأنٍ في النزول مستقلّ، وإنّها ليست تتمّة للآيات السابقة وإن ارتبطت بها بعض الارتباط، وأمّا قوله في ذيله «فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها»، مراده ـ عليه السلام ـ ما ذكرناه أنّ أحداً من الناس لايقدر على إيمان وعلى شيء آخر من أسباب السعادة من نفسه إلّا بإفاضةٍ من الله ـ سبحانه ـ، فمن آمن فإنّما يؤمن بإذن الله ـ سبحانه ـ، ومن لم يؤمن فإنّما ذلك لأنّ الله ـ سبحانه ـ لم يأذن في ذلك، فبقي الأمر على فقده وعدمه الأصلي.

وأمّا قوله ـ سبحانه ـ: ﴿بِإِذْنِ﴾ أمره لها بالإيمان، ليس المراد به أنّ الإذن مقصور على مرتبة الأمر التشريعي، والتكليف من غير تأثير منه تعالى في مرحلة الأفعال أصلاً على ما يراه المعتزلة، فإنّ ظاهر قوله: ﴿وَ مٰا كٰانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللهِ﴾، إنّ الإذن يختصّ به المؤمن في إيمانه، وليس للمشرك فيه حظّ، مع أنّ الإذن بمعنى التكليف لايختصّ بالمؤمن، وكذا ظاهر قوله:

---

١. في المصدر: «مكلّفة»

٢. في المصدر: «ألجأه»

٣. عيون أخبار الرضا(ع) ١: ١٣٥ ـ ١٣٦، الحديث: ٣٣.

﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاٰ يَعْقِلُونَ﴾ بل المراد أنّ الإذن بمعنى الأمر بالإيمان كاشف عن إفاضة إلهيّة أراد سبحانه إيصالها إلى عباده، فأمر أمراً تكليفيّاً عامّاً في مرحلة ظاهر التشريع، وخاصّا بحسب خصوص الإفاضة الإلهيّة والرحمة الخاصّة، وإنّما ذكر ـ عليه السلام ـ ما يوهم مسلك المعتزلة، لأنّ السائل من أركان الإعتزال.

قوله سبحانه: ﴿وَ مٰا تُغْنِى الآيٰاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴾
تعقيب لما جرت عليه آيات السورة أنّ الكلمة حقّت عليهم أنّهم لا يؤمنون، وأنّ العذاب والمؤاخذة واقع عليهم لامحالة، وعلى ذلك يجري أيضاً قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاّٰ مِثْلَ أَيّٰامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني أيّام العذاب: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُم مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[1] ثمّ استدرك أنّ العذاب إنّما ينزل بساحة المشركين بقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنٰا وَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنٰا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

*

١. الأعراف (٧): ٧١.

[قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِنْ دِينِى فَلَا أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ وَلٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾]

قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ﴾

ختم ما قدّمه من البيان وعرّفه من السنّة الإلهيّة، وهي الحكم بحياة الإنسان في الدنيا إلى حين، وإرسال الرسل، واستكبار الناس من الإيمان، والقضاء الفاصل بينهم وبين الرسل بكلمتين، أمران يبلغهما رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إليهم:

إحداهما: أنّه موحّد غير مشرك.

والثاني: إنّ ما جاء به حقّ من عند الله ـ سبحانه ـ، ولهم الخيرة إن اختاروا الإيمان فلهم، وإن اختاروا الكفر فعليهم، وهما قوله سبحانه: ﴿قُلْ يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلاٰ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ الآيات وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَلٰكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفّٰاكُمْ﴾

وصف المعبود تعالى بالتوفّي لأنّ المقام مقام الإيعاد والتهديد.

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾

لما كان معنى: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قيل لي أن كن من المؤمنين. صحّ أن يعطف عليه قوله: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ بحسب المعنى، وقد جمع في الآيتين بين التوحيد بحسب الإعتقاد، والتوحيد بحسب الأفعال، فقوله: ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ راجع إلى التوحيد بحسب الإعتقاد، وهو الإيمان بأنّ الله واحدٌ لاشريك له، وقوله: ﴿وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ راجع إلى التوحيد في مقام الطاعات والتقرّبات، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَ لاٰ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مٰا لاٰ يَنْفَعُكَ وَ لاٰ يَضُرُّكَ﴾، راجع إلى التوحيد فيما يستقبل الإنسان من الحوادث بحسب الحياة الدنيا، فيطمع في شيء ويخاف شيئاً، ويرغب في شيء، ويلتجيء إلى شيء.

وبالجملة فمحصّل الآيات: التوحيد في الاعتقاد، والتوحيد في الأخلاق، والتوحيد في الأفعال والأعمال.

ومن هنا يظهر وجه تغيير السّياق في قوله تعالى: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾.

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾

هذا بمنزلة البيان لقوله تعالى: ﴿وَ لاٰ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مٰا لاٰ يَنْفَعُكَ وَ لاٰ يَضُرُّكَ﴾، وهو من شواهد ما ذكرناه أنّ قوله: ﴿وَ لاٰ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾، راجع إلى النهي عن الالتجاء إلى الأسباب من دون الله تعالى.

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَ اتَّبِعْ مٰا يُوحىٰ إِلَيْكَ﴾

تتمة للأمرين السابقين بقوله: ﴿قُلْ يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنْ كُنْتُمْ﴾ وقوله: ﴿قُلْ يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمُ﴾، وعطف للكلام إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، فقد كان الخطابان أعني قوله: ﴿قُلْ﴾ و ﴿قُلْ﴾ تلخيصاً لمعاني آيات السورة، وهذا الخطاب أعني قوله: ﴿وَ اتَّبِعْ مٰا يُوحىٰ إِلَيْكَ﴾ تلخيص لمعنى ذينك الخطابين فيما يرجع إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وهذا نظير قول القائل منّا لرسول يرسله إلى قوم في تكاليف يعود إلى المرسل والمرسل إليهم، حيث يقول: قل لهم: أمرني فلان أن أعمل كذا وكذا وأُبَلّغه إليكم ليعملوا به، ثمّ يقول للرسول: واعمل بما تبلّغه إليهم.

وعلى هذا فالمراد بقوله: ﴿وَ اصْبِرْ﴾ الاستقامة في جميع أُصول التوحيد وفروعه، والثبات على توحيد الله ـ سبحانه ـ، وإقامة الوجه للدين الحنيف، وتحمّل الأذى في جنب الله تعالى حتّى يحكم الله.

ومن ما مرّ يظهر وجه عطف قوله: ﴿وَ اتَّبِعْ مٰا يُوحىٰ إِلَيْكَ﴾ بالواو دون الفاء

مع ظهور الترتّب، وذلك لما عرفت أنّه تتمة للكلام السابق، وإرجاع معناه إلى رسول الله [ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ]، وليس من قبيل النتيجة المأخوذة.

وفي قوله: ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾
تكرار للوعيد والوعد السابق، وإرجاع آخر الكلام إلى أوّله والله العالم.

*

فهرس مصادر التحقيق

١. *الاحتجاج*، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، نشر المرتضى، مشهد ـ إيران، ١٤٠٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢. *الاختصاص*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣. *أسباب نزول الآيات*، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابوري (المتوفى سنة ٤٦٨ هجري قمري)، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

٤. *الاستبصار*، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٩٠ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٥. *أُسد الغابة*، ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هجري قمري)، الناشر اسماعيليان، طهران ـ إيران، المجلدات: ١٠.

٦. *الأربعين*، الشيخ الماحوزي (المتوفى سنة ١١٢١ هجري قمري)، تحقيق السيد مهدي رجائي، الطبعة الأُولى ١٤١٧ هجري قمري،الناشر: المحقق، المجلدات: ١.

٧. *الإرشاد*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٨. *إرشاد القلوب*، حسن بن أبي الحسن الديلمي، منشورات الشريف الرضـي، ١٤١٢ هجري قمري، الجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

٩. *الأصفى في تفسير القرآن*، محسن الفيض الكاشاني (المتوفى سـنة ١٠٩١ هـجري قمري)، تحقيق مركز الابحاث والدراسات الإسلامية، الناشر مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٨.

١٠. *الإعلام*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيـران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١. *أعلام الدين*، حسن بن ابي الحسن الديلمي، مؤسسة آل البيت (ع)، قم ـ إيـران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢. *إعلام الورى*، أمين الاسلام الفضل بن حسن الطبرسي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

١٣. *الإفصاح في الإمامة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمرى، المجلدات: ١.

١٤. *إقبال الاعمال*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دار الكتب الإسلامية، طـهران ـ إيران، ١٣٦٧ هجري شمسي،المجلدات: ١.

١٥. *الألفين*، العلامة الحلي حسن بن يوسف، انتشارات دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦. *الأمالي*، الشيخ الصدوق، مكتبة الاسلامية، ١٣٦٢ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٧. *الأمالي*، الشيخ الطوسي، دارالثقافة، قم ـ إيران، ١٤١٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٨. *الأمالي*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيـران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٩. *الأمان*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة آل البيت (ع)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٠. *الايضاح*، الفضل بن شاذان الازدي النيسابوري، (المتوفى سنة ٢٦٠ هجري قمري)، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الارموي المحدث، المجلدات: ١.

٢١. *بحار الأنوار*، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١١٠.

٢٢. *البرهان في تفسير القرآن*، السيد هاشم الحسيني البحراني (المتوفى سنة ١١٠٧ هجري قمري)، الناشر مؤسسة البعثة، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هجري قمري، طهران ـ إيران، المجلدات: ٢.

٢٣. *البرهان في علوم القرآن*، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (المتوفى سنة ٧٩٤ هجري قمري)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الأُولى، ١٣٧٦ هجري قمري، الناشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ مصر، المجلدات: ٤.

٢٤. *بشارة المصطفى*، عماد الدين الطبري، مكتبة الحيدرية، النجف ـ العراق، ١٣٨٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٥. *بشارة المصطفى*، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري (المتوفى سنة ٥٢٥ هجري قمري)، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤٢٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٦. *بصائر الدرجات*، محمد بن حسن بن فروخ الصفار، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٧. *البلد الأمين*، ابراهيم بن علي العاملي الكفعمي، الطبع الحجري، المجلدات: ١.

٢٨. *تاج العروس من جواهر القاموس*، الزبيدي.

٢٩. *تاريخ المدينة المنورة*، عمر بن شبّة النميري (المتوفى سنة ٢٦٢ هجري قمري)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ٤.

٣٠. *تأويل الآيات الظاهرة*، السيد شرف الدين الحسيني الاسترابادي، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣١. *التبيان في تفسير القرآن*، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هجري قمري)، تحقيق احمد حبيب قصير العاملي، الناشر مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١٠.

٣٢. *التحصين*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٣. *التحصين*، ابن فهد الحلي، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٤. *تحف العقول*، حسن بن شعبة الحرّاني، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٥. *تذكرة الفقهاء*، العلّامة الحلّي (المتوفى سنة ٧٢٦ هجري قمري)، الناشر مكتبة الرضوية لاحياء الآثار الجعفرية، طهران ـ إيران، المجلدات: ٢.

٣٦. *تصحيح الاعتقاد*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٧. *تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي* ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٠ هجري قمري.

٣٨. *تفسير الامام العسكري (ع)*، منسوب الى الامام الحسن العسكري ـ عليه السلام ـ، مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٩. *تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن*، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي (المتوفى سنة ۸۷٥ هجري قمري)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة و غيره، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٤٠. *تفسير الرازي*، فخر الدين بن محمد بن ضياء الدين الرازي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٠ هجري قمري.

٤١. *تفسير الصافي*، محسن الفيض الكاشاني (المتوفى سنة ١٠٩١ هجري قمري)، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، الناشر مكتبة الصدر، طهران ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٤٢. *تفسير العياشي*، محمد بن مسعود العياشي، المطبعة العلمية، طهران ـ إيران، ١٣٨٠ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٤٣. *تفسير فرات الكوفي*، أبو القاسم فرات بن ابراهيم الكوفي (المتوفى سنة ٣٥٢ هجري قمري)، تحقيق محمد الكاظم، الناشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

٤٤. *تفسير القرآن العظيم*، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤ هجري قمري)، دارالمعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٤٥. *تفسير القمّي*، علي بن ابراهيم بن هاشم القمّي، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٤٦. *تفسير الكاشف*، محمد جواد مغنية (المتوفى سنة ١٤٠٠ هجري قمري)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ ميلادي، المجلدات: ٧.

٤٧. *تفسير نورالثقلين*، الشيخ عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي (المتوفى سنة

١١١٢ هجري قمري)، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر مؤسسة اسماعيليان، قم ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٤٨. *تقريب المعارف*، ابو الصلاح الحلبي، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

٤٩. *التمحيص*، محمد بن همام الاسكافي (المتوفى سنة ٣٣٦ هجري قمري)، تحقيق مدرسة الامام المهدي (عج)، الناشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٥٠. *تنزيه الانبياء (ع)*، السيد المرتضى علم الهدى، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٥١. *التوحيد*، الشيخ الصدوق، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٣٩٨ هجري قمري ـ ١٣٥٧ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٥٢. *توحيد المفضل*، مفضل بن عمر الجعفي الكوفي، مكتبة الداوري، قم ـ إيران، ١٩٦٩ ميلادي، المجلدات: ١.

٥٣. *تهذيب الاحكام*، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ايران، ١٣٦٥ هجري شمسي، المجلدات: ١٠.

٥٤. *ثواب الأعمال*، الشيخ الصدوق، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٤ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٥٥. *جامع الأخبار*، تاج الدين الشعيري، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٣ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٥٦. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بـ: تفسير الطبري*، الطبري، (المتوفى سنة ٣١٠ هجري قمري)، تحقيق صدقي جميل العطار، الناشر دار الفكر، بيروت ـ

لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ٣٠.

٥٧. *جامع الجوامع*، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبري (المتوفى سنة ٥٦٠ هجري قمري)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم ـ إيران، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٥٨. *الجامع لأحكام القرآن، المعروف بـ: تفسير القرطبي*، أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١ هجري قمري)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ٢٠.

٥٩. *الجعفريات (الاشعثيات)*، محمد بن محمد بن الاشعث الكوفي، مكتبة نينوى الحديثة، طهران ـ ايران، المجلدات: ١.

٦٠. *جمال الاسبوع*، السيد علي بن موسى بن طاوس، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٦١. *الجمل*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٦٢. *الخرائج والجرائح*، قطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ٣.

٦٣. *خصائص الأئمة (ع)*، السيد الرضي، مجمع البحوث التابعة لآستانة القدس الرضوي، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

٦٤. *الخصال*، الشيخ الصدوق، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٣ هجري قمري،المجلدات: ٢.

٦٥. *خلاصة الإيجاز*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٦٦. *خلاصة عبقات الأنوار*، السيد حامد الحسيني النقوي، تلخيص الميلاني، (المتوفى سنة ١٣٠٦ هجري قمري)، الناشر مؤسسة البعثة، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ٩.

٦٧. *الخلاف*، شيخ الطائفة الامام ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هجري قمري)، تحقيق السيد علي الخراساني وغيره، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤١٧ هجري قمري، المجلدات: ٦.

٦٨. *دعائم الإسلام*، النعمان بن محمد التميمي المغربي، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٥ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٦٩. *الدر المنثور* (وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس)، جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هجري قمري)، دار المعرفة، الطبعة الأُولى، ١٣٦٥ هجري قمري، المجلدات: ٦.

٧٠. *الدرة الباهرة من الاصداف الطاهرة*، الشهيد الأول، دار الاعراف للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤ هجري قمري.

٧١. *الدعوات*، قطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٧٢. *دلائل الإمامة*، محمد بن جرير الطبري، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٧٣. *ربيع الابرار ونصوص الاخبار*، محمود بن عمر الزمخشري، دار الذخائر، ١٤١٠ هجري قمري، قم ـ إيران، مجلدات: ١.

٧٤. *روضة الواعظين*، محمد بن حسن الفتال النيسابوري، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٧٥. *سبل السلام* ، محمد بن اسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بشرح *بلوغ المرام، من جمع أدلة الاحكام*، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر الكنابي العسقلاني القاهري (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هجري قمري)، الناشر شركة مكتبة ومطبعة المصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة ـ مصر ـ الطبعة الرابعة ١٣٧٩ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٧٦. *السرائر*، ابن ادريس الحلّي (المتوفى سنة ٥٩٨ هجري قمري)، جامعة المدرسين، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ٣.

٧٧. *سعد السعود*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٧٨. *سنن أبي داود*، سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى سنة ٢٧٥ هجري قمري)، تحقيق سعيد محمد اللحام، الناشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هجري قمري ـ ١٩٩٠ ميلادي، المجلدات: ٢.

٧٩. *سنن الترمذي*، محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى سنة ٢٧٩ هجري قمري)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان ١٤٠٣ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٨٠. *السنن الكبرى*، احمد بن الحسين بن علي البيهقي (المتوفي سنة ٤٥٨ هجري قمري)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ١٠.

٨١. *السنن الكبرى*، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى سنة ٣٠٣ هجري قمري)، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١ هجري قمري، ١٩٩١ ميلادي، المجلدات: ٦.

٨٢. شرح *نهج البلاغة*، ابن ابي الحديد المعتزلي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ٢٠.

٨٣. *شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت(ع)*، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق شيخ محمد باقر المحمودي، الناشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأُولى ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٨٤. *الصحاح* ، اسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى سنة ٣٩٣ هجري قمري)، تحقيق أحمد بن عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ٦.

٨٥. *صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦ هجري قمري)، الناشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باسطنبول ، ١٤٠١ هجري قمري، المجلدات: ٨.

٨٦. صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج النيسابوري (المتوفى سنة ٢٦١ هجري قمري)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ٨.

٨٧. *صحيح مسلم بشرح النووي*، النووي (المتوفى سنة ٦٧٦ هجري قمري)، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١٧.

٨٨. *الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)*، العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي، دارالهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ١١.

٨٩. *صحيفة الرضا*، الامام علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ من منشورات المؤتمر العالمي للامام الرضا (ع)، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٠. *الصحيفة السجادية*، الامام السجاد ـ عليه السلام ـ نشر الهادي، قم ـ إيران، ١٣٧٦ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٩١. *الصراط المستقيم*، علي بن يونس النباطي البياضي، مكتبة الحيدرية، النجف ـ العراق ١٣٨٤ هجري قمري، الأجزاء: ٣ ـ في مجلد واحد ـ.

٩٢. *صفات الشيعة*، الشيخ الصدوق، مطبعة الأعلمي، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

٩٣. *الصوارم المهرقة*، القاضي نور الله الشوشتري، مطبعة النهضة، طهران ـ إيران، ١٣٦٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٤. *الطرائف*، السيد علي بن موسى بن طاوس، طباعة خيام، قم ـ إيران، ١٤٠٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٥. *عدة الداعي*، ابن فهد الحلّي، دار الكتاب الاسلامي، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٦. *علل الشرائع*، الشيخ الصدوق، مكتبة الداوري، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٩٧. *العمدة*، ابن البطريق الأسدي الحلّي (المتوفى ٦٠٠ سنة هجري قمري)، جامعة المدرسين، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٨. *عوالي اللآلي*، ابن ابي جمهور الإحسائي، الناشر سيد شهداء (ع)، قم ـ إيران، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٩٩. *عيون أخبار الرضا(ع)*، الشيخ الصدوق، الناشر جهان، طهران ـ إيران، ١٣٧٨ هجري قمري، الجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٠٠. *الغارات*، إبراهيم بن محمد الثقفي، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠١. *الغدير*، الشيخ عبد الحسين الأميني، (المتوفى سنة ١٣٩٢ هجري قمري)، دارالكتب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٣٧٩ هجري قمري، المجلدات: ١٢.

١٠٢. *غرر الحكم ودرر الكلم*، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، الناشر دفتر تبليغات اسلامي، قم ـ إيران، ١٣٦٦ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٠٣. *الغيبة*، الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٤. *الغيبة*، محمد بن ابراهيم النعماني، مكتبة الصدوق، طهران ـ ايران، ١٣٩٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٥. *غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع*، ابن زهرة الحلبي (المتوفى سنة ٥٨٥ هجري قمري)، تحقيق الشيخ ابراهيم البهادري، مؤسسة الامام الصادق، الطبعة الأُولى، محرم الحرام ١٤١٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٦. *فتح الأبواب*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة آل البيت (ع)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري،المجلدات: ١.

١٠٧. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ هجري قمري)، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، المجلدات: ١٣.

١٠٨. *الفصول العشرة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٩. *الفصول المختارة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١٠. *الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة*، الحرّ العاملي (المتوفى سنة ١١٠٤ هجري قمري)، تحقيق محمد بن محمد حسين القائيني، الناشر مؤسسة المعارف الإسلامية للامام الرضا(ع)، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٣.

١١١. *الفضائل*، شاذان بن جبرئيل القمي، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٣ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١١٢. *فضائل الشيعة*، الشيخ الصدوق، من منشورات الأعلمي، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٣. *فقه الرضا*، علي بن بابويه (المتوفى سنة ٣٢٩ هجري قمري)، تحقيق مؤسسة آل البيت، قم ـ إيران، الناشر المؤتمر العالمي للامام الرضا(ع)، مشهد ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٤. *فقه القرآن*، قطب الدين الراوندي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ٢.

١١٥. *فلاح السائل*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دفتر تبليغات إسلامي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٦. *قرب الإسناد*، عبد الله بن جعفر الحِمْيري القمّي، مكتبة النينوى، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٧. *قصص الانبياء (ع)*، السيد نعمة الله الجزائري، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١٨. *قصص الأنبياء (ع)*، قطب الدين الراوندي، الناشر آستانة القدس الرضوي، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١٩. *الكافي*، ثقة الاسلام الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٦٥ هجري شمسي، المجلدات: ٨.

١٢٠. *كتاب سليم بن قيس*، سليم بن قيس الهلالي الكوفي، الهادي، قم ـ إيران، ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢١. *كتاب المزار*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٢. *الكشاف*، جار الله الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان .

١٢٣. كشف *الريبة*، الشهيد الثاني، الناشر مرتضوي، ١٣٩٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٤. كشف *الغمّة*، علي بن عيسى الإربلي، مكتبة بني الهاشمي، تبريز ـ إيران، ١٣٨١ هجري قمري، المجلدات: ٢.

١٢٥. كشف *اليقين*، العلّامة الحلّي حسن بن يوسف، مؤسسة الطبع والنشر، طهران ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٦. *كفاية الأثر*، علي بن محمّد الخزّاز القمّي، الناشر بيدار، قم ـ إيران، ١٤٠١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٧. *كمال الدين*، الشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلامية، قم ـ إيران، ١٣٩٥ هـجري قمري، الاجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٢٨. كنز *العمّال*،المتّقي الهندي(المتوفى ٩٧٥ هجري قمري)، تحقيق الشيخ بكـري حيائي، الشيخ صفوة السقا، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان،المجلدات:١٦.

١٢٩. كنز *الفوائد*، أبو الفتح الكراجكي، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيـران، ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ٢.

١٣٠. *لباب النقول في أسباب النزول*، أبو الفضل جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هجري قمري)، تحقيق أحمد عبد الشافي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ١.

١٣١. *المبسوط في فقه الامامية*، الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هجري قمري)، تحقيق محمد تقي الكشفي، الناشر المكتبة المرتضوية، ١٣٨٧ هجري قمري، طهران ـ إيران، المجلدات: ٨.

١٣٢. متشابه *القرآن*، ابن شهراشوب المازندراني، الناشر بيدار، قم ـ إيران، ١٣٢٨ هجري شمسي، الأجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٣٣. *المـتعة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٣٤. *مثير الأحزان*، ابن نما الحلّي، تحيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٣٥. *مجمع البحرين*، الشيخ فخر الدين الطريحي (المتوفى سنة ١٠٨٥ هجري قمري)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الناشر مكتب نشر الثقافة الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ٤.

١٣٦. *مجمع البيان في تفسير القرآن*، امين الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبري (المتوفى سنة ٥٦٠ هجري قمري)، الناشر مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ١٠.

١٣٧. *مجموعة ورام*، ورام بن ابي فراس، مكتبة الفقيه، قم ـ إيران، الجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٣٨. *المحاسن*، احمد بن محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية، قم ـ إيران، ١٣٧١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٣٩. *مسار الشيعة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ ايران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٠. *المستجاد من كتاب الإرشاد* (المجموعة)، العلّامة حسن بن المطهر الحلّي (المتوفى سنة ٧٢٦ هجري قمري)، الناشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤١. *مستدرك الوسائل*، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ، قم ـ إيران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١٨.

١٤٢. *مستطرفات السرائر*، محمد بن ادريس الحلّي، جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٣. *مستند الشيعة*، المحقق النراقي (المتوفى سنة ١٢٤٥ هجري قمري)، تحقيق والنشر مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، مشهد ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤١٥

هجري قمري، المجلدات: ١٥.
١٤٤. مسكن *الفؤاد*، الشهيد الثاني، مكتبة بصيرتي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.
١٤٥. مشرق *الشمسين*، الشيخ بهاء الدين العاملي، (المتوفى سنة ١٠٣١ هجري قمري)، الناشر مكتبة بصيرتى، قم ـ إيران، ١٣٩٨ هجري قمري، المجلدات: ١.
١٤٦. مشكاة *الأنوار*، أبو الفضل علي بن حسن الطبرسي، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف ـ العراق، ١٣٨٥ هجري قمري، المجلدات: ١.
١٤٧. *مصادقة الإخوان*، الشيخ الصدوق، الطبع الكرماني، قم ـ إيران، ١٤٠٢ هجري قمري، المجلدات: ١.
١٤٨. *المصباح*، ابراهيم بن علي العاملي الكفعمي، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ١.
١٤٩. مصباح *الشريعة*، الامام الصادق ـ عليه السلام ـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠ هجري قمري، المجلدات: ١.
١٥٠. مصباح *المتهجد*، الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.
١٥١. معاني *الأخبار*، الشيخ الصدوق، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٣٦١ هجري شمسي، المجلدات: ١.
١٥٢. معدن *الجواهر*، أبو الفتح الكراجكي، المكتبة المرتضوية، طهران ـ إيران، ١٣٩٤ هجري قمري، المجلدات: ١.
١٥٣. مفتاح *الفلاح*، الشيخ البهائي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ١.
١٥٤. *المفردات في غريب القرآن*، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ١.
١٥٥. *المقنعة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران،

١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٦. *مكارم الأخلاق*، رضي الدين حسن بن فضل الطبرسي، الناشر الشريف الرضي، قم - إيران، ١٤١٢ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٧. *المناقب*، الموفق بن احمد بن محمد المكّي الخوارزمي (المتوفى سنة ٥٦٨ هجري قمري)، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٨. *مناقب آل أبي طالب (ع)*، ابن شهراشوب المازندراني، مؤسسة انتشارات العلّامة، قم - إيران، ١٣٧٩ هجري قمري، المجلدات: ٤.

١٥٩. *منتخب الأنوار المضيئة*، علي بن عبد الكريم النيلي النجفي، طباعة خيام، قم - إيران، ١٤٠١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٠. *من لا يحضره الفقيه*، الشيخ الصدوق، الناشر جامعة المدرسين، قم - إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ٤.

١٦١. *منية المريد في أدب المفيد والمستفيد*، الشهيد الثاني (الشهادة سنة ٩٦٦ هـجري قمري)، تحقيق رضا المختاري، الناشر مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هجري قمري، ١٣٦٨ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٦٢. *مهج الدعوات*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دار الذخائر للمطبوعات، قم - إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٣. *الميزان في تفسير القرآن*، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (المتوفى سنة ١٤٠٢ هجري قمري)، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، المجلدات: ٢٠.

١٦٤. *نزهة الناظر*، يحيي بن سعيد الحلّي، الناشر الشريف الرضي، قم - إيران، ١٣٩٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٥. *نظم درر السبطين*، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي، (المتوفى سنة ٧٥٠ هجري قمري)، المطبعة من مخطوطات مكتبة الامام

أمير المؤمنين(ع) العامة، الطبعة الأُولى ١٣٧٧ هجري قمري، ١٩٥٨ ميلادي، المجلدات: ١.

١٦٦. *النكت الاعتقادية*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٧. *النوادر*، احمد بن محمد بن عيسى الأشعري، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٨. *النوادر*، السيد فضل الله الراوندي، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

١٦٩. *النهاية في غريب الحديث والأثر*، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، مؤسسة اسماعيليان، قم ـ إيران .

١٧٠. *نهج البلاغة*، الامام علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ، دار الهجرة، قم ـ إيران.

١٧١. *نهج الحق وكشف الصدق*، العلامة الحلّي حسن بن يوسف، مؤسسة دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٢. *وسائل الشيعة*، الشيخ حرّ العاملي، مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ٢٩.

١٧٣. *الوسيلة*، ابن حمزه الطوسي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٤. *وقعة صفّين*، نصر بن مزاحم بن سيار المنقري، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٥. *اليقين*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٦. *ينابيع المودة لذوي القربى*، الشيخ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، (المتوفى السنة ١٢٩٤ هجري قمري)، تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني، الطبعة الأُولى ١٤١٦ هجري قمري، الناشر دار الأُسوة، المجلدات: ٣.